سمط العقيان

شرح بغية الإخوان ورياضة الصبيان

تأليف

الشيخ العلامة الإمام

عبد الله بن أحمد باسودان

رحمه الله تعالى

(١١٧٨ - ١٢٦٦ هـ)

وهو شرح على منظومة

بغية الإخوان

في رياضة الصبيان

للإمام العلامة محمد بن أحمد بن أحمد الرملي

رحمه الله تعالى (٩١٩ - ١٠٠٤ هـ)

عُني به

محمد أبو بكر عبد الله باذيب

دار المنهاج



سِمطُ العِقيان

شرح بُغيةِ الإخوانِ ورياضةِ الصِّبيان

تأليف

الشّيخ العلّامةِ الإمام

عبدِ اللهِ بنِ أحمد باسودان

رحِمَهُ اللهُ تعالى

(١١٧٨ - ١٢٦٦ هـ)

وهو شرح على منظومة

بُغيةِ الإخوانِ

في رياضةِ الصِّبيانِ

للإمامِ العلّامةِ محمّد بن أحمد بن أحمد الرّمليّ

رحمه الله تعالى (٩١٩ - ١٠٠٤ هـ)

عُني به

محمد أبو بكر عبد الله باذيب

دار المنهاج



لبنان ـ بيروت ـ فاكس: ٧٨٦٢٣٠

الطَّبْعَة الثَّانيَة

١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م

طبعة مزيدة ومصحَّحة ومنقَّحة

دار المنهاج للنشر والتوزيع

لصاحبها عمر سالم باجخيف

وفّقه الله تعالى

المملكة العربية السعودية ـ جدة

حي الكندرة ـ شارع أبها تقاطع شارع ابن زيدون

هاتف رئيسي 6326666 ـ الإدارة 6300655

المكتبة 6322471 ـ فاكس 6320392

ص . ب 22943 ـ جدة 21416

ISBN 978-9953-498-89-8



www.alminhaj.com

E-mail: info@alminhaj.com

الموزعون المعتمدون

- المملكة العربية السعودية :

دار المنهاج للنشر والتوزيع – جدة
هاتف : 6311710 – فاكس : 6320392
مكتبة دار كنوز المعرفة – جدة
هاتف : 6510421 – فاكس : 6516593
مكتبة الشنقيطي – جدة
هاتف : 6893638
مكتبة المأمون – جدة
هاتف : 6446614
مكتبة الأسدي – مكة المكرمة
هاتف : 5570506
مكتبة نزار الباز – مكة المكرمة
هاتف : 5749022
مكتبة المصيف – الطائف
هاتف : 7368840 – 7330248
مكتبة الزمان – المدينة المنورة
هاتف : 8366666
مكتبة العبيكان – الرياض
هاتف : 4650071 – 4654424
مكتبة الرشد – الرياض
هاتف : 4593451
مكتبة جرير – الرياض
هاتف : 4626000
وجميع فروعها داخل المملكة وخارجها
دار التدمرية – الرياض
هاتف : 4924706
دار أطلس – الرياض
هاتف : 4266104
مكتبة المتنبي – الدمام
هاتف : 8413000

- الإمارات العربية المتحدة :

مكتبة دبي للتوزيع – دبي
هاتف : 2211949 – 2224005 – فاكس : 2225137
دار الفقيه – أبو ظبي
هاتف : 6678920 – فاكس : 6678921
مكتبة الجامعة – أبو ظبي
هاتف : 6272795 – 6272726

- دولة الكويت :

دار البيان – الكويت
هاتف : 2616490 – فاكس : 2616490
دار الضياء للنشر والتوزيع – تلفاكس : 2658180

- دولة قطر :

مكتبة الأقصى – الدوحة
هاتف : 4437409 – 4316895

- مملكة البحرين :

مكتبة الفاروق – المنامة
هاتف : 17272204 – 17273464 – فاكس : 17256936

- جمهورية مصر العربية :

دار السلام – القاهرة
هاتف : 2741578 – فاكس : 2741750

- الجمهورية العربية السورية :

دار السنابل – دمشق
هاتف : 2242753 – فاكس : 2237960

- الجمهورية اليمنية :

مكتبة تريم الحديثة – تريم (حضرموت)
هاتف : 417130 – فاكس : 418130
مكتبة الإرشاد – صنعاء
هاتف : 271677

- الجمهورية اللبنانية :

الدار العربية للعلوم – بيروت
هاتف : 785108 – 785107 – فاكس : 786230
مكتبة التمام - بيروت
هاتف : 707039 -01

- جمهورية أندونيسيا :

دار العلوم الإسلامية – سورابايا
هاتف : 60304660 006231

- الجمهورية التركية :

مكتبة الإرشاد – إستنبول
هاتف : 6381633 0212 – 6381634 0212
فاكس : 6381700 0212

بَيْنَ يَدَيِ الكِتَابِ

الحمدُ للهِ الَّذي خلقَ الإنسانَ في أَحسنِ تقويمٍ ، وركَّبَ فيهِ العقلَ ليهتديَ بهِ ، وبعثَ إِليهِ الرُّسلَ ليهدوهُ ويرشدوهُ ، فمَنْ أَجابَ . . فقد ربحَ الرِّبحَ العظيمَ ، وَمَنْ أَبَىٰ إِلاَّ الشَّقاوةَ . . كانَ مصيرُهُ إِلىٰ نارِ الجحيمِ .

أَحمدهُ كما هوَ أَهلُهُ ومستحقُّهُ ، وأُصلِّي وأُسلِّم علىٰ خيرِ خَلْقِهِ ، وسراجِ أُفقهِ ، مَنِ انتشرتْ في الخافقَينِ أَعلامُ دعوتهِ ، وتواترتْ معجزاتُهُ وأَخبارُ نصرتهِ ، الَّذي أُرسلَ بالعِلْمِ والتَّعليمِ ، وبُعثَ ليتمِّمَ مكارمَ الأَخلاقِ ، صلَّى اللهُ عليهِ وعلىٰ آلهِ البررةِ الأطهار ، وصحبهِ الهُداةِ الأَخيارِ .

وبعدُ :

فهـٰذا كتابٌ يتناولُ موضوعاً هوَ مِنَ الأَهميَّةِ بمكانٍ ؛ أَلاَ وهوَ : تربيةُ الأَطفالِ والنَّاشئةِ .

ومعلومٌ لدىٰ كلِّ عاقلٍ بصيرٍ أَهميَّةُ التَّربيةِ ومكانتُها في سُلَّمِ الحياةِ ، فهيَ أَوَّلُ اللَّبناتِ وأَهمُّها لبناءِ المجتمعاتِ الإِسلاميَّةِ الصَّالحةِ ، والأُسرِ العلميَّةِ الَّتي لها دورٌ عظيمٌ في صناعةِ الحياةِ .

وَإِنَّمَا الأُمَـمُ الأَخْـلاَقُ مَا بَقِيَـتْ   فَإِنْ هُمُ ذَهَبَتْ أَخْلاَقُهُمْ ذَهَبُوا

وكما جاءَ في الآياتِ الكريمةِ والأحاديثِ الشَّريفةِ مِنْ حثٍّ على التربيةِ وتعليمِ الأَطفالِ الأخلاقَ الحسنةَ .

والواردُ شيءٌ كثيرٌ لا نستطيعُ الإلمامَ والإحاطةَ بهِ في هـٰذهِ العُجالةِ ، ولـٰكنْ حسبكَ مِنَ القلادةِ ما أَحاطَ بالجيدِ .

وإنَّما نريدُ أَنْ نلفتَ الانتباهَ إِلىٰ أَهَميَّةِ موضوعِ الكتابِ ، وهوَ يُعَدُّ مِنَ الشُّروحِ المختصراتِ النَّافعةِ والجامعةِ[١] .

فالكتابُ عبارةٌ عن شرحٍ لمنظومةِ الإمامِ مُحَمَّدٍ الرَّمليِّ ، صاحبِ كتابِ : « نهايةِ المحتاجِ بشرحِ المنهاجِ » في فقهِ الشَّافعيَّةِ ، وهوَ أَحدُ أَعلامِ الفقهاءِ الشافعية في القرنِ العاشرِ ، وسيأتي التَّعريفُ بهِ وبمنظومتهِ لاحقاً .

ومن الطريف أن العلامة ابن حجر الهيتمي قد صنف في هـٰذا الباب مصنفاً نافعاً ؛ سماه : « تحرير المقال في أحكام وآداب يحتاج لها مؤدبو الأطفال » ، وكلا الشيخين ابن حجر والرملي رحمهما الله تعالىٰ لهما مكانة كبرىٰ عند متأخري الشافعية .

وقد شرحَ هـٰذهِ المنظومةَ علاَّمةُ وادي حضرموتَ الشَّيخُ أَبو العرفانِ عبدُ اللهِ بنُ أَحمدَ باسودان ، أَحدُ مشاهيرِ الحضارمةِ في القرنِ الثَّالثَ عشرَ الهجريِّ .

ولمَّا كانَ النَّاظمُ والشَّارحُ بهـٰذهِ المنزلةِ والمكانةِ . . فلا ريبَ أَنَّ عِلمَهُما غزيرٌ ، وإِنتاجَهُما العلميَّ وفيرٌ .

---

(١) من أهم وأشهر الكتب المصنفة في تربية الأولاد : كتاب « تربية الأولاد في الإسلام » للشيخ الدَّاعية عبد الله ناصح علوان (ت ١٤١٠هـ) وهو في جزأين ، طبع عدة مرات .

وقد جاءَ هـٰذا الشَّرحُ وافياً بالمقصودِ إنْ شاءَ اللهُ ، وقدِ اعتُني بهِ وعُلِّقَ عليهِ تعليقاتٌ تُكَمِّلُ فوائِدَهُ ، وتُحَلِّي قلائِدَهُ .

فدونَكَهُ شرحاً لطيفاً ، سلساً ميسّراً ، يُسهِّلُ على المعلِّمين تدريسَهُم لهـٰذهِ المنظومةِ ، ويُفيدُ الطّالبينَ والمطَّلعينَ عليهِ فوائدَ جليلةً مفهومةً .

ونسأَلُ اللهَ أَنْ يجعلَ هـٰذا العملَ خالصاً لهُ سبحانَهُ مقبولاً لديهِ ، إنَّهُ وليُّ ذلكَ والقادرُ عليهِ ، ونرجوهُ أَنْ ينفعَ بهـٰذا الشَّرحِ كما نفعَ بأصلهِ ، وأَنْ يرزقنا الإخلاصَ في العملِ ، ويجَنِّبنا الزَّيغَ والزَّللَ .

والحمدُ للهِ ربِّ العالَمينَ

وكتبه

محمد أبوبكر عبدالله باذيب

تريم ـ حضرموت ربيع الأول (١٤١٨هـ) (١)

❊ ❊ ❊

---

(١) وكانت إعادة النظر في هـٰذه الطبعة الثانية بجدة في (١٢) ربيع الأول من عام (١٤٢٨هـ) .

تَرْجَمَةُ النَّاظِم (١)

الإمام العلامة محمد بن أحمد بن أحمد الرملي

(٩١٩ـ١٠٠٤هـ)

اسمهُ ونسَبُهُ

هوَ الإمامُ العلاَّمةُ ، الحبرُ الفهَّامةُ ، شيخُ الإسلامِ ، وعَلَمُ الأَعلامِ : شمسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بنُ أَحمدَ بنِ أَحمدَ بن حمزةَ الرَّمليُّ الأَنصاريُّ ، المصريُّ الشَّافعيُّ .

وصفَهُ العصاميُّ بقولهِ : (إِمامُ الحرمينِ ، وشيخُ المِصْرينِ ، مَنْ كانتِ العلماءُ تكتبُ عنهُ ما يُملي ، مولانا : شمسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بنُ أَحمدَ بنِ حمزةَ الرَّمليُّ ، فاتحُ أَقفالِ مشكلاتِ العلومِ ، ومحيي ما اندرسَ منها مِنَ الآثارِ والرُّسومِ ، أُستاذُ الأُستاذينَ ، وأَحدُ علماءِ الدِّينِ ، علاَّمةُ المحقِّقينَ على الإِطلاقِ ، وفهَّامةُ المدقِّقينَ بالاتِّفاقِ) .

---

(١) من مراجع ترجمته : « خلاصة الأثر » للإمام المحبِّي رحمه الله تعالىٰ (٣/ ٣٤٢) ، و« الأعلام » للعلامة الزركلي رحمه الله تعالىٰ (٦/ ٢٣٥) ، و« معجم المؤلفين » للعلامة رضا كحالة رحمه الله تعالىٰ (٣/ ٦١) ، و« البدر الطالع » للإمام الشوكاني رحمه الله تعالىٰ (٢/ ١٠٢) ، و« هدية العارفين » للعلامة البغدادي رحمه الله تعالىٰ (٢/ ٢٦١) ، و« معجم المطبوعات » ليوسف سركيس (٢/ ٩٥٠ـ٩٥١) .

مولدُهُ ووفاتُهُ

مولدهُ بمصرَ سنة (٩١٩هـ) ، وبها وفاتهُ سنة (١٠٠٤هـ) ، ويُنسبُ إلىٰ قريةٍ بمنوفيةِ مصرَ قربَ (مُنْيةِ العطَّارِ) .

نشأَتُهُ

نشأَ في حِجْرِ والدهِ الإمامِ أَحمدَ شهابِ الدِّينِ الرَّمليِّ رحمهُ اللهُ تعالىٰ ، أَحدِ كبارِ تلامذةِ شيخِ الإسلام زكريَّا الأنصاريِّ رحمهُ اللهُ تعالىٰ (ت ٩٢٦هـ) وعنهُ تلقَّىٰ علومَهُ ومعارفَهُ .

قالَ فيهِ الشَّيخُ عبدُ الوهَّابِ الشَّعرانيُّ عندما ترجمَ لَهُ في « الطَّبقاتِ الوسطىٰ » : (صَحِبْتُهُ منْ حين كنتُ أَحمِلُهُ علىٰ كتفي إلىٰ وقتِنا هـٰذا ، فما رأَيتُ عليهِ ما يَشينُهُ في دِينهِ ، ولا كانَ يلعبُ في صِغرِهِ معَ الأَطفالِ ، بل نشأَ على الدِّينِ والتَّقوىٰ والصِّيانةِ ، وحفظِ الجوارحِ ونقاءِ العرضِ . . . ربَّاهُ والدُهُ فأَحسنَ تربيتَهُ . . .) إلىٰ آخرِ ما قالَ[١] .

شيوخُهُ

اشتهرَ الإمامُ مُحَمَّدٌ الرَّمليُّ بأَنَّهُ تلميذُ أَبيهِ ، فإِنَّهُ أَخذَ عنهُ ولازمَهُ في كلِّ دروسهِ ، وقرأَ عليهِ في العلومِ الشَّرعيَّةِ الشَّيءَ الكثيرَ ، حتَّىٰ إنَّ والدَهُ قالَ : (تركتُ مُحَمَّداً ـ بحمدِ اللهِ ـ لا يحتاجُ إلىٰ أَحدٍ مِنْ علماءِ عصرهِ إلا في النَّادرِ)[٢] .

---

(١) انظر « خلاصة الأثر » (٣/٣٤٣) فقد ذكر الكلام نقلاً عن « طبقات الإمام الشعراني الوسطىٰ » .

(٢) المصدر السابق .

توفِّي والدُهُ سَنةَ (٩٥٧هـ) .

علىٰ أَنَّ لهُ أَخذاً عن شيوخِ عصرهِ المشاهيرِ منهُم أَمثالِ :

ـ شيخِ الإسلامِ أَبي يحيىٰ زكريَّا الأَنصاريِّ السُّنَيْكِي (٨٢٣ ـ ٩٢٦هـ) شيخ الشَّافعيَّةِ في مصرَ في عصرهِ ، حضرَ عليهِ تبرُّكاً ، وكانَ عمرهُ لمَّا توفِّيَ شيخُ الإسلامِ سبعَ سنواتٍ فقط .

ـ الإمامِ برهانِ الدّينِ ابنِ أَبي شريفٍ القدسيِّ ثمَّ المصريِّ الشَّافعيِّ (٨٣٣ ـ ٩٢٣هـ) مِنَ الآخذينَ عنِ ابنِ حجرِ العسقلانيِّ ، والشَّيخِ الإمامِ صالحِ البلقينيِّ ، والجلالِ المحليِّ ، وغيرِهم .

مصنَّفاتُهُ

١ـ حاشيةٌ علىٰ « شرحِ التَّحريرِ » .

٢ـ حاشيةٌ على « العُبابِ » للمزجدِ اليمنيِّ .

٣ـ شرحٌ على « الآجروميَّةِ » ، نسبَهُ لهُ صاحبُ « هديَّةِ العارفينَ » ، وفي « معجمِ المؤَلِّفينَ » أَنَّهُ لوالدهِ .

٤ـ شرحٌ على « البهجةِ الورديَّةِ » .

٥ـ « عمدةُ الرَّابحِ في معرفةِ الطَّريقِ الواضحِ شرحُ هدايةِ النَّاصحِ » .

ـ « غاية البيان شرح زبد ابن رسلان » مطبوع متداول[1] .

---

(١) ولوالده شرح كبير علىٰ « الزبد » يسمىٰ « فتح الرحمـٰن » لم يطبع مع أنه أشهر الشروح ، انظر « جامع الشروح » للحبشي (٢/١٠٠٨) .

٦ـ « غايةُ المرامِ شرحُ أَحكامِ المأْمومِ والإمامِ » والمتنُ لوالدهِ الشِّهابِ الرَّمليِّ .

٧ـ « الغررُ البهيَّةُ شرحُ المناسكِ النَّواويَّةِ » .

٨ـ « فتحُ الملكِ المعبودِ شرحُ العقودِ » في النَّحوِ ، عن « هديَّةِ العارفينَ » وعدَّ في « الهديَّةِ » كتاباً آخَرَ سمَّاهُ : « شرحُ العنقودِ » وأصلُهما كتابٌ واحدٌ .

٩ـ « فتاوى الرَّمليِّ » طُبعتْ عدة مرَّاتٍ ، أُولاها ببولاق سنة (١٢٩١هـ) ، « سركيس » .

١٠ـ « نهايةُ المحتاجِ شرحُ المنهاجِ » وهوَ أشهرُ كتبهِ وأَكثرُها نفعاً ، مطبوعٌ ومنتشرٌ ، شرعَ في تأليفهِ سنةَ (٩٦٣هـ) وفرغَ منهُ سنةَ (٩٧٣هـ) .

وعليهِ حواشٍ ؛ منها : « حاشيةُ الشَّيخِ عليِّ بنِ عليٍّ الشبراملّسيِّ » رحمه الله تعالىٰ (١٠٥٣هـ) . و« حاشية الشَّيخِ أَحمدَ الرَّشيديِّ » رحمه الله تعالىٰ (١٠١٤هـ) طُبعتا بهامشِ « النِّهايةِ » .

ـ حاشية علىٰ « فتح الجواد بشرح منظومة ابن العماد » ، لوالده ، ذكرها الحبشي في « جامع الشروح والحواشي » (٢/ ١٨٩٥) .

ملحوظةٌ هامَّةٌ

وهم العلامة البغداديُّ صاحبُ « هديَّةِ العارفينَ » بنسبة كتاب « فتح الجواد بشرح منظومة ابن العماد » ـ وهي منظومة المعفوات الشهيرة ـ إلى

الشمس الرملي مترجمنا ، بينما هو تأليف والده الشهاب أحمد بن حمزة .

وذكر أستاذنا السيد عبد الله الحبشي في « جامع الشروح والحواشي » (٢/ ١٨٩٥) أن للشمس الرملي ـ مترجمنا ـ حاشية علىٰ شرح والده ، وذكر مواضع وجودها ، ثم عقب بقوله : (وسيأتي « حاشية الرشيدي » علىٰ هـٰذه الحاشية . . . إلخ) .

بينما الصواب أن « حاشية الرشيدي » هي علىٰ شرح الوالد ، وهي بين يدي ، وقد طبعت في مطبعة البابي الحلبي سنة (١٣٧٣هـ) ومعها تقريرات العلامة سليمان الجمل على الشرح أيضاً ، والله أعلم .

* * *

تَرْجَمَةُ الشَّارِحِ (١)

الشَّيخ العَلَّامَةِ الإمام عبدِ اللهِ بن أحمد باسَوْدَان

(١١٧٨ـ ١٢٦٦هـ)

اسمُهُ ونَسبُهُ

هوَ الشَّيخُ المحقِّقُ ، الفقيهُ العلاَّمةُ ، البحر الفهَّامةُ : عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ اللهِ بن مُحَمَّد بنِ عَبدِ الرَّحمـٰنِ باسودان ، الكنديُّ المقداديُّ ، الخُرَيبيُّ الدَّوعنيُّ ، الحضرميُّ الشَّافعيُّ ، مِنْ ذرِّيَّةِ الشَّيخِ العارفِ باللهِ عمرَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ أَبي النَّشواتِ ، المنتهي نسبُهُ إلى الصَّحابيِّ الجليلِ المقدادِ بنِ الأَسودِ الكنديِّ رضي اللهُ عنهُ .

وأَمَّا عنِ اسمِ (باسودان) : فيذكرُ المؤرِّخونَ لإطلاقهِ على هـٰذهِ الأُسرةِ سبباً ؛ وهوَ : أَنَّ جدَّهُ الأَعلى الشَّيخَ عمرَ المذكور كانَ يسكنُ في

---

(١) مصادر ترجمته : « عقد اليواقيت الجوهرية » لتلميذه عيدروس بن عمر الحبشي (٢/ ٣٢ـ٤١) ، و« فهرس الفهارس والأثبات » للسيد عبد الحي الكتاني الفاسي (١/ ١٦٤ ، ٢٦٨) ، و« الأعلام » للعلامة الزركلي (٤/ ١٩٥) ، و« تاريخ الشعراء الحضرميين » للسيد عبد الله السقاف (٣/ ٧٥) ، و« رحلة الأشواق القوية » لباكثير وتعليقات السقاف عليها (ص ١٤٨ـ١٥٠) ، و« معجم المؤلفين » (٢/ ٢٢٥) ، و« الروض الأغن في معرفة المصنفين باليمن ومصنفاتهم في كل فن » للسيد عبد الملك أحمد قاسم حميد الدين (٢/ ٤٩ـ٥٠) ، و« مصادر الفكر الإسلامي في اليمن » عبد الله محمد الحبشي ، و« الشامل في تاريخ حضرموت » للسيد علوي بن طاهر الحداد (ص ١٤٠) ، و« نيل الوطر » محمد محمد زبارة الصنعاني (٢/ ٦٠) ، ومقدمة كتابه « الأنوار اللامعة شرح الرسالة الجامعة » (ص ٢٧) .

باديةِ حضرموتَ في قريةٍ يقالُ لها : غيلُ سودان بقربِ ساه ، ثمَّ انتقلَ عنها إلىٰ دوعن لمَّا سمعَ بظهورِ الشَّيخِ سعيدِ بنِ عيسى العموديِّ (ت ٦٧٠هـ) . . فرحلَ إليهِ ، وتوطَّنَ الخُرَيبةَ ونسلُهُ بها ، ونُسبوا إلىٰ قريتهِ الأُولىٰ .

مولدُهُ ونشأَتُهُ

ولدَ الشَّيخُ عبدُ اللهِ بنُ أَحمدَ في باديةِ وادي دَوعنَ الأَيمن ، ذلكَ الوادي المنوَّرُ ، المعروفُ بوادي الفقهاءِ ؛ لكثرةِ مَنْ ظهرَ بهِ مِنَ الفقهاءِ الكبارِ .

وكانَ مولدهُ في سنةِ ثمانٍ وسبعينَ ومئَةٍ وأَلفٍ ، ونشأ نشأَةً صالحةً ، وقرأَ القرآنَ الكريمَ وبعضَ المبادىءِ علىٰ بعضِ معلِّمي بلدته الخريبة ، ونظراً لقربِ بلدةِ القُرَين مِنْ بلدتهِ . . فقد كانَ اتِّصالُهُ بعلمائِها الَّذينَ برزوا آنذاكَ اتِّصالاً كبيراً ، وهم السَّادةُ الأَشرافُ آلُ البارِ ، فعكفَ علىٰ أَبوابهِم ولازمَ أَعتابَهُم منذُ نعومةِ أَظفارهِ ، وكانَ لتلكَ الملازمةِ أَقوى الأَثرِ وأَبلغُهُ في تكوين شخصيته .

حليتُهُ وأَوصافُهُ

وصفَهُ تلميذهُ الإمامُ عيدروسُ بن عمرَ الحَبْشيُّ (ت ١٣١٤هـ) بقولهِ : (وأَجدرُ مَنْ يُقدَّمُ أَوَّلاً لِسَبْقِهِ علماً وعرفاناً ـ وهوَ : الثَّامن عشر مِنْ أَشياخي ـ الشَّيخُ المحقِّقُ في علومِ الشَّرائعِ والعرفانِ ، العلَويُّ طريقةً ، المقداديُّ نسبةً . . . إلخ) .

وحلاَّهُ ابنُ عبيدِ اللهِ (ت ١٣٧٥هـ) في « معجمهِ » بقوله : (ومِنْ علماءِ الخريبةِ : الشَّيخُ العظيمُ المقدارِ . . . كانَ مِنَ العِلْمِ بالمكانةِ العاليةِ) .

ووصفَهُ السَّيِّدُ الحجَّةُ علويُّ بنُ طاهرٍ الحدَّادُ (ت ١٣٨٢هـ) في « الشَّاملِ » بقولهِ : (وأَمَّا أَشهرُ مشاهيرِها ـ يعني الخريبةَ ـ وشمسُ بهجتِها ونورُها ، والزَّاهي عصرُهُ بها علىٰ سائرِ عصورِها . . فهوَ الشَّيخُ الإمامُ ، عَلَمُ الإسلامِ ، خاتمةُ العلماءِ المحقِّقينَ ، وسلمانُ أَهلِ البيتِ الطَّاهرينَ . . . كانَ مِنْ أَهلِ العِلْمِ وَالعملِ ، والتَّعليمِ والدَّعوةِ إلى اللهِ ، والعبادةِ والزُّهدِ والشُّهرةِ بذلكَ ، معظَّماً محترماً معتَقَداً ، مقصوداً مِنْ سائرِ النَّواحي لأَخْذِ العِلْمِ عنهُ . . . فكانتِ الخريبةُ في زمنهِ مثابةَ طلاَّبِ العِلْمِ مِنَ النَّواحي ، وكعبةَ المستفيدينَ والسَّائِلينَ ، وكانت غرفُ المسجدِ الجامعِ ومدرسةُ الشَّيخِ عبدِ اللهِ باسودان مملوءةً بالطَّلبةِ ، لا تخلو عن تدريسٍ ، ومطالعةٍ ومباحثةٍ ، واستفادةٍ وإفادةٍ . وأَكثرُ مَنْ أَدركناهُم مِنْ أَهلِ العِلْمِ والنقلِ أَخذوا عنهُ وعن ولده العلاَّمةِ الفقيهِ مُحَمَّد . . .) إلىٰ آخرِ ما قالَ ، وهو كلامٌ نفيسٌ .

طلبُهُ للعِلْمِ ورحلاتُهُ

كانَ وادي دوعن آنذاكَ يزخرُ بكثيرٍ مِنَ الرِّجالِ أَساطينِ العِلْمِ والفقهِ ، وأَربابِ الزُّهدِ والاستقامةِ والمعرفةِ باللهِ ، وغيرِ ذلكَ مِن الأَوصافِ العظيمةِ والَّتي تحلَّىٰ بها كافَّةُ علماءِ حضرموتَ قاطبةً ؛ ولذلكَ فإِنَّ تفقُّهَهُ وتعلُّمَهُ الأَساسيَّ كانَ بدوعن ما بينَ الخُرَيبةِ والقُرَينِ .

ونتيجةً لملازمتهِ لشيخهِ السَّيِّدِ العارفِ الإمامِ الرَّبَّانيِّ عمرَ بنِ عبدِ الرَّحمـٰنِ البار الثَّاني . . فقد كانَ يأْخذُهُ معَهُ إِلىٰ حضرموتَ لزيارةِ شبام وسيؤون وتريم والأَخذِ عمَّنْ بها مِنَ الرِّجالِ أَهلِ الدِّينِ والعِلْمِ المتينِ .

وكانت سنةُ (١٢٠٩هـ) آخرَ سنةٍ يزورُ حضرموتَ فيها مع شيخهِ .

ثمَّ في سنةِ (١٢١٢هـ) توجَّهَ بمعيَّةِ شيخهِ المذكورِ إِلى الحرمينِ الشَّريفينِ لتأْديةِ النُّسكَينِ ، ودخلَ معَ شيخهِ اليمنَ ، وزارَ زبيد ونواحيها ، وأَخذَ عمَّنْ بها كما سيأْتي ذِكرُهُم ، فإِذا بالمنيَّةِ تنشبُ أَظفارها في شيخهِ فيتوفَّىٰ علىٰ متنِ السَّفينةِ ، فجهَّزوهُ ودفنوهُ في مرسىٰ جلاجل علىٰ ساحلِ البحرِ قربَ القنفذة[1] ، وواصلَ سيرَهُ ، وكانَ بصحبتهِ بعضُ العلويِّين ، وحجَّ وزارَ المدينةَ بمعيَّةِ السَّيِّدِ الجليلِ شيخِ بنِ مُحَمَّدٍ الجفريِّ (ت١٢٢٢هـ) صاحبِ مليبار ، ثمَّ عادَ إِلىٰ حضرموتَ .

شيوخُهُ

أَخذَ صاحبُ التَّرجمةِ عن كثيرٍ مِنَ الشُّيوخِ الأَكابرِ مِنْ فقهاءَ وعلماءَ عارفينَ ، زهَّادٍ عبَّادٍ ، وقرأَ علىٰ كثيرٍ منهُم ، إِلاَّ أَنَّ في مقدِّمتهِم ثلاثةَ شيوخٍ كانَ لهُم المنَّةُ الكبرىٰ عليهِ في التَّعلُّمِ والاستفادةِ ؛ لكثرةِ ملازمتهِ لهُم ؛ وهُم :

١ـ السَّيِّدُ الإِمامُ الجليلُ : عمرُ بنُ عبدِ الرَّحمـٰنِ بنِ عمرَ بنِ عبد الرَّحمـٰنِ البار (ت ١٢١٢هـ) المعروفُ بصاحبِ جلاجل ، وفيهِ يقولُ صاحبُ التَّرجمةِ في إجازة منه لبعضِ تلامذته : (وقدِ اتَّصلتُ بكثيرٍ

---

(١) ولذلك قصة طويلة قصَّها المترجم في كتابه « فيض الأسرار » .

مِنْ أَئِمَّتهم وأَعيانِهم ـ أي : علماء حضرموت في عصره ـ ممَّنْ يربو الإِيمانُ في قلبِ النَّاظرِ إِليهم مِنْ حقيقةِ إِيمانِهم ، وكانَ معرفتي لأَكثرِ مَنِ اتَّصلتُ بهِ منهُم : سيِّدي وإِمامي ، ومقوِّمُ أَوَدِ إِيماني وإِسلامي ، أَحدُ محارمِ الولايةِ الكاشفينَ عن وجوهِ مخدَّراتِها ، وبدورِ الهدايةِ الطَّالعينَ في سماءِ بيناتِها ، الشَّيخُ الجامعُ للأَسْرارِ والأَنوارِ . . . إِلخ) ولهُ فيهِ مدائِحُ ، وصنَّف مصنَّفاً ضخماً شرحَ فيهِ قصيدةَ السَّندِ لهُ وسماه « فيض الأسرار » شحنه علماً وتاريخاً وتراجم وأخباراً .

٢ـ أَخوهُ السَّيِّدُ الإِمامُ العارفُ : عيدروسُ بنُ عمرَ البار (ت ١٢٢٥هـ) .

٣ـ الشَّيخُ العارفُ باللهِ : عبدُ اللهِ بنُ فارسٍ باقيس الدَّوعنيُّ ، تلميذُ الشَّيخِ مُحَمَّد بنِ ياسين باقيس ، تلميذ الإِمامِ الحدَّادِ .

وبعدَ هٰؤُلاءِ الثَّلاثةِ الأَعلامِ نسردُ بقيَّةَ الشَّيوخِ مرتَّبينَ علىٰ حروفِ الهجاءِ ، وسأَقتصرُ علىٰ ذِكرِ اسمِ الشَّيخِ وسَنةِ مولدهِ ووفاتهِ دونَ بقيَّةِ التَّفاصيلِ ؛ رَوْماً للاختصارِ ، وهُم :

٤ـ السَّيِّدُ الجليلُ : أَحمدُ بنُ جعفرِ بنِ أَحمدَ بنِ زينٍ الحبشيُّ (ت ١٢٥٤هـ) .

٥ـ السَّيِّدُ الجليلُ الحبيبُ : أَحمدُ بنُ الحسنِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ علويٍّ الحدَّادُ (ت ١٢٠٤هـ) .

٦ـ السَّيِّدُ العلاَّمةُ المفنِّنُ : أَحمدُ بنُ علويٍّ باحسن جمل اللَّيلِ المدنيُّ (ت ١٢١٢هـ) .

٧ـ السَّيِّدُ الشَّريفُ الصَّالحُ : أَحمدُ بن عليٍّ بنِ أَحمدَ بنِ أَبي الغيثِ القُدَيميُّ (ت ١٢١٧هـ) .

٨ـ السَّيِّـدُ الـدَّاعيـةُ المـرشـدُ : جعفـرُ بـنُ مُحَمَّـدٍ العطَّـاسُ (ت ١٢٠٧هـ) .

٩ـ الإمامُ الكبيرُ السَّيِّدُ : حامدُ بنُ عمرَ حامدٍ باعلويّ التَّريميُّ (ت١٢٠٤هـ) .

١٠ـ السَّيِّدُ الصَّالحُ : حسينُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ سهلٍ جملُ اللَّيلِ (ت ١٢٠٥هـ) .

١١ـ العلاَّمةُ الفقيهُ : سقَّافُ بنُ مُحَمَّدٍ الجفريُّ (ت ١٢٣٥هـ) .

١٢ـ العـالـمُ الجليـلُ المسنِـدُ : شيـخُ بـنُ مُحَمَّـدٍ الجفـريُّ (ت ١٢٢٢هـ) .

١٣ـ العلاَّمةُ الفقيهُ الشُّجاعُ : طاهرُ بنُ حسينِ بنِ طاهرٍ العلويُّ (ت ١٢٤٢هـ) .

١٤ـ السَّيِّدُ العالمُ الفاضلُ : عبد الرَّحمـٰنِ بنُ حامدِ بنِ عمرَ حامدٍ .

١٥ـ العلاَّمةُ المفنِّنُ ، مسنِدُ عَصْرِهِ : عبد الرَّحمـٰن بنُ سليمانَ الأَهدلُ (ت ١٢٥٠هـ) أجازه مراسلة .

١٦ـ السَّيِّدُ المرشدُ العلاَّمةُ : عبد الرَّحمـٰنِ بنُ مُحَمَّدِ بنِ زينِ بن سميطٍ الشِّباميُّ (ت ١٢٢٣هـ) .

١٧ـ العلاَّمةُ الفقيهُ : عبدُ اللهِ بنُ سليمانَ الجرهَزِيُّ الزَّبيديُّ (ت ١٢٠١هـ) .

١٨ـ السَّيِّدُ الشَّريفُ : عمرُ بنُ أَحمدَ بنِ حسنٍ الحدَّادُ .

١٩ـ الإمامُ السَّيِّدُ المرشدُ ، العالمُ الرَّبَّانيُّ : عمرُ بنُ زينِ بنِ سميطٍ الشِّباميُّ (ت ١٢٠٧هـ) .

٢٠ـ الإمامُ الشَّهيرُ ، السَّيِّدُ العلاَّمةُ : عمرُ بنُ سقَّافِ بنِ مُحَمَّدٍ السَّقَّافُ (ت ١٢١٦هـ) .

٢١ـ علاَّمةُ مكَّةَ المكرَّمةِ السَّيِّدُ : عمرُ بنُ عبدِ الرَّسولِ العطَّارُ .

٢٢ـ السَّيِّدُ الشَّريفُ النَّسَّابةُ : عليُّ بنُ شيخٍ ابن شهابِ الدِّينِ .

٢٣ـ الإمامُ الكبيرُ المسنِدُ العلاَّمةُ : عليُّ بنُ عبدِ اللهِ الونائِيُّ المكيُّ (ت ١٢١٢هـ) .

٢٤ـ العلاَّمةُ السَّيِّدُ الشَّريفُ : عليُّ بنُ مُحَمَّدٍ البَيْتِيُّ المدنيُّ .

٢٥ـ السَّيِّدُ الشَّريفُ : محسنُ بنُ علويٍّ مُقَيْبِل المدنيُّ .

٢٦ـ السَّيِّدُ الشَّريفُ : مُحَمَّدُ بنُ أَبي بكرٍ العيدروسُ .

٢٧ـ العلاَّمةُ الشَّهيرُ الفقيهُ : مُحَمَّدُ صالح بنُ إبراهيمَ الرَّيس الزَّمزميُّ المكيُّ (ت ١٢٤٠هـ) .

٢٨ـ السَّيِّدُ الشَّريفُ الصَّالحُ : مُشَيَّخُ باعبود المدنيُّ .

هٰؤُلاءِ الشُّيوخُ الَّذينَ ذكرهُم مصنف « عقدِ اليواقيتِ » ، وتفصيلُ أَخْذِهِ عنهُم وكيفيَّةُ اتِّصالهِ بهِم شيءٌ كثيرٌ يطولُ علىٰ هٰذهِ التَّرجمةِ

المختصرةِ ، وفي « عقدِ اليواقيتِ » شيءٌ مِنْ ذلكَ ، وأَكثرُ منهُ في « فيضِ الأَسرارِ » و« حدائِقِ الأَرواحِ » للمترجم فلتراجعْ .

تلاميذهُ والآخذونَ عنهُ

كثيرٌ جدّاً همُ الآخذونَ عنِ الشَّيخِ عبدِ اللهِ باسودان رحمَه اللهُ تعالىٰ ، ويصعبُ حصرهم وتعدادهُم .

وتقدَّمَ كلامُ العلاَّمةِ علويِّ بنِ طاهرٍ الحدَّادِ في وصفِ المترجَمِ ومكانتهِ العلميَّةِ ، وذكرَ أَنَّ الخريبةَ كانتْ في زمنهِ موئِلاً لطلاَّبِ العلومِ الشَّرعيَّةِ ، ثمَّ قالَ : (ولوِ اعتنىٰ أَحدٌ مِنْ أَهلِ عصرهِ بجمْعِ تراجمهِم . . لاقتضىٰ ذلكَ مجلَّداً) اهـ

وسأَذكرُ هنا أَعلامَ تلامذتهِ ومشاهيرَهُم ؛ ليكوِّنَ القارىءُ صورةً عن علوِّ مقامِ هـٰذا الإِمامِ ، فأَكثرُ الآخذينَ عنهُ هُم مِنْ كبارِ علماءِ وادي حضرموتَ وأَعيانهِ ، وهُم على التَّرتيبِ الهجائِيِّ :

١ـ الشَّيخُ الفقيهُ : أَحمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ أَحمدَ باسودان ، ابنُهُ . لَم أَقفْ علىٰ تاريخِ مولدهِ أَو وفاتهِ .

٢ـ السَّيِّدُ الجليلُ ، المسندُ العلاَّمةُ : أَحمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عيدروس البار (ت ١٣١١هـ) صاحبُ القرينِ .

٣ـ الشَّيخُ العلاَّمةُ الفقيهُ الأَديبُ : أَحمدُ بنُ عمرَ بنِ سالمٍ باذيب (١٢١١ـ ١٢٨٦هـ) صاحبُ سنغافورة . وقفتُ علىٰ رسالةٍ بخطِّ يدهِ يصفُ صاحبَ التَّرجمةِ بـ(الشيخ الوالدِ) دلالةً علىٰ قوَّةِ رابطتهِ بهِ .

٤ـ الشَّيخُ الصَّالحُ الجدُّ : أَحمدُ بنُ مُحَمَّدِ بن عُبُود باذيب .

٥ـ الإمامُ الكبيرُ ، السَّيِّدُ الجليلُ : أَحمدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ علويٍّ المحضارُ ، صاحبُ القويرةِ (ت ١٣٠٤هـ) .

٦ـ الحبيبُ المرشدُ ، الوليُّ الصَّالحُ : صالحُ بنُ عبدِ اللهِ العطَّاسُ ، صاحبُ عمد (ت ١٢٧٩هـ) .

٧ـ الحبيبُ الإمامُ العلاَّمةُ : حسينُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عيدروسٍ البار (ت ١٣٣٠هـ) .

٨ـ الحبيبُ الإمامُ القدوةُ : طاهرُ بنُ عمرَ بنِ أَبي بكرٍ الحدَّادُ ، صاحبُ قيدون (ت ١٣١٩هـ) .

٩ـ السَّيِّدُ الجليلُ العلاَّمةُ : عبدُ الرَّحمـٰنِ بنُ عليٍّ بنِ عمرَ السَّقَّافُ (ت ١٢٩٣هـ) .

١٠ـ السَّيِّدُ الأَديبُ العلاَّمةُ : عبدُ الرَّحمـٰنِ بنُ مُحَمَّدِ بنِ شهابِ الدِّينِ (ت ١٢٩٠هـ) .

١١ـ الشَّيخُ الفقيهُ العلاَّمةُ : عبدُ اللهِ بنُ أَبي بكرِ بنِ عمرَ بايوسُفَ الكنديُّ الشِّباميُّ توفي بعد (١٢٨١هـ) .

١٢ـ الإمامُ الكبيرُ ، المفتي الفقيهُ : عبدُ اللهِ بنُ حسينٍ بلفقيه التَّريميُّ (ت ١٢٦٦هـ) .

١٣ـ السَّيِّدُ الجليلُ ، العلاَّمةُ الصُّوفيُّ : عبد الله بن طـٰه الهدَّار الحدَّاد ، صاحب حاوي الحوطة (ت ١٢٩٤هـ) .

١٤ـ المفتي الأَكبرُ ، السَّيِّدُ العلاَّمةُ : عبدُ اللهِ بنُ عمرَ بنِ يحيى العلويُّ ، صاحبُ (المسيلة) (ت ١٢٦٥هـ) ، تبادل الأخذ مع المترجم .

١٥ـ السَّيِّدُ الجليلُ الدَّاعيةُ المرشدُ : علويُّ بنُ زينِ بنِ عبدِ اللهِ الحَبْشيُّ ، صاحبُ ثبي (ت ١٢٧٢هـ) .

١٦ـ العلاَّمةُ الذَّائِقُ السَّيِّدُ : طـٰهَ بنُ عمرَ بنِ طـٰهَ البار ، صاحبُ القرينِ .

١٧ـ العلاَّمةُ الفقيهُ ، الصَّالحُ السَّيِّدُ : عمرُ بنُ أحمد الجيلانيُّ (ت ١٣٢٩هـ) ، صاحبُ الخريبةِ ، وهو زوج ابنته .

١٨ـ السَّيِّدُ المرشدُ ، الفاضلُ العلاَّمةُ : عمرُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عُمرَ ابن سميطٍ الشِّباميُّ (ت ١٢٨٥هـ) .

١٩ـ السَّيِّدُ الفقيهُ العالمُ : عيدروسُ بنُ أَحمدَ بنِ شهابِ الدِّينِ .

٢٠ـ الإِمامُ الأَكبرُ والمسنِدُ الأَشهرُ ، علاَّمةُ حضرموتَ : عيدروسُ بنُ عمرَ الحبشيُّ (١٢٣٧ـ ١٣١٤هـ) .

٢١ـ مفتي سيؤون ، وقاضيها الحبيبُ : محسنُ بنُ علويِّ بنِ سقَّافٍ (ت ١٢٩١هـ) .

٢٢ـ السَّيِّدُ الجليلُ المرشدُ : مُحَمَّدُ بنُ عبد الرَّحمـٰن الحدَّادُ (ت ١٢٦٤هـ) .

٢٣ـ ابنُـهُ العلاَّمةُ الفقيهُ : مُحَمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ باسودان (١٢٠٦ـ١٢٨٢هـ) .

هٰؤلاءِ أبرزُ من عرفتُ من الآخذينَ عنهُ والمتفقِّهينَ علىٰ يديهِ .

أُسرةُ المصنِّفِ وذرِّيَّتُهُ

قبلَ أَنْ أُعرِّجَ علىٰ مصنَّفاتهِ ووصفِها يتوجَّبُ عليَّ هنا أَنْ أَذكرَ مشاهيرَ أَبنائِهِ وعلماءَهُم وأَخبارَهُم :

خَلَّفَ صاحبُ التَّرجمةِ منَ البنين ـ حسبَ عِلمي ـ خمسةً ؛ وهُم :

١ـ الشَّيخُ مُحَمَّدٌ وهوَ أَشهرُهُم ، وسوف أَذكرهُ قريباً .

٢ـ الشَّيخُ أَحمدُ ، ذُكرَ في الآخذينَ عن أَبيهِ .

٣ـ الشَّيخُ علي .

٤ـ الشَّيخُ عبدُ القادرِ .

٥ـ الشَّيخُ أَبو بكرٍ .

وفيهم مَنْ أَعْقَب ، وفيهم مَنْ قُرضَ نسلُهُ .

أَمَّا أَشهرُهُم على الإطلاقِ . . فهوَ الشَّيخُ مُحَمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ ، ولدَ سنةَ (١٢٠٦هـ) وتربَّىٰ في حجرِ والدهِ وعلَّمَهُ وربَّاهُ ، وشاركَ والدَهُ في الأَخذِ عن كثيرينَ ، كالوجيهِ الأَهدلِ مفتي زبيد ، وعلماءِ مكَّةَ مُحَمَّد صالح الرَّيِّس ، وعمرَ العطَّارِ ، وجمعٍ غيرِهم .

قالَ ابنُ عبيدِ اللهِ السَّقَّافُ : (وقد سمعتُ والدي وغيرَهُ مِنَ الأَجلاَّءِ

الثِّقاتِ أَنَّ الشَّيخَ مُحَمَّداً باسودان كانَ أَوسعَ مِنْ أَبيهِ في الفقهِ ، وفتاوِيهِ شاهدُ عدلٍ علىٰ ذلكَ ، توفِّيَ بالخريبةِ سنةَ « ١٢٨١هـ ») اهـ

مصنَّفاتُ الشَّيخِ عبدِ اللهِ باسودان

١ـ « الإِفصاحُ عن أَحكامِ النِّكاحِ » : منهُ نسخةٌ بمكتبةِ الأَحقافِ بتريم (٣١٠٩) .

٢ـ « الأنوارُ اللاَّمعةُ والتَّتمَّاتُ الواسعةُ على الرِّسالةِ الجامعةِ » وهوَ شرحٌ علىٰ « الرِّسالةِ الجامعةِ » تصنيفُ الإمامِ القدوةِ أَحمدَ بنِ زينٍ الحبشيِّ (ت ١١٤٥هـ) ، متنٌ مشهورٌ وشرحَهُ كثيرونَ ، وشرحُ المصنِّفِ هٰذا أَوسعُ الشُّروحِ وأَجمعُها ، منهُ نسخةٌ بالأَحقافِ (١٥٣٢)[1] .

٣ـ « بهجةُ النُّفوسِ في ترجمةِ الشَّيخِ مُحَمَّدٍ بامشموس » مناقبُ لطيفةٌ للعارفِ باللهِ الشَّيخِ مُحَمَّدٍ بامشموس الدَّوعنيِّ (ت ١١٥٨ هـ) دفين القرين .

٤ـ « تعريفُ التَّيقُّظِ والانتباه لما يقعُ في مسأَلَةِ الكفاءَةِ مِنَ الاشتباه » ومنها نسخةٌ بالأَحقافِ (٣٠٤٦) ونسخةٌ بالغرفةِ (١٢٣٥) .

٥ـ « تنفيسُ الخواطرِ بشرحِ خُطبةِ الحبيبِ طاهرٍ » يقعُ في مجلَّدٍ كبيرٍ أَو مجلَّدينِ ، منهُ نسخةٌ بالأَحقافِ (٢٥٥٨) و(١٥٧٤) ويسمِّيهِ

---

(١) طبع بعناية كاتب هٰذه السطور ، وتقديم فضيلة شيخنا السيد عمر الجيلاني ، وصدر عن دار الفتح ، الأردن ، الطبعة الأولىٰ سنة (١٤٢٤هـ) .

بعضُهم : « التَّوشيحاتُ الجوهريَّةُ على الخُطبةِ الطَّاهريَّةِ » . انظر : « تعليقات السَّقَّافِ علىٰ رحلةِ الأَشواقِ القويَّة » .

٦ـ « جاليةُ الأَكدارِ وجالبةُ المسارِّ » كتابٌ وعظيٌّ لَطِيفٌ ، يوجدُ بالأَحقافِ (٢٨٣٢) .

٧ـ « جواهرُ الأَنفاسِ بمناقبِ السَّيِّدِ عليِّ بنِ حسنٍ العطَّاس وبعضِ أَصحابِ الشَّيخِ عبدِ اللهِ الحدَّادِ والشَّيخِ عليٍّ باراس » في مجلَّدٍ ضخمٍ ، منهُ نسخةٌ بالأَحقافِ (٢٠٣٦) .

٨ـ « حدائِقُ الأَرواحِ في بيانِ طرقِ أَهلِ الهدىٰ والصَّلاحِ » ذكرهُ المصنِّفُ في هـٰذا الكتابِ « السِّمط » ومنهُ نسخةٌ بالأَحقافِ (١٥٩٢) .

٩ـ « ديوانُ الشَّيخِ عبدِ اللهِ باسودان » يوجدُ بالأَحقافِ (٢٥٥٦) .

١٠ـ « الذَّخائِرُ الفاخرةُ في مصالحِ الدُّنيا والآخرةِ » وعظٌ ، منهُ نسخةٌ بالأَحقافِ (١٦٤٢) .

١١ـ « ذخيرةُ المعادِ بشرحِ راتبِ الإِمامِ الحدَّادِ » طُبعَ بمصر مرتين : أُولاها بهامشِ كتابِ « عقدِ اليواقيتِ الجوهريَّةِ » لتلميذِهِ عيدروسِ بن عمرَ الحبشيِّ ، والأُخرىٰ بدارِ المدنيِّ علىٰ نفقةِ الشَّيخِ سراج كعكي .

١٢ـ « زيتونةُ الإِلقاحِ شرحُ ضوءِ المصباحِ في فقهِ النِّكاحِ » : و« ضوءُ المصباحِ » منظومةٌ لهُ كذلكَ ، منهُ نسخةٌ بالأَحقافِ (٣٠٥٦) وصدر عن دار المنهاج بجدة .

١٣ـ « سِمطُ العِقيانِ شرحُ رياضةِ الصِّبيانِ » وهوَ كتابُنا هـٰذا ، وسيأْتي الحديثُ عنهُ إن شاء الله .

١٤ـ « ضـوءُ المصبـاحِ فـي فقـهِ النِّكـاحِ » منظـومـةٌ ، منهـا نسخـةٌ بالأحقافِ (٣٠٣٢) ، وعليها شرحٌ للمصنِّفِ « زيتونةُ الإلقاحِ » ، ولها شرحٌ آخَرُ للعلاَّمةِ شيخِ الجامعِ الأَزهرِ البرهانِ الباجوريِّ (ت ١٢٧٣هـ) وقد طبع هٰذا الشرح أيضاً ملحقاً بالشرح الأول وصدر عن دار المنهاج بجدة .

١٥ـ « عدَّةُ المسافرِ وعمدةُ الحاجِّ والزَّائرِ » في فقهِ المناسكِ ، منهُ نسخةٌ بالأَحقافِ (٨٤١) ، وقد طُبِعَ في مصرَ بمطبعةِ المدنيِّ سنةَ (١٩٧٧م) .

١٦ـ « فتاوىٰ باسودان » لَم تُجمعْ فتاواهُ علىٰ حدةٍ ـ حسبما أَعلمُ ـ لٰكنَّها جُمعتْ إلىٰ جانبِ فتاوىٰ أُخرىٰ لمعاصريهِ ، قامَ بعضُ تلامذتهِ المعتنينَ بجمعها ، منها :

ـ « فتاوىٰ علماءِ العصرِ » للفقيهِ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ باناجه ، منها نسخةٌ بالأَحقاف (٢٥٤٧) .

والفقهاء الآخرون هم : مُحَمَّدُ الصالح الرَّيِّسُ ، عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ سليمان الأَهْدَلُ ، وسعيدُ باعشن .

ـ « فيضُ المنَّانِ بفتاوىٰ باعشن وباسودان » جمعُ الفقيهِ سعيدِ بنِ عبدِ اللهِ بادكوك ، مِنْ أَهلِ القرينِ أَو الخريبةِ ، ذكرهُ السَّيِّدُ عبدُ اللهِ مُحَمَّدٌ الحبشيُّ في فهارسِ بعضِ المكتباتِ الخاصَّةِ باليمنِ الصَّادرِ عن دارِ الفرقانِ بلندن .

١٧ـ « الفتوحاتُ العرشيَّةُ بشرحِ الأَبياتِ الحبشيَّةِ » مفقود .

١٨ـ « فيضُ الأَسرارِ بشرحِ سلسلةِ شيخِنا الحبيب عمرَ بنِ عبدِ الرَّحمـٰنِ البار » في مجلَّدينِ ضخمين ، وهو مِنْ أَوسعِ مصنَّفاتهِ وأَجمعِها ، وقد ذكره في هـٰذا الكتاب ، منه نسخة بالأَحقافِ (٢١٤٨) الجزءُ الأَوَّلُ فقط .

١٩ـ « كشحُ المذامِّ الرُّعونيَّةِ عن طغامِ الدِّيارِ الدَّوعنيَّةِ » منهُ نسخةٌ بالأَحقافِ (٢٨٣٢) .

٢٠ـ « لمحةُ اللُّحاظِ ومنحةُ الأَيقاظِ » منهُ نسخةٌ بالأَحقافِ (٢٨٣٢) .

٢١ـ « لوامعُ الأَنوارِ بشرحِ رشفات الأَبرارِ » ويذكرهُ بعضهُم بعنوانِ : « مطالعِ الأَنوارِ » وهُما كتابٌ واحد . و« الرَّشفاتُ » قصيدةٌ جليلةٌ للسَّيِّدِ الشَّريفِ العلاَّمةِ عبدِ الرَّحمـٰنِ بنِ عبدِ اللهِ بلفقيه التَّريميِّ (ت ١١٦٤هـ) منهُ نسخة بالأَحقاف (١٨٧٨) ، ونسخةٌ بمنزلِ أَحفادهِ بالخريبةِ بخطِّ ابنهِ أَبي بكر بن عبدِ اللهِ باسودان ، وقد طبع .

٢٢ـ « مِنَحُ الفتَّاحِ بشرحِ أَذكارِ المساءِ والصَّباحِ » وهوَ شرحٌ علىٰ « الوردِ الكبيرِ » للإِمامِ الحدَّادِ ، نسخةٌ منهُ بالأَحقافِ (١٩١١) .

٢٣ـ « حضرةُ باسودان » عبارةٌ عنِ الأَذكارِ والقصائدِ الَّتي تُنشدُ في الحضرةِ المنسوبةِ لصاحبِ التَّرجمةِ عشيَّةَ كلِّ ثلاثاء ، وهي في الأَصلِ مِنْ ترتيبِ شيخهِ الإِمامِ عمرَ البار ، ولـٰكنْ لمَّا سعىٰ تلميذهُ باسودان في إِشاعتِها وإِقامتِها في البلدانِ ونشرِها بواسطةِ تلامذتهِ الكثيرينَ . . نُسبتْ

إليهِ ـ كذا أَخبرني شيخي السَّيِّدُ الجليلُ عبدُ الله بنُ حامدٍ البار (ت ١٤١٨هـ) رحمهُ اللهُ تعالىٰ ـ توجدُ منها نسختانِ بالأَحقافِ (١٦٠١) و(٢٩٦٤) ، وقد طُبعتْ مؤخَّراً وصدرتْ عن مكتبة تريم الحديثة .

هـٰذا ما وقفتُ عليهِ مِنْ مؤَلَّفاتِ الشَّيخِ عبدِ اللهِ باسودان حالَ جمعي لترجمتهِ ، وربَّما توجدُ لَهُ مصنفاتٌ أُخرىٰ لم أَقفْ عليها .

وفاةُ الشَّيخِ عبدِ اللهِ باسودان

وبعدَ حياةٍ حافلةٍ بجلائِلِ الأَعمالِ وعظيمِ الفعالِ ، ومعبوقةٍ بحميدِ الشَّمائِلِ وجميلِ الخلالِ ، فاضتْ روحُ الشَّيخِ عبدِ اللهِ بنِ أَحمدَ باسودان ، سحرَ سابعِ ليلةٍ مِنْ جمادى الأُولىٰ ، سنةَ ستٍّ وستِّينَ ومئتَين وأَلفٍ ، عن عمرٍ ناهزَ (٨٨) الثَّمانيةَ والثَّمانينَ مِنَ الأَعوامِ ، في مثل عمر الإمامِ المجدِّد عبدِ اللهِ بنِ علويٍّ الحدَّادِ ، نفعنا اللهُ بهم .



هٰذا الكتاب

هٰذا الكتابُ عبارةٌ عن شرحٍ وجيزٍ لمنظومةِ الإمامِ شمسِ الدِّينِ الرَّمليِّ ، المنظومةِ الشَّهيرةِ الَّتي اعتنىٰ بها الكثيرُ مِنَ الشُّيوخِ ـ خاصَّةً في حضرموتَ ـ وجعلوها ضمنَ السُّلَّمِ التَّعليميِّ للأَطفالِ في سنواتهم الدِّراسيَّةِ الأُولىٰ ، ولا سيَّما الَّذينَ يدرِّسونَ في الكتاتيبِ والأَربطةِ العلميَّةِ على النِّظامِ القديمِ القائمِ على الأَخذِ عنِ الشَّيخِ والقراءَةِ عليهِ في المتونِ العلميَّةِ .

واحتوتْ هٰذهِ المنظومةُ علىٰ وجازتِها ـ البالغُ عددُ أَبياتِها (١١٠) أَبياتٍ ـ علىٰ غررِ النَّصائحِ والإرشاداتِ الَّتي تحدو بالصَّبيِّ إِلى الفضيلة والتَّخلُّقِ بالأَخلاقِ الإِسلاميَّةِ الرَّاقيةِ القويمةِ ، بعيداً عنِ الإِسفافِ والبطالاتِ والتُّرَّهاتِ ، وفضولِ الأَقوالِ والأَفعالِ ، وترسمُ لهُ منهجاً عظيماً يرقىٰ بهِ إِلىٰ سامي الرُّتبِ ، ويجعلُهُ كبيراً في عيونِ الآخَرينَ .

منهجٌ أَدبيٌّ نبويٌّ ، ليسَ لهُ مثيلٌ في المناهجِ التَّعليميَّةِ الحديثةِ المستمدَّةِ في غالبِها مِنْ مدارسِ الغربِ ومناهجِ أَهلِ الضَّلالِ والكفرِ بسببِ الأَفكارِ المستورَدةِ مِنْ دولِ أَوربَّا وغيرِها ؛ الَّتي فُتنَ بها بعضُ المفتونينَ مِنَ المسلمينَ .

وهٰذا أَمرٌ معروفٌ عندَ المفكرين والمثقَّفين الَّذين تنبَّهَ جماعةٌ منهُم لذلكَ الخطرِ الدَّاهمِ ، فنادَوا بوجوبِ العودةِ والرُّجوعِ إِلى المنهجِ

الإسلاميِّ بعدَ أَنْ أَثبتَ غيرُهُ مِنَ المناهجِ المستوردةِ فشلَهُ الذَّريعَ في إصلاحِ واقعِ النَّاسِ ومجتمعاتِهم .

ومِنَ الملاحظِ علىٰ هـٰذهِ المنظومةِ : أَنَّ ناظمهَا تأَثَّرَ جدّاً بأُسلوبِ الإمامِ حجَّةِ الإِسلامِ الغزاليِّ ، بل يُجزَمُ أَنَّهُ إِنَّما نظمَها علىٰ غرارِ أَحدِ فصولِ كتابِ « إِحياءِ علومِ الدِّينِ » ، وذلك بالمقارنةِ بينَ أَبياتِها وبينَ فصلِ (تربيةِ الأَولادِ ورياضةِ الصِّبيانِ) من كتابِ (رياضةِ النَّفسِ) ثاني كتبِ ربعِ المهلكاتِ مِنَ « الإِحياءِ » .

وهي منظومةٌ رجزيَّةٌ سهلةٌ ، عذبةُ الأَلفاظِ ، ميسَّرةُ الحفظِ للصغار .

وقد طُبعتْ مرَّاتٍ عديدةً بعنايةِ فضيلةِ العلاَّمةِ مفتي الدِّيارِ المصريَّةِ الأَسبقِ الشَّيخ حسنين مخلوف المالكي (ت ١٤١٠هـ) رحمهُ اللهُ تعالىٰ ، وصدرتْ عن دَارِ المدني في كتيِّبٍ لطيفٍ تضمَّنَ منظومتينِ أُخريينِ في ذاتِ الموضوعِ ؛ هُما :

١ـ منظومةُ « هديَّةِ الرَّفيقِ للأَخِ والصَّديقِ » للإمامِ العلاَّمةِ عبدِ اللهِ بنِ حسينِ بنِ طاهرٍ باعلويٍّ الحسينيِّ الحضرميِّ (ت ١٢٧٢هـ) ، وهيَ في (٥٨١) بيتاً .

٢ـ الفصلُ الأَخيرُ مِنْ « نظمِ الخُطبةِ الطَّاهريَّةِ » للأَديبِ الفقيهِ الشَّيخِ أَحمدَ بنِ عمرَ باذيب ، الشِّباميِّ الحضرميِّ ، وَليدِ شبام حضرموت سنةَ (١٢١١هـ) ، ودفينِ سنغافورة سنةَ (١٢٨٦هـ) تقريباً .

وهو فصلٌ مِنْ منظومتهِ « الأَلفيَّةِ في الأَخلاقِ النَّبويَّةِ » نظمَ بها خُطبةَ شيخهِ السَّيِّدِ المجاهدِ الإمامِ طاهرِ بنِ حسينِ بنِ طاهرٍ العلويِّ الحسينيِّ

(ت ١٢٤١هـ) الَّتي تضمَّنت إرشادَ العامَّةِ إلى الأَخلاقِ النَّبويَّةِ والآدابِ الإسلاميَّةِ ، وجملةً مِنَ الأَحكامِ الفقهيَّةِ .

❊ ❊ ❊

هٰذا الشَّرحُ لعلَّهُ أَوَّلُ شرحٍ يظهرُ لهٰذهِ المنظومةِ ـ أَوِ الوحيدُ ـ فلَم يَبْلُغْنا أَنَّ هناكَ مَنْ شرحَ هٰذهِ المنظومةَ قَبْلَ الشَّيخ باسودان ، سوىٰ ما ذَكرَ هوَ في شرحهِ أَنَّ لعلاَّمةِ زبيد الشيخ الجرهَزيِّ شرحاً وجيزاً علىٰ هٰذهِ المنظومةِ لَم يَكْمُل .

وذكرَ الشَّارحُ أَيضاً أَنَّهُ إنَّما سطَّرَ هٰذا الشَّرحَ بعد صدورِ الإشارةِ لهُ مِنْ إمامِ أَهلِ حضرموتَ في ذلكَ العصرِ ، وهوَ السَّيِّدُ المجدِّد المرشِدُ أَحمدُ بنُ عمرَ بنِ سميط الشِّباميُّ ، ومعلومٌ أَنَّ الشَّيخ باسودان ـ الشَّارح ـ هوَ أَحدُ تلامذةِ هٰذا الإمامِ .

لمحةٌ عن دعوةِ الإمامِ أَحمدَ بن عمرَ بنِ سميطٍ (١١٨٣ـ١٢٥٧هـ)[١] :

لقد ظهرَ هٰذا الإمامُ في عصرٍ كثرتْ فيهِ الحركاتُ السِّياسيَّةُ واضطرابٌ للأَمنِ في حضرموتَ ، وكانَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ صاحبَ همَّةٍ كبيرةٍ ، وعزيمةٍ صادقةٍ ، فقامَ بدعوةٍ إصلاحيَّةٍ تجديديَّةٍ علميَّةٍ في ربوعِ وادي حضرموتَ ، وقامَ بنشرِ العِلْمِ ، وبثَّ تلاميذَهُ في أَرجاءِ الوادي بعدَ أَنْ يتخرَّجوا مِنْ تحتِ يدهِ علماءَ فقهاءَ معهم حصيلةٌ جيِّدةٌ مِنْ علومِ الشَّريعةِ ، وبذلكَ انتشرتْ في ربوعِ الوادي التَّعاليمُ الدِّينيَّةُ الصَّحيحةُ .

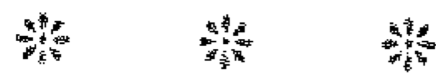
---

(١) لمزيد من المعلومات عن هٰذا الإمام ودعوته انظر مقدمة « مجموع مواعظه » لكاتب هٰذه السطور الصادر عن دار الفتح ، الأردن .

وأَدلُّ دليلٍ علىٰ عُظْم هـٰذهِ الحركةِ أَنَّ فقهاءَ حضرموتَ العبادلةَ السَّبعةَ في القرنِ الثَّالثَ عشرَ الهجريِّ كانَ معظمُهم ـ أَو كلُّهُم ـ منتسبينَ لهـٰذا الإِمامِ[1] ، إِمَّا تلمذةً أَو معاونةً ونحو ذلكَ ، وكانوا مِنْ كبارِ معاونيهِ .

ومنهُم الشَّارحُ الَّذي كانَ يسكنُ دوعن ولـٰكنَّهُ كانَ متعلِّقاً بدعوةِ هـٰذا الإِمامِ ، فنجدهُ يسارعُ بتلبيةِ طلبهِ بِمجرَّدِ ظهور إِشارةٍ منهُ بطلبِ شرحٍ علىٰ هـٰذهِ المنظومةِ ؛ ليسهلَ درسُها وتدريسُها علىٰ طلاَّبِ العِلمِ .

هـٰذهِ لمحةٌ بسيطةٌ عن تلكَ الحركةِ التَّجديديَّةِ الَّتي قامت علىٰ يدِ ذلكَ الإِمامِ ، والَّتي غفل عنها كثيرٌ مِنَ المؤرِّخينَ وتناسَوْها ؛ مع أَنَّها تمثِّلُ صفحةً مشرقةً لتاريخِنا الحضرميِّ ، سوىٰ ما كتبَهُ بعضُ مَنْ ترجمَ للمذكورِ مِنْ بابِ إِبرازِ أَهمِّ أَعمالهِ في المجتمعِ .



(١) العبادلة السبعة فقهاء حضرموت المشار إِليهم ؛ هم : ١ـ عبد الله بن أحمد باسودان (١١٧٨ـ ١٢٦٦هـ) . ٢ـ وعبد الله بن علي ابن شهاب الدين (ت ١٢٦٥هـ) . ٣ـ وعبد الله بن سعد بن سُمَيْر (١١٨٥ـ١٢٦٢هـ) . ٤ـ وعبد الله بن حسين بن طاهر (١١٩١ـ١٢٧٢هـ) . ٥ـ وعبد الله بن عمر بن يحيىٰ (١٢٠٩ـ١٢٦٥هـ) . ٦ـ وعبد الله بن حسين بلفقيه (١١٩٨ـ١٢٦٦هـ) . ٧ـ وعبد الله بن أبي بكر عيديد (١١٩٥ـ١٢٥٥هـ) . وتجد تراجمهم في كتاب : « تاريخ الشعراء الحضرميين » للسيد عبد الله بن محمد بن حامد السقاف ، في الجزأين الثالث والرابع .

وَصفُ النُّسَخِ الخَطِّيَّةِ

اعتمدنا في إخراج هـٰذا الكتابِ علىٰ نسخةٍ وحيدةٍ أول الأمر ، وهيَ المحفوظةُ بخزائِنِ مكتبةِ الأَحقافِ للمخطوطاتِ بتريم تحتَ رقم (٢٧٩٩) ، كتبت قبل وفاة المؤلف بستة أشهر فقط .

ثم منَّ الله تعالىٰ علينا بنسخة أخرىٰ ، فأعدنا المقابلة عليها في هـٰذه الطبعة وأفدنا منها كثيراً من تصويب لعبارة وحل لمشكل وغير ذلك ، فلله الحمد والمنة .

وقد اعتنىٰ بالنسخة الأولىٰ وهي الأصل السَّيِّدُ الشَّهيرُ ، والثَّريُّ الكبيرُ : حسينُ بنُ عبدِ الرَّحمـٰنِ بنِ سهلٍ باعلويٍّ (ت ١٢٧١هـ) الَّذي أَوقفَ كثيراً مِنَ الكتبِ علىٰ طلاَّبِ العلمِ بتريم ونواحيها .

وهي نسخة كاملة ، وخطها نسخي معتاد ، كتبت فيها أبيات المنظومة بلون مغاير ، وهي نسخة مقابلة عليها بعض التصويبات .

وتقعُ هـٰذهِ النُّسخةُ في (٤٥) ورقةً ، كلُّ صفحةٍ بها (١٥) سطراً ، وعدد كلمات السطر الواحد تقريباً (٩) كلمات .

ـ رمزنا لهـٰذه النسخة بـ(أ) .

النسخة الثانية : وهي نسخة كاملة ، تتألف من (٣١) ورقة ، كل ورقة فيها (٢٠) سطراً ، وعدد كلمات السطر الواحد تقريباً (١٠) كلمات .

وتاريخ انتهاء نسخها (٢١) ذي الحجة (١٣٢٢هـ) علىٰ يد السيد علي بن بكران بن أحمد رحمهم الله تعالىٰ .

ورمزنا لهٰذه النسخة بـ(ب)

وقد كان لفضيلة أستاذنا السيد البحاثة عبد الله الحبشي فضل الدلالة علىٰ نسخة الأصل ، والحث علىٰ خدمتها وإخراجها ، فله مني ومن الناشر كل الشكر والتقدير .

❊ ❊ ❊

مَنهجُ العَمَلِ في الكِتَابِ

- قمنا بنسخِ الكتابِ بكاملهِ ومقابلتهِ على النسختين الخطيتين ، وأثبتنا بعض الفروق مما له أهمية .

- صوَّبنا بعضَ الأَخطاءِ اللُّغويَّةِ أَوِ الإِملائِيَّةِ ، ووضعنا علاماتِ التَّرقيمِ الحديثةِ في كلِّ الفقراتِ .

- جعلنا المنظومة بكاملها أول الكتاب تيسيراً على القارىء .

- وضعنا عنونات لأبيات القصيدة ، كلَّ موضوعٍ علىٰ حدةٍ ، وميَّزنا ذلكَ بـ [] .

- جعلنا الآيات الكريمة برسم المصحف الشريف برواية حفص عن عاصم رحمهما الله تعالىٰ وميزناها بـ﴿ ﴾ .

- عزونا نصوصَ الكتابِ مِنْ أَحاديثَ نبويَّةٍ ، وبعضِ النُّصوصِ الأُخرىٰ إلىٰ مظانِّها .

- أضفنا بين [] ما دعت الحاجة إليه ؛ لتستقيم العبارة ، أو تتم الفائدة ، وذلك من المصادر التي نقل عنها الشارح رحمه الله .

- ترجمنا لبعضِ الشَّخصيَّاتِ الهامَّةِ الواردةِ في الشَّرحِ ترجمة مختصرة .

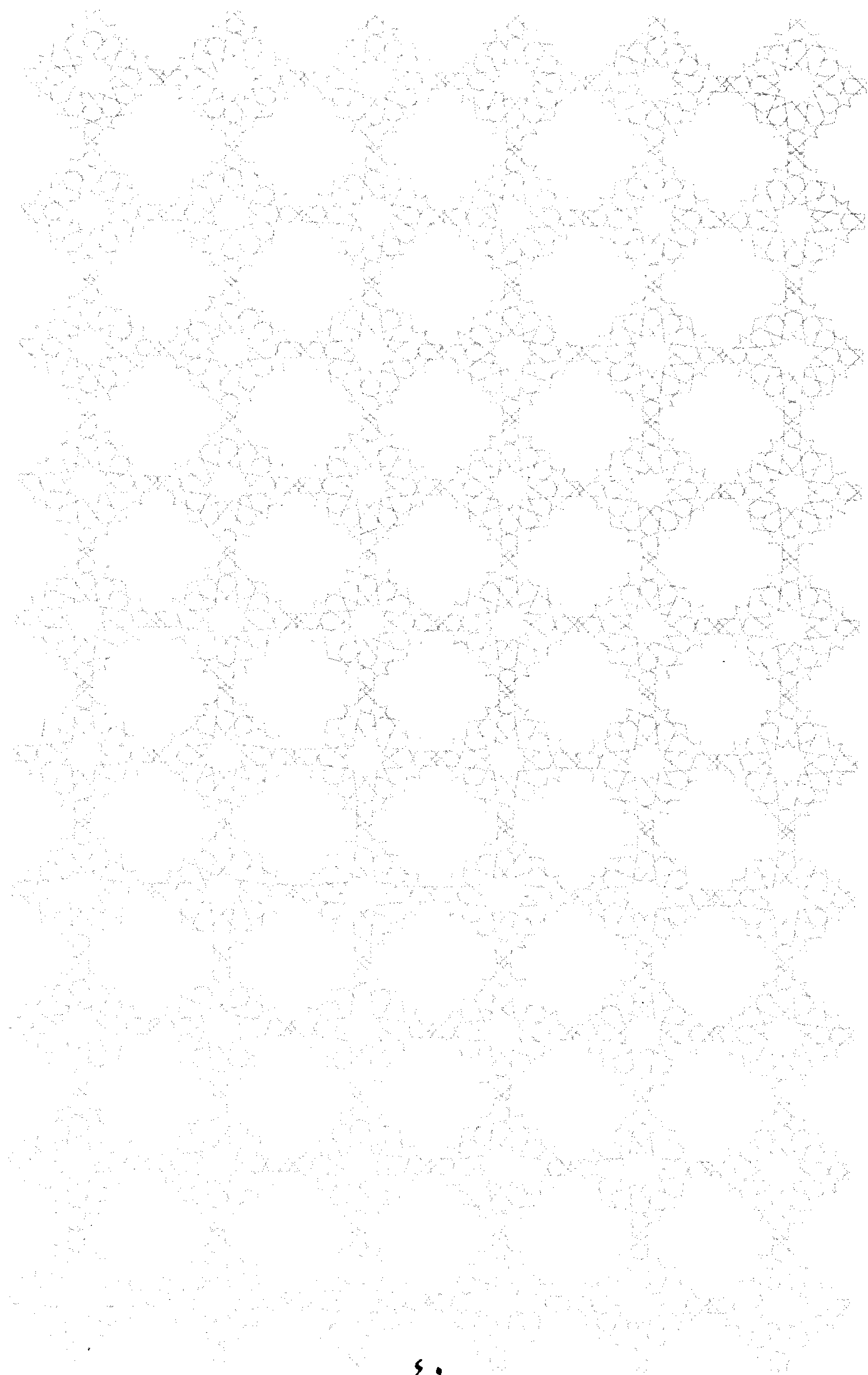
- ترجمنا للنَّاظمِ والشَّارحِ بما يناسبُ مقامَهما .

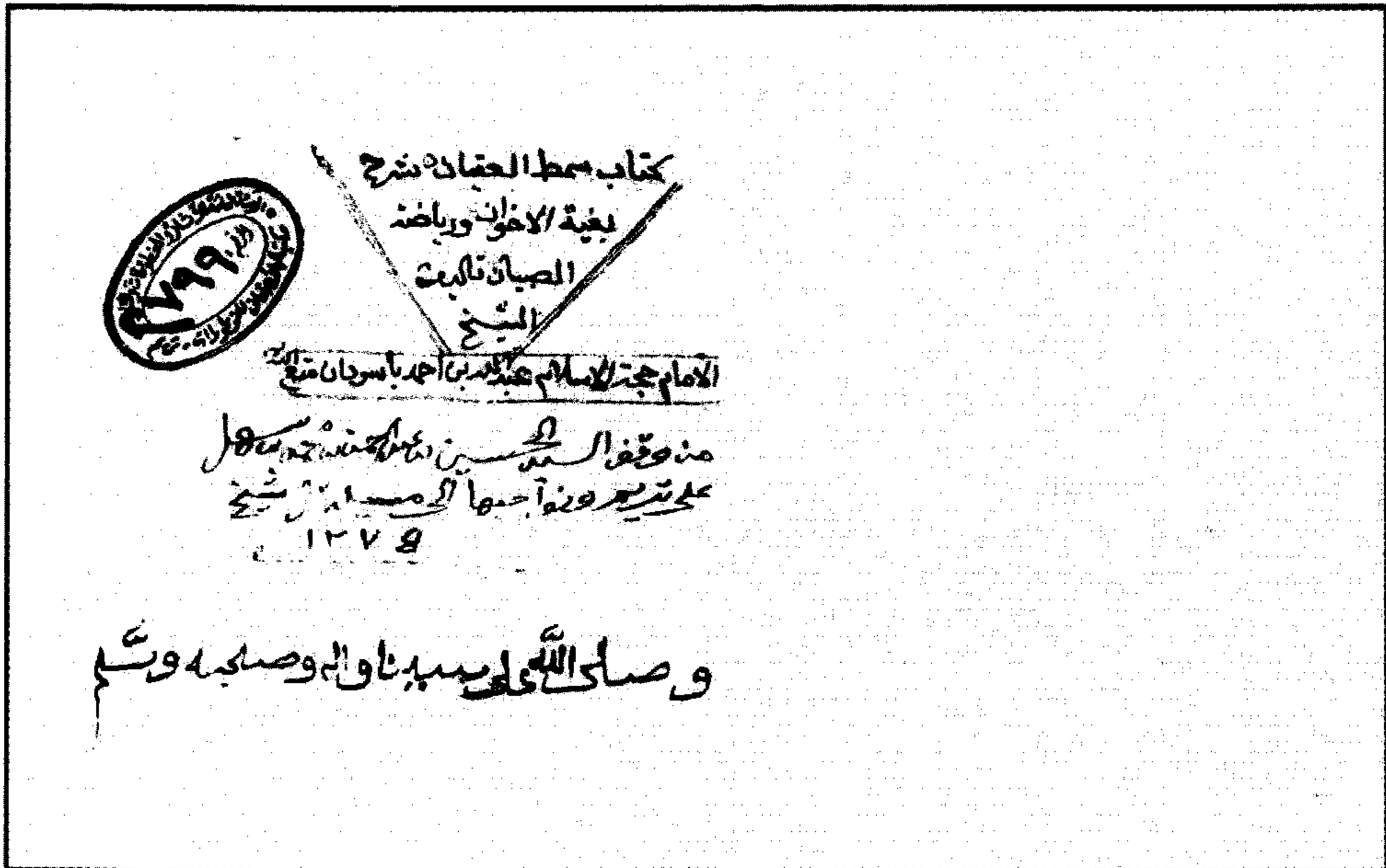
ـ صنعنا فهرساً لموضوعات الكتاب .

هٰذا ، وما كانَ مِنْ توفيقٍ للصَّوابِ . . فمِنَ اللهِ سبحانَهُ ، وما كانَ مِنْ خطإٍ أَو نقصٍ . . فمنَّا ومِنَ الشَّيطانِ ، ونستغفرُ اللهَ ونتوبُ إِليهِ .

* * *

صُوَرُ المخَطُوطَاتِ المسْتَعَانِ بِهَا

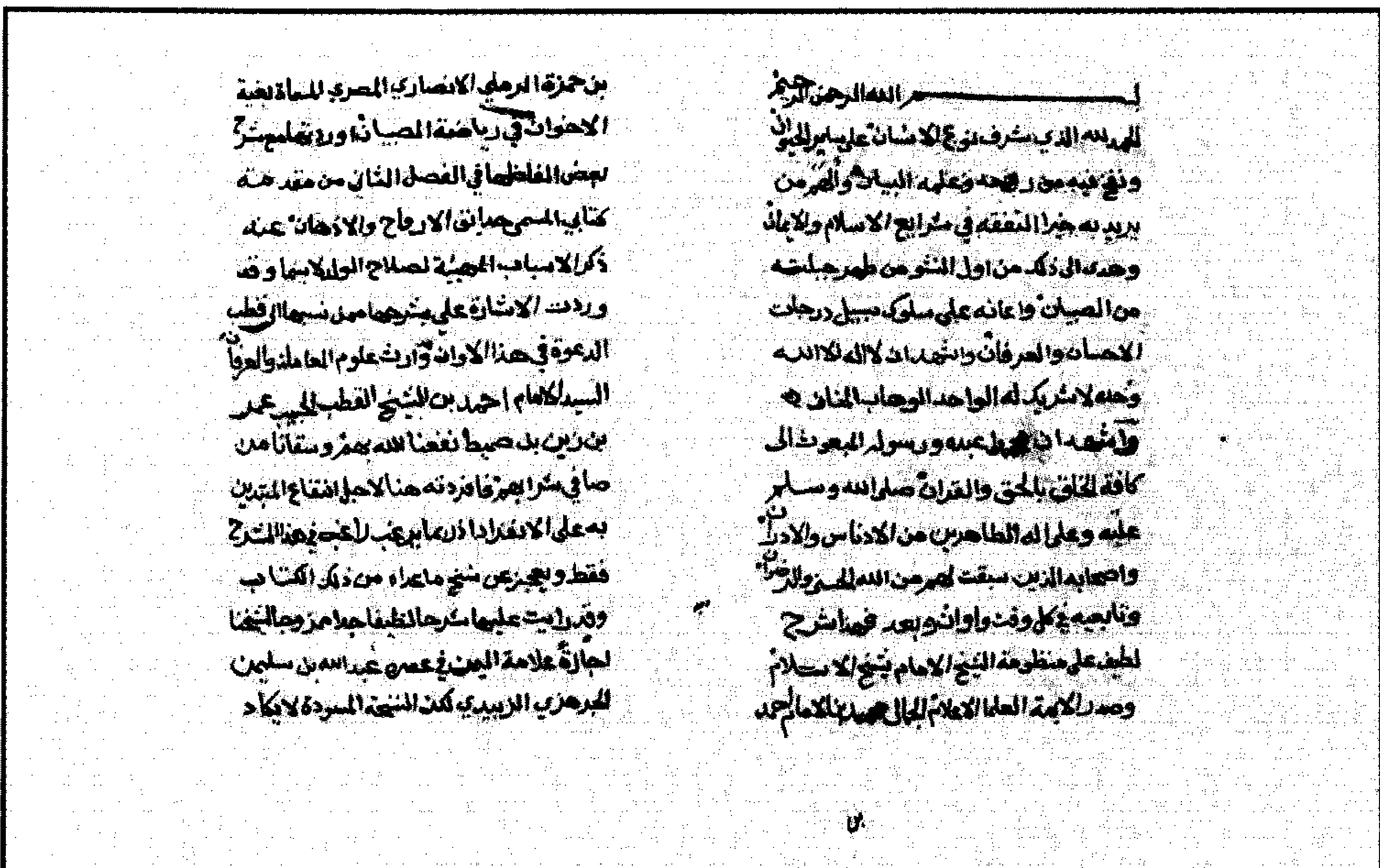




كتاب سمط العقيان شرح
بغية الإخوان ورياضة
الصبيان تأليف
الشيخ
الإمام حجة الإسلام عبد الله بن أحمد باسودان متع الله
من وقف السيد الحسين [illegible]
[illegible]
١٢٧٦ هـ

وصلى الله على سيدنا وآله وصحبه وسلم

راموز ورقة العنوان للنسخة (أ)



بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي شرف نوع الإنسان على سائر الحيوان
ونفخ فيه من روحه وعلمه البيان وأكرم من
يريد به خيرا التفقه في شرائع الإسلام والإيمان
وهداه إلى ذلك من أول النشو من ظهر جبلته
من الصبيان وأعانه على سلوك سبيل درجات
الإحسان والعرفان وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له الواحد الوهاب المنان
وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث إلى
كافة الخلق بالحق والقرآن صلى الله وسلم
عليه وعلى آله الطاهرين من الأدناس والأدران
وأصحابه الذين سبقت لهم من الله الحسنى والرضوان
وتابعيهم في كل وقت وأوان وبعد فهذا شرح
لطيف على منظومة الشيخ الإمام شيخ الإسلام
وصدر الأئمة العلماء الأعلام الجلال محمد بن الإمام أحمد

بن حمزة الرملي الأنصاري المصري المسماة بغية
الإخوان في رياضة الصبيان ورد بها مشرح
بعض ألفاظها في الفصل الثاني من مقدمة
كتابي المسمى حدائق الأرواح والأذهان عند
ذكر الأسباب الموجبة لصلاح الولد لا سيما وقد
وردت الإشارة على شرحها ممن نسبها القطب
الدعوة في هذا الأوان ووارث علوم العاملين والعرفان
السيد الإمام أحمد بن الشيخ القطب الحبيب عمر
بن زين بن سميط نفعنا الله بهم وسقانا من
صافي شرابهم فأفردته هنا لأجل انتفاع المبتدين
به على الانفراد إذ ربما يرغب الأغبياء في هذا الشرح
فقط ويعجز عن شيء ما عداه من ذلك الكتاب
وقد رأيت عليها شرحا لطيفا جامعا [illegible]
لحافظ علامة اليمن في عصره عبد الله بن سليمن
الجرهزي الزبيدي لكن النسخة المسودة لا يكاد

راموز الورقة الأولى للنسخة (أ)

المحدودة به استعنت لا بغيره فإنه إذا أعان وتفضل
بمحض الجود والامتنان فهو خير هاد لسلوك طريق
الإيمان الموصل إلى سكنى الجنان ثم قال رحمه الله تع
خاتما بالصلاة بعد حمد الله الذي هدانا لهذا وما كنا
لنهتدي لولا أن هدانا الله ثم الصلاة بعد حمدك على النبي المصطفى من كعب
وكل آل للنبي وتابعي ما لاح برق في سحاب هامع
ختم منظومته بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
لورود الختم بها في الجملة استحضارا للواسطة في كل كلام
ونظام واستشعارا لفخامة مقامه الذي من معدن
سر خصوصيته شرعت الآداب والسنن والأحكام
وقوله بعد حمدي إياك إلى أن ماله عليه الصلاة والسلام
بل ولجميع الأنام من الفضل العظيم إنما هو حاصل
من فيض جود المولى الكريم المستحق لجميع الكمالات
والمحامد وإضافة إلى الرب لتربيته جميع العوالم
في حضرته بربه وتقديسه وتنجيزه فهو مالكها وسيدها

١٤٣

ومربيها ومدبرها على النبي سبق معناه المصطفى
أي المختار من كعب المراد به كعب بن لؤي بن غالب
وهو الجد الثامن له صلى الله عليه وسلم وقوله
وكل آل للنبي سبق معناه وقد يراد بهم هنا ما هو أعم
وهم خواص الأمة المحققين بالنبوة الروحية
هو أبو الأرواح البشرية الذي خلصت بالرياضة — خلصت
النفسية عن الرذائل والخبائث الخبيثة وزينت
منه وقربت إلى الحضرة وتحققت بوراثته وقوله
وتابعي يشمل جميع من قفاه وتبعه في أفعاله
وأقواله وسمته وهدايته من الآل والأصحاب
ومن بعدهم إلى يوم الدين وفي الاصطلاح الأثري
كل من اجتمع بالصحابي بالمعنى الذي في اجتماع
الصحابي بالنبي صلى الله عليه وسلم وقوله ما لاح
أي لمع برق هو سوط ملك السحاب الصاعد من
بخار الأرض بعد التقاح الرياح المناسبة له في كل

راموز الورقة قبل الأخيرة للنسخة (أ)


جمة هامع أي ماطر مطرا غزيرا اللهم امطر
على قلوبنا مطر النفحات الرحموتية لتخضر وتحيى
بالحياة الطيبة المرضية وتينع بها أثمار شجرة الإيمان
وينبت بها معنى اليقين والإحسان والحمد لله على
كل حال وفي كل حال وصلى الله وسلم على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه خير صحب وآل
تم الشرح المسمى بسط العقيان
شرح بغية الإخوان
ورياضة الصبيان
تأليف الشيخ الإمام عبد الله بن أحمد باسودان متع الله
وافق الفراغ من زبره شهر
القعدة سنة ١٢٦٥

راموز الورقة الأخيرة للنسخة (أ)

كتاب سمط العقيان بشرح بغية
الإخوان ورياضة الصبيان
تأليف الشيخ الإمام العلامه
عبد الله بن أحمد با
سودان أمتع
الله به ونفع
به آمين
اللهم
آمين

راموز ورقة العنوان للنسخة (ب)

راموز الورقة الأولى للنسخة (ب)

راموز الورقة الأخيرة للنسخة (ب)

منظومة

بغية الإخوان في رياضة الصبيان

للإمام العلامة

محمد بن أحمد بن أحمد الرملي

رحمه الله تعالى

(٩١٩ - ١٠٠٤هـ)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

1 أَلْحَمْـدُ للهِ وَلِـيِّ ٱلْحَمْـدِ مُـوَفِّـقِ ٱلْخَلْـقِ لِكُـلِّ رُشْـدِ
2 عَلَى ٱلَّذِي بِـهِ عَلَيْنَـا أَنْعَمَـا حَمْداً يَعُمُّ ٱلأَرْضَ طُرّاً وَٱلسَّمَا
3 ثُـمَّ ٱلصَّلاَةُ بَعْدَ مَا قُلْنَا بِـهِ عَلَـى ٱلنَّبِـي وَآلِـهِ وَصَحْبِـهِ
4 وَبَعْدُ : فَـٱلتَّـأْدِيبُ لِلصِّبْيَانِ مِـنْ أَوَّلِ ٱلنَّشْـوِ أَتَـمُّ ٱلشَّـانِ
5 وَقَـدْ بِـذَاكَ صَـرَّحَ ٱلْغَـزَالِـي بَحْـرُ ٱلْعُلُـومِ صَـادِقُ ٱلْمَقَـالِ
6 وَحَثَّ فِي «إِحْيَا عُلُومِ ٱلدِّينِ» عَلَـىٰ قِيَـامِ ٱلأَهْـلِ بِـٱلْبَنِيـنِ
7 لِأَنَّ تَأْدِيبَ ٱلصَّبِي فِي صِغَرِهْ زِيَـادَةٌ لِحَظِّـهِ فِـي كِبَـرِهْ
8 يَنَالُ فِي ذَاكَ ٱلْحُظُوظَ ٱلْوَافِرَةْ وَرَاحَةَ ٱلدُّنْيَا وَخَيْرَ ٱلآخِرَةْ
9 فَيَنْبَغِـي لِكُـلِّ جَـدٍّ وَأَبِ وَقَيِّمِ ٱلْحَاكِمِ تَأْدِيبُ ٱلصَّبِي
10 لِأَنَّـهُ أَمَـانَـةٌ عِنْـدَهُـمُ وَقَلْبُـهُ يَقْبَـلُ تَـأْدِيبَهُـمُ
11 وَٱلأُمُّ لِابْنِهَـا تُهَـدِّدْ بِـٱلأَبِ زَجْراً لَهُ عَنِ ٱلْخَنَا وَٱللَّعِبِ
12 إِذْ قَلْبُهُ كَٱلشَّمْعَةِ ٱلْمَقْصُورَةْ مُجَـوْهَـرٌ يَقْبَـلُ كُـلَّ صُـورَةْ
13 فَيَنْبَغِـي لَهُـمْ بِـأَنْ يُعَـوِّدُوا أَوْلاَدَهُمْ فِعْلَ ٱلتُّقَىٰ لِيُسْعَدُوا
14 وَأَوَّلُ ٱلأَشْيَـا هِـيَ ٱلْحَضَـانَـةْ لِأَنَّـهُ مَـعْ أَهْلِـهِ أَمَـانَـةْ

15 فَيَنْبَغِـي إِرْضَـاعُ كُـلِّ طِفْـلِ   صَـالِحَـةً بِقَـوْلِهَـا وَٱلْفِعْـلِ

16 تَأْكُلْ حَلاَلاً لاَ مِنَ ٱلْحَرَامِ   فَٱلطَّبْعُ قَـالُوا تَـابِعُ ٱلطَّعَامِ

17 إِذَا خَبُـثْ رَضَـاعُـهُ مَـالَ إِلَـىٰ   فِعْـلِ ٱلْخَبِيـثِ آخِـراً وَأَوَّلاَ

18 وَبَعْدَ مَا يُفْطَمْ تَجِدْهُ يَشْتَهِي   أَكْلَ ٱلطَّعَامِ دَائِماً لاَ يَنْتَهِي

19 يُعَلِّمُــوهُ ٱلأَكْـلَ بِـٱلْيَمِيـنِ   وَٱلْبَسْمَلَـةْ حَتْمـاً بِكُـلِّ حِيـنِ

20 وَلاَ يُبَادِرْ قَبْلَ أَكْلِ صَاحِبِهْ   وَيَأْكُلُ ٱلْعَيْشَ ٱلَّذِي بِجَانِبِهْ

21 وَيَمْضَغُ ٱللُّقْمَةَ مَضْغاً مُحْكَمَا   وَلاَ يُسَارِعْ أَوْ يُوَالِي ٱللُّقَمَا

22 وَيَـأْكُـلُ ٱلْيَـابِسَ مِـنَ ٱلطَّعَامِ   تَعَلُّمـاً بَحْتـاً بِـلاَ إِدَامِ

23 حِيناً فَحِيناً فِي ٱلْعَشَاءِ وَٱلْغَدَا   كَيْـلاَ يَـرَى ٱلإِدَامَ حَتْمـاً أَبَـدَا

24 وَأَنْ يُجَنِّبَـهُ فُنُـونَ ٱلـزِّينَـةْ   وَجُمْلَـةَ ٱلْمَـلاَبِسِ ٱلـرَّزِينَـةْ

25 وَيَكْسُـهُ لَـوْنَ بَيَـاضِ ٱلْقُطْـنِ   حَتَّـىٰ بِـهِ عَـنْ غَيْـرِهِ يَسْتَغْنِـي

26 وَإِنْ طَلَبْ مَنْقُوشاً أَوْ مُلَوَّنَا   يَقُـولُ : ذَاكَ لِلنِّسَـاءِ لاَ لَنَـا

27 لِبَاسُ أَهْلِ ٱلْفِسْقِ وَٱلتَّخْنِيثِ   وَأَحْمَـقٍ وَفَـاجِـرٍ خَبِيـثِ

28 وَلاَ يُنَعَّـمْ جِسْمُـهُ بِمَلْبَـسِ   طُولَ ٱلْمَدَىٰ وَلاَ فِرَاشٍ أَمْلَسِ

29 بَلْ كُلُّ مَا كَانَتْ بِهِ خُشُونَةْ   فَـإِنَّـهُ أَخَـفُّ لِلْمَـؤُونَـةْ

30 يُصَلِّـبُ ٱلأَعْضَـا وَلاَ يُبَـالِـي   بِٱلْمَشْيِ أَوْ بِسَائِرِ ٱلأَعْمَالِ

31 وَيُمْنَـعُ ٱلنَّـوْمَ ٱلنَّهَـارَ قَطْعَـا   خَوْفَ ٱلْكَسَلْ أَوْ يَتَّخِذْهُ طَبْعَا
32 وَإِنْ بَـدَتْ أَمَـارَةُ ٱلتَّمْيِيـزِ   وَكُـلٌّ فَهْـمٍ فَـاضِـلٍ عَـزِيـزِ
33 وَصَـارَ يَسْتَحْيِي مِـنَ ٱلأُمُـورِ   فَـذَاكَ مِـنْ أَوَّلِ بَـدْءِ ٱلنُّـورِ
34 هَـدِيَّـةٌ مِـنْ رَبِّـهِ أَهْـدَاهَـا   عَرَفْ بِهَا ٱلأَشْيَا بِمُقْتَضَاهَا
35 فَذَاكَ أَوَّلْ وَقْتِ فَهْمِ ٱلطِّفْلِ   أَشْرَقْ بِهَا عَلَيْهِ نُورُ ٱلْعَقْلِ
36 فَيُلْـزِمُـوهُ ٱلـدَّرْسَ لِلْقُـرْآنِ   فَـإِنَّـهُ عِلْـمٌ عَظِيـمُ ٱلشَّـانِ
37 أَيْضاً وَشُغْلٌ شَاغِلٌ قَلْبَ ٱلصَّبِي   عَنْ كُلِّ مَا يُوجِبُ نَقْصَ ٱلأَدَبِ
38 وَإِنْ ضَـرَبْ مُعَلِّـمُ ٱلصِّبْيَـانِ   أَوْ وَالِدٌ بَعْضاً مِنَ ٱلْوِلْدَانِ
39 فَلاَ يَكُنْ مِثْلَ ٱلنِّسَاءِ يَبْكِي   وَيَشْتَفِـعْ بِغَيْـرِهِ وَيَشْكِـي
40 فَعَادَةُ ٱلشُّجْعَانِ أَلاَّ يَذْكُرُوا   كُلَّ ٱلَّذِي جَرَىٰ لَهُمْ بَلْ يَصْبِرُوا
41 وَرَاحَةُ ٱلصِّبْيَانِ بَعْدَ ٱلْمَكْتَبِ   أَنْ يَأْذَنَ ٱلْوَلِي لَهُمْ بِٱللَّعِبِ
42 فَـإِنَّـهُ عِنْـدَ ٱلصِّبَـا مَحْبُـوبُ   وَقَلْبُـهُ أَيْضـاً بِـهِ يَطِيـبُ
43 وَكَثْـرَةُ ٱلتَّعْلِيـمِ مَـوْتُ ٱلْقَلْـبِ   وَيُذْهِبُ ٱلذَّكَا وَبَعْضَ ٱللُّبِّ
44 فَيَطْلُبُـونَ لِلْخَـلاَصِ حِيلَـةْ   تُنْجِي مِنَ ٱلتَّعْلِيمِ أَوْ وَسِيلَةْ
45 فَٱلرِّفْقُ فِي كُلِّ ٱلأُمُورِ أَحْسَنُ   قَالُوا بِذَا وَصَرَّحُوا أَوْ بَيَّنُوا
46 وَبَعْـدَ مَـا يُشْـرِقُ نُـورُ ٱلْعَقْـلِ   عَلَى ٱلصَّبِي يُؤْمَرُ أَنْ يُصَلِّي

47 وَلْيَلْتَزِمْ فِعْلَ ٱلْكِرَامِ ٱلأَوْلِيَا ... أَلْمُتَّقِينَ ٱلصَّالِحِينَ ٱلأَصْفِيَا
48 وَيَعْتَمِدْ جُلُوسَهُ بَيْنَهُمُ ... حَتَّىٰ يُوَافِقْ طَبْعُهُ طَبْعَهُمُ
49 وَلْيَنْغَرِسْ بِقَلْبِهِ مَا يَسْتَمِعْ ... وَيَنْطَبِعْ فِي قَلْبِهِ مَا يَنْطَبِعْ
50 وَيَحْتَفِظْ بِهِ عَنِ ٱلْجُهَّالِ ... وَكُلِّ أَهْلِ ٱلْفِسْقِ وَٱلضَّلاَلِ
51 وَمَنْ عُرِفْ بِٱلْكِذْبِ وَٱلْخِيَانَةْ ... وَكُلِّ مَنْ لَيْسَتْ لَهُ أَمَانَةْ
52 فَإِنَّ أَصْلَ أَدَبِ ٱلأَخْيَارِ ... حِفْظُ ٱلصَّبِي عَنْ صُحْبَةِ ٱلأَشْرَارِ
53 إِذِ ٱلطِّبَاعُ تَسْرِقُ ٱلطِّبَاعَا ... وَكُلُّ مَنْ صَاحَبْ خَبِيثاً ضَاعَا
54 وَقَدْ أَتَىٰ نَصٌّ عَنِ ٱلرَّسُولِ ... بِأَنَّ طَبْعَ ٱلْمَرْءِ كَٱلْخَلِيلِ
55 وَيَمْنَعُوهُ كَثْرَةَ ٱلْكَلاَمِ ... لِأَنَّهُ مِنْ عَادَةِ ٱللِّئَامِ
56 أَيْضاً وَمِنْ أَنْ يَبْتَدِي خِطَابَا ... إِلاَّ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ جَوَابَا
57 ثُمَّ ٱلْيَمِينَ يَمْنَعُوهُ مِنْهَا ... بَتّاً دَوَاماً دَهْرَهُ يَدَعْهَا
58 وَجُمْلَةَ ٱلأَشْعَارِ وَٱلأَغَانِي ... يُمْنَعُ مِنْهَا دَائِمَ ٱلزَّمَانِ
59 وَٱلْبَصْقُ وَٱلْمُخَاطُ وَٱلتَّنَخُّمُ ... عِنْدَ ٱلْجَلِيسِ لاَ عَلَيْهِ يُقْدِمُ
60 وَٱللَّعْنُ وَٱلسَّبُّ وَشَتْمُ ٱلنَّاسِ ... وَٱلِاخْتِلاَطُ بَيْنَ ذِي ٱلأَدْنَاسِ
61 وَيُلْزِمُوهُ كَثْرَةَ ٱلتَّوَاضُعِ ... وَتَرْكَ مَا بَدَا لَهُ مِنْ طَمَعِ
62 فَإِنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ ٱلآفَاتِ ... حَكَيْتُهُ نَقْلاً عَنِ ٱلثِّقَاتِ

63 أَيْضاً وَمِنْ حُبِّ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ ... يُحَـذِّرُوهُ فَهْـوَ أَعْظَـمُ آفَـةِ

64 مِـنَ ٱلسُّمُـومِ ٱلْقَـاتِلَـةْ حُبُّهُمَـا ... فَٱلرَّأْيُ تَحْذِيرُ ٱلصَّبِيِّ مِنْهُمَا

65 وَيُكْـرِمُ ٱلإِخْـوَانَ بِـٱلتَّـأَدُّبِ ... وَكُلَّ مَنْ عَاشَرَهُ مِنْ صَاحِبِ

66 وَأَنْ يُـوَسِّـعْ لِلَّـذِي يَـأْتِيـهِ ... مَجْلِسَـهُ ٱلَّـذِي ٱسْتَقَـرَّ فِيـهِ

67 وَيُكْـرِمَ ٱلْـوَاصِـلَ بِـٱلْقِيَـامِ ... لِأَنَّـهُ مِـنْ أَدَبِ ٱلْكِـرَامِ

68 وَيَسْتَمِـعْ كَـلاَمَ كُـلِّ عَـاقِـلِ ... وَيُحْسِنَ ٱلإِصْغَا لِقَوْلِ ٱلْقَائِلِ

69 لاَ يَفْتَخِـرْ بِمَطْعَـمٍ وَمَشْـرَبِ ... وَلاَ بِشَيْءٍ صَارَ مِنْ مِلْكِ ٱلأَبِ

70 ثُـمَّ لْيُعَظِّـمْ غَـايَـةَ ٱلإِعْظَـامِ ... مَـنْ كَـانَ ذَا جَاهٍ مِـنَ ٱلأَنَـامِ

71 وَٱلْـوَالِـدَيْـنِ ٱلْكُـلَّ وَٱلْمُـؤَدِّبَـا ... وَٱلأَقْـرَبِيـنَ نِسْبَـةً وَٱلصَّـاحِبَـا

72 وَإِنْ ظَهَـرْ فِعْـلُ ٱلْجَمِيـلِ مِنْـهُ ... فَيَنْبَغِـي بِـأَنْ يُجَـازَىٰ عَنْـهُ

73 وَأَنْ يُبَجَّـلْ قَـدْرُهُ وَيُمْـدَحُ ... بِمَـا بِـهِ بَيْـنَ ٱلأَنَـامِ يَفْـرَحُ

74 وَإِنْ فَعَـلْ فِعْـلاً ذَمِيمـاً سِـرًّا ... فَيَنْبَغِـي أَلاَّ يُعَـاتَـبْ جَهْـرَا

75 وَلاَ يُذَمَّ بَيْنَ أَصْنَافِ ٱلْوَرَىٰ ... فَـإِنَّـهُ يُخْشَـىٰ بِـأَنْ يَتَجَـاسَـرَا

76 وَلاَ يُبَـالِـي بَعْـدَهُ بِـٱلْعَـذْلِ ... وَبِـٱلْمَـلاَمِ عِنْـدَ كُـلِّ فِعْـلِ

77 بَـلْ يَنْبَغِـي عِتَـابُـهُ بِحَيْـثُ لاَ ... يَعْلَـمْ عَلَيْـهِ أَحَـدٌ مِـنَ ٱلْمَـلاَ

78 يَقُولُ : هَـٰذَا ـ إِنْ عُلِمْ عَلَيْهِ ـ ... فَضِيحَـةٌ ، فَـلاَ تَعُـدْ إِلَيْـهِ

79 وَلاَ تُكَثِّـرْ عِنْـدَهُ ٱلْكَـلاَمَـا   فَـإِنَّـهُ يُهَـوِّنُ ٱلْمَـلاَمَـا

80 يُخْشَىٰ بِأَنْ يَجْزِمْ وَلاَ يُبَالِي   بِمَـا أَتَـاهُ بَعْـدُ مِـنْ فِعَـالِ

81 يُحَـذِّرُوهُ غَـايَـةَ ٱلتَّحْـذِيـرِ   مِنَ ٱلْكَذِبِ وَٱلْفُحْشِ وَٱلْفُجُورِ

82 وَسِـرْقَـةٍ وَٱلأَكْـلِ لِلْحَـرَامِ   فَـإِنَّـهُ مِـنْ مُـوجِـبِ ٱلأَثَـامِ

83 فَإِنْ أَتَىٰ وَقْتُ ٱلْبُلُوغِ وَٱلصَّبِي   بِهَـٰذِهِ ٱلأَشْيَا خَبِيرٌ لاَ غَبِي

84 يُعَـرِّفُـوهُ مَقْصِـدَ ٱلأَشْيَـاءِ   لِمُـدَّةِ ٱلـدُّنْيَـا وَلِـلأُخْـرَاءِ

85 وَأَنَّ كُـلَّ عَيْـشٍ لِـلإِنْسَـانِ   عَـوْنٌ عَلَـىٰ عِبَادَةِ ٱلرَّحْمَـٰنِ

86 أَقْوَىٰ لِذِي تَقْوَىٰ عَلَى ٱلْعِبَادَةْ   وَهْيَ ٱلَّتِي تَحْصُلُ بِهَا ٱلسَّعَادَةْ

87 وَٱلْمَوْتُ أَقْرَبُ كُلِّ شَيْءٍ يُنْتَظَرْ   وَهَـٰذِهِ ٱلـدُّنْيَـا لَنَـا دَارُ مَمَرّْ

88 وَٱلآخِـرَةُ دَارُ مَقَـرٍّ بَـاقِـي   وَٱلآدَمِـي لِفِعْلِـهِ مُـلاَقِـي

89 فَيَنْبَغِـي ٱلتَّكْثِيـرُ لِلطَّـاعَـاتِ   تَـزَوُّداً فِـي مُـدَّةِ ٱلْحَيَـاةِ

90 وَحِينَمَـا يَنْشُـو ٱلْـوَلَدْ مُؤَدَّبَا   يَكُـونُ فِـي بُلُـوغِـهِ مُهَـذَّبَـا

91 تُـؤَثِّـرُ ٱلأَشْيَا بِـهِ فِي ٱلْقَلْبِ   تَأْثِيرَ حَدِّ ٱلسَّيْفِ عِنْدَ ٱلضَّرْبِ

92 وَتَنْتَقِـشْ فِـي قَلْبِـهِ مَحَبَّـةْ   لِـرَبِّـهِ وَطَـاعَـةٌ وَرَغْبَـةْ

93 لِكُـلِّ مَـا يُدْنِي مِنَ ٱلْجِنَانِ   وَيَلْتَـزِمْهَـا دَائِـمَ ٱلـزَّمَـانِ

94 وَإِنْ وَقَعْ نَشْوُ ٱلْوَلَدْ بِغَيْرِ مَا   قُلْنَا بِهِ أَضْحَىٰ كَذُوباً نَهِمَا

مُفَـاخِـراً مُبَـاهِيـاً لِلنَّـاسِ مُـلاَزِمـاً طَبَـائِـعَ ٱلْخَسَّـاسِ 95

كَـلاَمَنَـا لِنَفْسِـهِ لاَ يَسْتَمِـعْ قَدْ صَارَ طَبْعُ ٱلشَّرِّ فِيهِ مُنْطَبِعْ 96

فَيَنْبَغِـي لِلْـوَالِـدِ ٱلتَّعَنِّـي بِكُـلِّ مَـا بِنْـتٍ وَكُـلِّ إِبْـنِ 97

صَوْناً لَهُمْ عَنْ مُوجِبِ ٱلْمَآثِمِ لاَ تُهْمِلُوا ٱلصِّبْيَانَ كَٱلْبَهَائِمِ 98

فَفِي كِتَابِ ٱللهِ: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ مَفْهُـومُـهُ وَكُـلَّ مَـنْ يَلْـزَمُكُـمْ 99

أَرَادَ بِـٱلتَّفْقِيـهِ وَٱلتَّـأْدِيـبِ وَكَثْـرَةِ ٱلتَّعْلِيـمِ وَٱلتَّهْـذِيـبِ 100

وَفِي حَدِيثٍ لِلنَّبِيِّ ٱلْمُرْسَلِ مُحَمَّـدِ ٱلْمُعَظَّـمِ ٱلْمُبَجَّـلِ 101

أَنَّ ٱلْوَلَدْ بِٱلْفِطْرَةْ ٱلاِسْلاَمِيَّةْ يُولَدْ وَيَرْجِعْ بَعْدُ لِلْهُودِيَّةْ 102

يُهَـوِّدَاهُ وَالِـدَاهُ تَـاعِسَـا وَقَـدْ يُنَصِّـرَاهُ أَوْ يُمَجِّسَـا 103

فَـإِنْ هُمَـا سَـاقَـاهُ لِلصَّـوَابِ يُشَـارِكَـاهُ ٱلْكُـلُّ فِي ٱلثَّـوَابِ 104

فَإِنْ شَقِي وَضَاعَ مِنْ يَدَيْهِمَا وَفَـرَّطَـا فَـوِزْرُهُ عَلَيْهِمَـا 105

فَهَـٰذِهِ « رِيَـاضَـةُ ٱلصِّبْيَـانِ » جَمَعْتُهَـا مَنْظُـومَـةَ ٱلْمَعَـانِـي 106

مُفِيـدَةً لِكُـلِّ مَـنْ رَآهَـا وَدَبَّـرَ ٱلأَشْيَـا بِمُقْتَضَـاهَـا 107

وَٱللهُ يَهْـدِي ٱلْكُـلَّ لِلـرَّشَـادِ بِـهِ ٱسْتَعَنْـتُ فَهْـوَ خَيْـرُ هَـادِ 108

ثُـمَّ ٱلصَّـلاَةُ بَعْدَ حَمْدِ رَبِّـي عَلَى ٱلنَّبِيِّ ٱلْمُصْطَفَىٰ مِنْ كَعْبِ 109

وَكُـلِّ آلٍ لِلنَّبِـي وَتَـابِـعِ مَا لاَحَ بَرْقٌ فِي سَحَابٍ هَامِعِ 110

* * *

سِمطُ العِقيان

شَرح بُغيَةِ الإخوانِ ورياضَةِ الصِّبيان

تأليف

الشَّيخ العَلَّامَةِ الإمَام

عَبدِ اللهِ بن أحمد باسودان

رحمه الله تعالى

(١١٧٨-١٢٦٦هـ)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[خُطْبَةُ الكِتَابِ]

الحمدُ للهِ الَّذي شرَّفَ نوعَ الإنسانِ علىٰ سائرِ الحيوانِ ، ونفخَ فيهِ مِنْ روحهِ وعلَّمهُ البيانَ ، وألْهَمَ مَنْ يريدُ بهِ خيراً التَّفقُّهَ في شرائِعِ الإسلامِ والإيمانِ ، وهدىٰ إلىٰ ذلكَ مِنْ أوَّلِ النُّشوءِ مَنْ طهَّرَ جِبلَّتَهُ مِنَ الصِّبيانِ(١) ، وأعانَهُ علىٰ سلوكِ سبيلِ درجاتِ الإحسانِ والعرفانِ .

وأشهدُ أَنْ لا إلٰهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ ، الواحدُ الوهَّابُ المنَّانُ .

وأشهدُ أَنَّ مُحَمَّداً عبدُهُ ورسولُهُ المبعوثُ إِلَىٰ كافَّةِ الخلْقِ بالحقِّ والقرآنِ ، صَلَّى اللهُ وسلَّمَ عليهِ وعلىٰ آلهِ الطَّاهرينَ مِنَ الأدناسِ والأدرانِ ، وأصحابهِ الَّذينَ سَبقتْ لهُم مِن اللهِ الحسنىٰ والرِّضوانُ ، وتابعيهِ في كلِّ وقتٍ وأوانٍ .

وبعدُ :

فهٰذا شرحٌ لطيفٌ علىٰ منظومةِ الشَّيخِ الإمامِ ، شيخِ الإسلامِ ، وصدرِ الأئمَّةِ العلماءِ الأعلامِ : الجمالِ مُحَمَّدِ بنِ الإمامِ أحمدَ بنِ حمزةَ الرَّمليِّ الأنصاريِّ المصريِّ ؛ المسمَّاةِ : « **بغيةُ الإخوانِ في رياضةِ الصِّبيانِ** » .

أوردتُها مع شرحِ بعضِ ألفاظِها في الفصلِ الثَّاني مِنْ مقدِّمةِ كتابي المسمَّىٰ : « حدائِقُ الأرواحِ والأذهانِ » عند ذِكرِ الأسبابِ المهيِّئَةِ لصلاحِ

---

(١) الجِبِلَّة : الطبيعة .

الولدِ ، لا سيَّما وقد وردتِ الإشارةُ عليَّ بشرحِها ممَّنْ نسبَها إلىٰ قطبِ الدَّعوةِ في هـٰذا الأَوانِ ، وارثِ علومِ المعاملةِ والعرفانِ : السَّيِّدِ الإمامِ أَحمدَ بنِ الشَّيخِ القطبِ الحبيبِ عمرَ بنِ زينِ بنِ سميطٍ[1] ، نفعنا اللهُ بهم وسقانا مِنْ صافي شرابهم .

فأفردتهُ هنا لأَجْلِ انتفاعِ المبتدئينَ بهِ على الانفرادِ ؛ إذْ ربَّما يرغبُ راغبٌ في هـٰذا الشَّرحِ فقط ويعجزُ عن نسخِ ما عداهُ مِنْ ذلكَ الكتابِ .

وقد رأَيتُ عليها شرحاً لطيفاً جدّاً ممزوجاً لشيخنا إجازةً ، علاَّمةِ اليمنِ في عصرهِ عبدِ اللهِ بنِ سليمانَ الجرهزيِّ الزَّبيديِّ[2] ، لـٰكنَّ النُّسخةَ المسوَّدةَ لا يكادُ ينتفعُ بها إلاَّ بالقليلِ منهُ ؛ لضعفِ الخطِّ ، والظَّنُّ أَنَّهُ لَم يتمَّ ، وليسَ في شرحِنا هـٰذا منهُ شيءٌ إلاَّ مِنْ نحوِ ثلاثةِ مواضعَ أَو أَربعةٍ ، وسمَّيتُهُ :

« سِمطَ العِقيانِ شرحَ بغيةِ الإخوانِ ورياضةِ الصِّبيانِ »[3]

واللهَ أَسأَلُ النَّفعَ بهِ ، وجزيلَ الثَّوابِ بسببهِ ، وأَلاَّ يجعلَ أَعمالَنا وأَقوالَنا حجَّةً علينا ، وأَنْ يجعلَ غايتَنا ابتغاءَ رضائهِ والزُّلفىٰ لديهِ بكلِّ ما عندنا مِنْ فضلهِ وما لدينا ، آمين .

---

(١) أحمد بن عمر بن زين بن علوي بن سميط باعلوي الحسيني الحضرمي (١١٨٣ـ١٢٥٧هـ) ، علامةٌ مرشدٌ ، وداعيةٌ إسلاميٌّ ذائعُ الصيت بوادي حضرموت ، مولده بتريم ووفاته بشبام .

(٢) عبد الله بن سليمان الجرهزي الزَّبيدي الشافعي ، توفي سنة (١٢٠١هـ) ويخطىءُ كثيرون فيسمونه (الجوهري) وهو فقيه محدث ، له مصنفات كثيرة .

(٣) قوله : (سمط العقيان) السمط ـ بكسر السين ـ : هو الخيط ما دام فيه الخرز ، وإلاَّ . . فهو سلك . والعِقيان : ذَهَبٌ ينبُتُ نباتاً ، وليس مما يستذاب ويحصَّل من الحجارة . وقيل : هو الذهب الخالص .

[مقدمة الناظم]

قالَ رحمَهُ اللهُ بعدَ البسملةِ :

1 أَلْحَمْـــدُ للهِ وَلِــيِّ ٱلْحَمْـــدِ مُـوَفِّـقِ ٱلْخَلْـقِ لِكُـلِّ رُشْـدِ

2 عَلَـى ٱلَّـذِي بِـهِ عَلَيْنَـا أَنْعَمَـا حَمْداً يَعُمُّ ٱلأَرْضَ طُرّاً وَٱلسَّمَا

بدأَ في هٰذينِ البيتينِ بالحمدلةِ بعد البسملةِ ؛ اقتداءً بالكتابِ العزيزِ ، وخبرِ : « كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لاَ يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللهِ ـ وفي روايةٍ : بِالْحَمْدُ للهِ ـ . . فَهُوَ أَقْطَعُ » وفي روايةٍ : « أَبْتَرُ » أي : قليلُ البركةِ ، أو مقطوعُها(١) .

وأضافَ الحمدَ للاسمِ العليِّ ؛ ليفيدَ أَنَّهُ مستحقُّهُ لذاتِهِ ، ووصفَهُ بأَنَّهُ : (وَلِيُّ الْحَمْدِ) لأَنَّهُ اختارَهُ لنفسهِ ، ولا يَحمدُهُ بهِ غيرُهُ(٢) ؛ أي : علىٰ وجهِ الكمالِ ؛ إِذْ ما عَرَفَ اللهَ إِلاَّ اللهُ(٣) .

---

(١) أخرجه ابن حبان (٢) ، وأبو داوود (٤٨٤٠) ، وابن ماجه (١٨٩٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه كلهم بنحوه . وقال الحافظ السخاوي رحمه الله تعالىٰ في « المقاصد الحسنة » (٨١٧) : (وأفردت فيه جزءاً) .

(٢) أي : لا يَحمدُ اللهَ بهٰذا الاسم العلي إلاَّ اللهُ على وجه الكمال .

(٣) في بعض الحواشي أن قائل ذلك : هو سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه في بيتين ؛ هما : (من البسيط)

لاَ يَعْـــرِفُ اللهَ إِلاَّ اللهُ فَـــاتَّئِـــدِ وَالــدِّيــنُ دِينَــانِ إِيمَــانٌ وَإِشْــرَاكُ

وَلِلْعُقُـــولِ حُـــدُودٌ لاَ تُجَـــاوِزُهَـــا وَالْعَجْـــزُ عَـــنْ دَرَكِ الإِدْرَاكِ إِدْرَاكُ

والحمدُ : هوَ الثَّناءُ بالجميلِ علىٰ جهةِ التَّعظيمِ والتَّبجيلِ .

فكانَ كمالُ حمدِهِ خاصَّةً بهِ ، ثمَّ بالملائِكةِ وأُولي العِلْمِ الَّذينَ شهدوا لهُ أَنَّهُ لا إلـٰهَ إلاَّ هوَ[1] .

ونعَتَهُ بـ(الوليِّ) أي : أَنَّهُ تعالىٰ وليٌّ ومتولِّي وموالي ومحبُّ مَنْ وفَّقهُم لحمدِهِ ، وأَرشدَهُم إليهِ وعرَّفَهُم بهِ ، وناصرُهُم في الدُّنيا والآخرةِ ؛ ولذا عقَّبَهُ بقولِهِ : (مُوَفِّقِ الْخَلْقِ لِكُلِّ رُشْدِ) إذِ التَّوفيقُ : خَلْقُ قدرةِ الطَّاعةِ في العبدِ ، والرُّشْدُ ـ بضمِّ الرَّاءِ وسكونِ الشِّينِ المعجمةِ ، وبفتحِهِما ـ : الهدايةُ إلى الصَّوابِ والسَّدادِ ، ورشدُ كلِّ عبدٍ علىٰ قدرِ هدايتِهِ في جميعِ تدبيراتِهِ .

وقولُهُ : (عَلَى الَّذِي بِهِ عَلَيْنَا) معاشرَ المؤمنينَ الموحِّدينَ (أَنْعَمَا) بأَلفِ الإطلاقِ ؛ أي : أَنَّهُ أَنعمَ علينا أَوَّلاً : بنعمةِ الإيجادِ مِنَ العدمِ ، ثمَّ بنِعْمةِ الإمدادِ بمَحْضِ الجودِ والكرمِ ، وثانياً : بنعمةِ الإسلامِ الَّتي هي أَجلُّ النِّعمِ .

وقوله : (حَمْداً) مصدرٌ (يَعُمُّ) أَي : يشملُ (الأَرْضَ) لِكونِها تُقِلُّنا ومحلَّ قرارِنا ، و(السَّمَا) لأَنَّها سقفٌ لنا ومحلُّ تنزُّلِ خيرِنا وأَمطارِنا ، وفي ذلكَ إعانةٌ لنا على استمرارِ وجودِنا الَّذي هوَ مقصودٌ لاستمرارِ خدمتِنا لمولانا ووليِّنا ومعبودِنا ؛ لقولِهِ تعالىٰ : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ .

---

(١) إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ من سورة (آل عمران) : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ .

وسُمِّيَ الوليُّ وليّاً : لموالاتهِ للهِ تعالىٰ وحزبهِ ، ومعاداتهِ للشَّيطانِ وحزبهِ .

ففي البيتينِ براعةُ استهلالٍ تشيرُ إلىٰ ما خُصَّ بهِ نوعُ الإنسانِ ، لا سيَّما أَهلُ الإيمانِ .

* * *

[الصلاة على النبي ﷺ بعد الحمدلة]

ثمَّ قالَ رضيَ اللهُ عنهُ :

3 ثُمَّ ٱلصَّلاَةُ بَعْدَ مَا قُلْنَا بِهِ   عَلَى ٱلنَّبِي وَآلِهِ وَصَحْبِهِ

(ٱلصَّلاَةُ) هي الرَّحمةُ المقرونةُ بالتَّعظيمِ .

(بَعْدَ مَا قُلْنَا بِهِ) مِنَ الثَّناءِ على اللهِ بالحمدِ ؛ لاستحقاقِهِ ذلكَ علينا .

(عَلَى النَّبِي) الَّذي هوَ الواسطةُ العظمىٰ في الإيجادِ ؛ إِذْ هوَ أَصلُ الأَكوانِ ومنبعُها ، ووسيلتُنا في الإمدادِ الَّذي هوَ استمرارُ الإحسانِ والخيراتِ أَجمعِها ، فالدُّعاءُ لَهُ بما ذكرَ مستحقٌّ علينا أَيضاً .

و(النَّبيء) بالهمزِ : مِنَ النَّبأ ؛ وهوَ : الإعلامُ ، وبتركِهِ : مِنَ النَّبْوةِ ؛ وهوَ : الارتفاعُ .

و(آلِهِ) الَّذينَ هوَ[1] مأْمورٌ أَنْ يسأَلَ لهم مِنَ الأُمَّةِ المودَّةَ ؛ هُم : بنو هاشمٍ ، وبنو المطَّلبِ .

وأفضلُ ذلكَ : إِشراكُهم معَهُ في الصَّلاةِ الواجبةِ في كلِّ صلاةٍ .

---

(١) الضمير عائد إلى الرسول صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في قوله تعالىٰ : ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ .

وقيلَ : هُم كلُّ مؤْمنٍ ؛ أَي : في مقامِ الدُّعاءِ ؛ لِكونهِمُ استجابوا للهِ وللرَّسولِ ، ولقولهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في حديثِ « الصَّحيحينِ » : « إنَّ آلَ بَنِـي فُـلاَنٍ لَيْسُـوا لِـي بِـأَوْلِيَـاءَ ، وَإِنَّمَـا وَلِيِّـيَ اللهُ وَصَـالِـحُ الْمُؤْمِنِينَ »[1] .

و(صَحْبِهِ) ـ جمعُ صاحبٍ ـ : مَنِ اجتمعَ بهِ في حياتهِ مؤمناً وماتَ علىٰ ذلكَ ، وهُمُ الَّذينَ أعلى اللهُ تعالىٰ بهم كلمةَ الإسلامِ ، وأَحْيَا بهِم شعائِرَ الدِّينِ ، رضوانُ اللهِ تعالىٰ عليهِم أَجمعينَ .

❊ ❊ ❊

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٩٠) ، ومسلم (٢١٥) عن سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .

[موضوع المنظومة]

4 وَبَعْدُ : فَٱلتَّأْدِيبُ لِلصِّبْيَانِ مِنْ أَوَّلِ ٱلنَّشْوِ أَتَمُّ ٱلشَّانِ

(وَبَعْدُ) كلمةٌ يؤْتىٰ بها للانتقالِ مِنْ أُسلوبٍ إلىٰ آخَرَ .

(فَالتَّأْدِيبُ) الفاءُ في جوابِ (وبعدُ) لِكونِ أَصلِها ـ وهوَ : أَمَّا بعدُ ـ متضمِّناً لمعنى الشَّرطِ .

و(التأديب) تفعيلٌ مأْخوذٌ مِنَ الأَدبِ ؛ وهوَ : رياضةُ النَّفْسِ ومحاسنُ الأَخلاقِ ، ويقعُ علىٰ كلِّ رياضةٍ محمودةٍ يتخرَّجُ بها الإنسانُ في فضيلةٍ مِنَ الفضائِلِ .

وعُرِّفَ أَيضاً : بالوقوفِ معَ المستحسناتِ شرعاً وعقلاً ، وٱستعمالِ ما يُحمَدُ قولاً وفعلاً .

فَائِدَة

[الأدب وما يدخل فيه]

قالَ بدرُ الدِّينِ حسينٌ الأَهدلُ[1] في « مصباحِ القاري بشرحِ جامعِ

(١) هو العلامة المفنن حسين بن عبد الرحمـٰن بن محمد بن علي بن أبي بكر الأهدل الحسيني الشافعي، مولده سنة (٧٧٩هـ)، ووفاته سنة (٨٥٥هـ) رحمه الله تعالىٰ، أحد أعيان علماء اليمن في عصره ، صنف في الفقه والأصول والحديث والتاريخ كتباً عديدة . ترجم له الحافظ السخاوي=

البخاريِّ »[1] : (ويدخلُ فيهِ ـ أي الأَدبِ ـ الأَدبُ معَ اللهِ تعالىٰ ، ومعَ أَنبيائهِ ، والقرآنِ ، والعِلْمِ ، والعلماءِ ، والمشايخِ ، والأَصحابِ ، والأَزواجِ ، والأَولادِ ، والتَّلامذةِ ، وسائرِ الفقراءِ والمساكينِ) اهـ ، نقلَهُ عنهُ الجرهزيُّ في « شرحِهِ » .

وَمَنْ جمعَ محاسنَ مِنَ الأَدبِ . . فقد حازَ حظّاً مِنَ الوراثةِ لَهُ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ القائلِ : « أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي »[2] . وكانَ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ خُلُقُهُ القرآنُ[3] .

و(لِلصِّبْيَانِ) بكسرِ الصَّادِ المهملَةِ جمعُ صبيٍّ ؛ وهوَ : اسمٌ يقعُ على الولدِ إلى البلوغِ ، والأُنثىٰ : صبيَّةٌ .

و(النَّشْوِ) ـ كالنَّشأَةِ ـ : التَّربيةُ .

والمرادُ في قولِهِ : (مِنْ أَوَّلِهِ) أَي : مِنِ ٱبتداءِ وجودِ التَّمييزِ فيهِ .

(أَتَمُّ الشَّانِ) أَي : الحالِ والأَمرِ المهمِّ ، و(أَتَمُّ) خبرُ (التَّأْديبِ) أَي : أكملُهُ .



= رحمه الله تعالىٰ في « الضوء » (٣/ ١٤٥)، والعلامة كحّالة في « معجم المؤلفين » (١/ ٦١٤).

(١) هٰكذا في الأصل ، ولٰكن الذي في ترجمته أن اسمه : « مفتاح القاري لجامع البخاري » كذا في « الضوء اللامع » ووصفه أنه حواشٍ انتقاها من « شرح الكرماني » مع زيادات . « الضوء اللامع » (٣/ ١٤٦) ، و« إتحاف القاري » للسيد محمد عصام عرار (١١٦) .

(٢) ذكره المتقي الهندي في « كنز العمال » (٣١٨٩٥) وعزاه لابن السمعاني في « أدب الإملاء » عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وذكره العلامة العجلوني في « كشف الخفا » (١/ ٧٠) وعزاه للعسكري في « الأمثال » عن سيدنا علي كرم الله وجهه .

(٣) أخرجه مسلم (٧٤٦) من حديث طويل عن أم المؤمنين سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

[مدح الإمام الغزالي رحمه الله]

قالَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ :

5 وَقَدْ بِذَاكَ صَرَّحَ ٱلْغَزَالِي بَحْرُ ٱلْعُلُومِ صَادِقُ ٱلْمَقَالِ

(قَدْ) هنا حرفُ تحقيقٍ .

(بِذَاكَ) ذا : اسمُ إشارةٍ راجعٌ إلى التَّأْديبِ ، بعَّدَهُ بٱلكافِ ؛ إشارةً إلى التَّعظيمِ .

(صَرَّحَ) أَي : أَوضحَ متناهياً في ذلكَ (الْغَزَالِي) أَي : الإمامُ حجَّةُ الإسلامِ مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدٍ الغزاليُّ الطُّوسيُّ النَّيسابوريُّ ، الفقيهُ الصُّوفيُّ الشَّافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ .

(بَحْرُ الْعُلُومِ) الَّذي لا يُدركُ لَهُ غورٌ فيها .

(صَادِقُ الْمَقَالِ) أَي : القولِ ؛ أَي : الصَّادقُ في نُصحهِ للأُمَّةِ ، الصِّدِّيقُ المنتهي إِلىٰ أَعلىٰ درجاتِ الصِّدِّيقيَّةِ الَّتي مِنْ أَعظمِها التَّخلُّقُ بالرَّحمةِ .

وقد أَقرَّ له جميعُ العلماءِ المنصفينَ ، والأَولياءِ العارفينَ بالتَّحقيقِ في جميعِ الفنونِ ، والتَّقدُّمِ علىٰ حامليها فيما يعلمونَ ويعملونَ .

نُقِلَ عن الشَّيخِ إمامِ الطَّريقينِ وشيخِ الفريقينِ : أَبي الذَّبيحِ إسماعيلَ الحضرميِّ اليمنيِّ ، قطبِ اليمنِ رضي اللهُ عنه[1] أَنَّهُ سُئِلَ عن تصانيفِ الإمامِ الغزاليِّ . . فقالَ مِنْ جملةِ جوابِهِ :

مُحَمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ سيِّدُ الأنبياءِ ، ومُحَمَّدُ بنُ إدريس الشَّافعيُّ سيِّدُ الأَئِمَّةِ ، ومُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدٍ الغزاليُّ سيِّدُ المصنِّفينَ ، ذكرهُ اليافعيُّ نفعَ اللهُ بهِ[2] .

وأَمَّا ساداتُنا وَأَئِمَّتُنا العلَويُّونَ قدَّسَ اللهُ أَرواحَهُم . . فقد أَطنبوا في مدحِهِ والثَّناءِ علىٰ كتبِهِ مع المبالغةِ في ذلكَ ، لا سيَّما الشَّيخُ عبدُ اللهِ بنُ

---

(١) هو الشيخ الإمام إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن علي بن عبد الله بن إسماعيل بن ميمون . مولده سنة (٦٠١هـ) ، ووفاته سنة (٦٧٦هـ) سنةَ وفاة الإمام النووي رحمهما الله تعالىٰ . انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ١٣٠) ، و« هِجَرُ العلم ومعاقله » للإمام الأكوع رحمه الله تعالىٰ (٣/ ١١٩١) ، و« السلوك » للإمام الجَنَدي رحمه الله تعالىٰ (٢/ ٣٦) ، و« مرآة الجنان » (٤/ ١٧٥ـ١٨٢) ، و« شذرات الذهب » (٥/ ٣٦١) .

(٢) في « الكواكب الدرية » للعلامة المناوي في ترجمة الشيخ إسماعيل الحضرمي (٢/ ٦٨) : (ورفعت إليه فُتيا فيها : هل يجوز قراءة كتب الغزالي ؟! فكتب : إنا لله وإنا إليه راجعون! محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء . . . إلخ) اهـ، ومثل هـٰذا عند الإمام اليافعي رحمه الله تعالىٰ (ت ٧٤٥هـ) في « الإرشاد والتطريز في فضل ذكر الله وتلاوة كتابه العزيز » فقد أوضح فيه معنىٰ هـٰذه المقولة بقوله مختصراً (ص ١٤٧ـ ١٤٨) : (قلت : وإنما سماه « سيد المصنفين » لأنه تميَّز عن المصنفين بكثرة المصنفات البديعات ، وغاص في بحر العلوم ، واستخرج منها الجواهر النفيسات ، وسحر العقول بحسن العبارات ، مما لم يجمعه مصنفٌ فيما علمنا ، ولا يجمعه فيما نظن ما دامت الأرض والسماوات ، فهو سيد المصنفين عند المنصفين ، وحجة الإسلام عند أهل الاستسلام ، المقبول بالحق من المحققين في جميع الأقطار والجهات ، وليس يعني أن تصانيفه أصح ؛ فـ« صحيح البخاري » ثم « صحيح مسلم » أصح الكتب المصنفات) .

أَبي بكرٍ العيدروسُ مِنَ المتقدِّمينَ[1] ، والشَّيخُ عبدُ اللهِ بنُ علويٍّ الحدَّادُ مِنَ المتأَخِّرينَ[2] ، نفعَ اللهُ بِهِما .

وقد نقلتُ كثيراً مِنْ مقالاتِهِما معَ ذِكرِ طرفٍ مِنْ أَحوالِهِ في « فيضِ الأَسرارِ شرحِ سلسلةِ شيخِنا الحبيبِ عمرَ بنِ عبد الرَّحمـٰنِ البار »[3] رضيَ اللهُ عنهُ ، وفي الفصلِ الأَوَّلِ مِنْ هـٰذا الكتابِ .

---

(١) هو السيد الشيخ الإمام عبد الله بن أبي بكر بن الشيخ عبد الرحمـٰن السقَّاف باعلوي الحسيني الحضرمي التريمي ، مولده بها سنة (٨١١هـ) ، ووفاته سنة (٨٦٥هـ) ، وهو أول من لقب بالعيدروس ، لقبه به أبوه ، أخذ عن علماء وقته . ترجمته موسعة في « المشرع الروي » (٢/ ٣٤٢) .

(٢) هو الشيخ السيد الشريف الإمام العلامة ، عبد الله بن علوي بن محمد بن أحمد الحداد باعلوي الحسيني الحضرمي التريمي ، مولده بتريم سنة (١٠٤٤هـ) ، وبها وفاته سنة (١١٣٢هـ) .
كان نادرة دهره ، وفريد عصره ، وذِكْرُه وعِلمه لا زال نصب أعين الناس وأسماعهم إلى اليوم ، وآثاره العلمية الصادحة بالحق ، والمعلنة بالصدق شاهدةٌ علىٰ إخلاصه ونصحه ، وشيوخه وتلامذته كثرةٌ كاثرة . وقد لقي في سبيل نشره الدعوة وصدعه بالحق عنتاً كثيراً من الناس حتىٰ تحول إلى الحاوي بقرب تريم ، وانعزل عن الناس سوىٰ عن تلامذته ومحبيه ومن جاءه قاصداً الانتفاع . انظر للتوسع « غاية القصد والمراد في مناقب الإمام الحداد » ، ومختصره « بهجة الفؤاد » كلاهما للحبيب محمد بن زين بن سميط أحد كبار تلامذته ، الأول منهما مطبوعٌ في مجلدين .

(٣) من مؤلفات المؤلف ، وهو مخطوط في مجلدين ضخمين . وشيخه البار هـٰذا هو : السيد العالم الجليل عمر بن عبد الرحمـٰن بن عمر بن عبد الرحمـٰن البار باعلوي الحسيني الحضرمي ، المعروف بصاحب جلاجل ، المولود بالقرين من بلدان وادي دوعن الأيمن ، والمتوفىٰ علىٰ ظهر سفينة أقلَّته متوجهاً إلى الحج سنة (١٢١٢هـ) ، ودفن بمرسىٰ جلاجل علىٰ ساحل البحر الأحمر ، وجلاجل : هي مرسىٰ وادي دوقة الواقع بين القنفذة والليث مفتتح الحجاز من جهة اليمن ، وهو وادٍ كبير به قرىً ومزارع . « تاريخ الشعراء الحضرميين » (٣/ ٣١ـ٣٧) .

و(الغزاليُّ) بالتَّشديد والتَّخفيفِ ، قيلَ : نسبةً إِلىٰ قريةٍ تسمَّىٰ غزالة وهوَ الأَصحُّ ، ذكرَهُ الفاكهيُّ . وقيلَ : نسبةً إِلى الغزلِ .

توفِّيَ يومَ الإِثنينِ ، رابعَ عشرَ جمادى الأُولىٰ ، سنةَ خمسٍ وخمس مئة نفعَ اللهُ بهِ .

* * *

[مدح كتاب « الإحياء »]

قالَ رحمَهُ اللهُ :

6 وَحَثَّ فِي « إِحْيَا عُلُومِ ٱلدِّينِ » عَلَىٰ قِيَامِ ٱلأَهْلِ بِٱلْبَنِينِ

(حَثَّ) أَي : رغَّبَ وأَكَّدَ (فِي « إِحْيَا عُلُوم الدِّينِ ») أَي : الكتابِ المشهورِ بهٰذا الاسمِ ، الحقيقِ بهِ ، المعجزة الخارقة الصَّادقة فيهِ[1] ؛ لذلكَ قول سيِّدي الشَّيخِ عبدِ اللهِ الحدَّادِ قدَّسَ اللهُ روحَهُ : [من الكامل]

وَبِوَضْعِهِ « ٱلإِحْيَاءَ » فَاقَ فَيَا لَهُ مِنْ فَائِقٍ ، وَكَمِثْلِهِ لَمْ يُوضَعِ[2]

وقولُهُ: (عَلَىٰ قِيَام الأَهْلِ) وهُم مَنْ سيأتي في النَّظمِ تعريفُهُ مِنَ الأَولياءِ.

(بِالْبَنِينِ) اسمٌ يختصُّ بالذُّكورِ، والمرادُ : الجنسُ ؛ أَي : والبناتِ . والمرادُ بالقيامِ عليهِم : تعليمُهم وتعريفُهم ما سيأتي ، والاعتناءُ بهِم في سائِرِ أَحوالهِم .

* * *

(١) حيث فصَّل الإمام الغزالي رحمه الله تعالىٰ ذلك في (كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق) وهو الكتاب الثاني من ربع المهلكات ، في باب : بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول نشوهم ، انظر « إحياء علوم الدين » (٣/ ٧٢ـ٧٩) وجلُّ نقل الشارح رحمه الله تعالىٰ منه .

(٢) انظر « ديوان الإمام الحداد » رحمه الله تعالىٰ (ص٣٦٠) .

[التأديب في الصغر كالنقش على الحجر]

قالَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ :

7 لِأَنَّ تَأْدِيبَ ٱلصَّبِي فِي صِغَرِهْ	زِيَـادَةٌ لِحَظِّـهِ فِـي كِبَـرِهْ
8 يَنَالُ فِي ذَاكَ ٱلْحُظُوظَ ٱلْوَافِرَةْ	وَرَاحَةَ ٱلدُّنْيَا وَخَيْرَ ٱلآخِرَةْ

أَي : (لأَنَّ تَأْدِيبَ الصَّبِي) أَي : والصَّبيَّةِ ؛ إِذِ المرادُ هنا : الجنسُ (فِي صِغَرِهْ) أَي : حالَ صباهُ ؛ لقَبولهِ لذلكَ ، وانتقاشهِ في لوحِ قَلْبهِ ؛ كما سيأْتي .

(زِيَادَةٌ لِحَظِّهِ) أَي : نصيبهِ مِنَ الكمالِ (فِي كِبَرِهْ) بحيثُ إنَّهُ لا يصلُ إِلىٰ وقت كبرهِ إِلاَّ وهوَ يستحقُّ التَّوقيرَ والتَّقدُّمَ علىٰ أَقرانهِ زيادةً علىٰ ما يستحقُّهُ في وقتِ صباهُ ، وإِلاَّ . . فذو الأَدبِ وفضيلةِ العِلْمِ يستحقُّ ذلكَ في كلِّ سنٍّ وفي كلِّ حالٍ وموطنٍ ؛ ولذا كانَ العالِمُ بينَ الجهَّالِ الَّذينَ لا يعرفونَ قَدْرَهُ مِنَ المرحومينَ ؛ لقولهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ارْحَمُوا ثَلاَثَةً » وعدَّ منهم : « عَالِماً بَيْنَ جُهَّالٍ »[(١)] .

ويحسنُ منهُ معَ ذلكَ : الاستنانُ والتَّمسُّكُ بخُلقِ التَّواضعِ والرَّحمةِ

---

(١) أخرج نحوه القضاعي في « مسند الشهاب » (٧٣٤) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

بكلِّ الخلْقِ ؛ لـ(يَنَالَ فِي ذَاكَ) الأَدبَ الجامعَ لِما مرَّ .

و(الْحُظُوظَ) جَمَعَهُ هنا لتكثيرِ المراتبِ والمناصبِ والمناقبِ الَّتي ينالُ بها أَهلُ الأدَبِ والسُّلوكِ منازلَ الملوكِ ، بل هُمُ الحاكمونَ على الملوكِ .

و(الْوَافِرَة) الكاملةُ .

قولُهُ : (وَرَاحَةَ الدُّنْيَا) أَي : اللَّذَّةَ الكاملةَ فيها بمباشرةِ العلومِ وذِكْرِها ، والمذاكرةِ فيها ، والتَّطلُّعِ إِلى استنتاجِ معانيها .

وفي ذلكَ يقولُ الشَّيخُ أَحمدُ بن زينٍ الحبشيُّ باعلوي[1] ـ فيما نقلَهُ عنه الشَّيخُ مُحَمَّدُ بنُ زينِ بنُ سميطٍ علوي[2] نفع الله بهما ـ : (مِنْ حينِ الصِّغرِ وأَيَّامِ الصِّبا ونحنُ نتلهَّفُ علىٰ طلبِ العِلْمِ والخيرِ ، ولا نجدُ

---

(١) السيد العالم العلامة المرشد أحمد بن زين بن علوي بن أحمد ـ صاحب الشِّعب ـ ابن محمد الحبشي باعلوي ، إمام في العلوم الشرعية ، شهد له بالتقدم والسبق كثير من شيوخه ، مولده سنة (١٠٦٩هـ) ، ووفاته سنة (١١٤٥هـ) بخلع راشد التي عرفت بعده بـحوطة أحمد بن زين . له كثير من الشيوخ ، ولـكن أشهرهم وأكثر من لازمه منهم هو : الإمام عبد الله بن علوي الحداد ، لازمه نحو (٤٠) سنة ، قرأ عليه فيها فنوناً من العلوم حتىٰ تضلع وتأدب بشيخه ، وصار أحد الشيوخ المرشدين من بعده ، له مصنفات كثيرة . انظر « قرة العين » ، وتعليقات « شمس الظهيرة » للسيد ضياء شهاب (٢/ ٤٧١) ، و« تاريخ الشعراء الحضرميين » (٣/ ٥٨ـ٦٤) ، و« معجم المؤلفين » (٣/ ١٤٢) ، و« الأعلام » (١/ ١٢٤) .

(٢) السيد العلامة ، المرشد الداعي إلى الله : محمد بن زين بن سميط باعلوي الحسيني الحضرمي التريمي مولداً ، الشبامي وفاة ، مولده سنة (١١٠٠هـ) ، ووفاته سنة (١١٧٢هـ) . أخذ عن أكابر علماء عصره ، وشيخُ فتحه هو الإمام عبد الله بن علوي الحداد (ت١١٣٢هـ) ، ولازم بعد وفاته تلميذه الأكبر السيد أحمد بن زين الحبشي ، المتقدمة ترجمته . للتوسع انظر « الأعلام » (٦/ ٣٦٨) ، و« معجم المؤلفين » (٣/ ٣٠٨) ، وسماه فيه : محمد بن زيد ، خطأ . وهو من شيوخ الحافظ محمد مرتضى الزبيدي ، أخذ عنه بالمكاتبة ، وترجم له في «معجم شيوخه». انظر « فهرس الفهارس » (١/ ٥٤٠)، و« تاريخ الشعراء » (٣/ ١٢٧ـ١٣٥).

المعينَ في بلدِنا ، ولا مَنْ يشفي الغليلَ ، وكانَ معنا تطلُّعٌ وتولُّعٌ وتألُّه لطلبِ الزِّيادةِ مِنَ الخيرِ وأَفعالِ البرِّ ، سيَّما طلبُ العِلْمِ) اهـ

وهوَ يشيرُ بذلكَ ـ لطهارةِ طينتهِ ونفسهِ ـ إلىٰ مواطنِ رَوحهِ وراحتهِ ، ومحالِّ أُنسهِ ، وحضائرِ قدسهِ[١] ، ولا يصلُ لذلكَ إلاَّ بالعِلْمِ النَّافعِ ، المصحوبِ بالعملِ الخالصِ ، المقرونِ بشهودِ المِنَّةِ للهِ تعالىٰ في جميعِ ذلكَ ، ففي ذلكَ الرَّاحةُ العاجلةُ في الدُّنيا بوارداتِ المعارفِ والأَسرارِ ، والعزَّةُ المشرقةُ بالأَنوارِ مع عدمِ الالتفاتِ إلى الأغيارِ ؛ كما قالَ بعضهُم : أَبناءُ الدُّنيا تخدمُهُمُ العبيدُ ، وأَبناءُ الآخرةِ يخدمُهُمُ الأَحرارُ[٢] .

وكانَ الإمامُ عبدُ اللهِ بنُ المباركِ مِنَ الموالي ، فاشتغلَ بطلبِ العِلْمِ ، فما مضتْ لَهُ سَنةٌ إلاَّ وجاءَهُ والي بلدهِ زائراً ﴿ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ .

وقد جمعَ الإمامُ الغزاليُّ رحمَهُ اللهُ ما أَعدَّهُ اللهُ تعالىٰ مِنَ الكرامةِ لأَهلِ التَّقوىٰ ـ وهُم أَهلُ العِلْمِ والعملِ في الدُّنيا والآخرةِ ـ في آخرِ « منهاجِ العابدينَ » فانظرها منهُ[٣] .

* * *

(١) حضيرة القدس : الجنة .

(٢) وقد قيل : ضَمِنَ العلمُ لكل مَنْ خدمه : أن يجعل الناس كلهم خدَمه ، وقال الإمام السيوطي رحمه الله تعالىٰ في « الازدهار فيما عقده الشعراء من الأحاديث والآثار » (ص ٦٦) : قال بعضهم ـ وقيل للشافعي ـ : [من المنسرح]

أَلعلم من شرطه لمن خدمهْ ... أن يجعل الناس كلهم خدمهْ
وواجبٌ صونه عليه كما ... يصون الناس عرضه ودمهْ
فمن حوى العلم ثم أودعه ... بجهله غير أهله ظلمهْ
وكان كالمبتني البناء إذا ... تمَّ له ما أرادهُ هدمهْ

(٣) منهاج العابدين (ص ٢٧٠ـ ٢٨٥) .

[من عليه واجب تأديب الصبيان]

قالَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ :

9 فَيَنْبَغِـــي لِكُــــلِّ جَــــدٍّ وَأَبِ وَقَيِّمِ الْحَاكِمِ تَأْدِيبُ الصَّبِي

10 لِأَنَّـــهُ أَمَـــانَـــةٌ عِنْـــدَهُـــمُ وَقَلْبُـــهُ يَقْبَـــلُ تَــأْدِيبَهُـــمُ

قولُهُ : (فَيَنْبَغِي) الفاءُ سببيَّةٌ ؛ أَي : لأَجْلِ ما ذكرَ وسببهِ (ينبغي) أَنْ يتحتَّمَ ، ويجبَ في الواجبِ ، ويُندَبَ في المندوب (لِكُلِّ جَدٍّ) عند فَقْدِ الأَبِ أَو عدمِ تأَهُّلِهِ (وَأَبِ) أَي : ووصيِّهِ ، والأُمِّ (وَقَيِّمِ الْحَاكِمِ) وكذا سائِرُ الأَولياءِ تعليمُ (الصَّبِي) لما ذُكِرَ (لأَنَّهُ أَمَانَةٌ . . . إِلخ)[1] .

* * *

(١) قال بعض أهل العلم : إن الله سبحانه يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة قبل أن يسأل الولد عن والده ؛ فإنه كما أن للأب على ابنه حقاً ، فللابن علىٰ أبيه حقٌّ ، فكما قال تعالىٰ : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ . . قال تعالىٰ : ﴿ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ ، قال سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (علموهم وأدبوهم) ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اعدلوا بين أولادكم » ؛ فوصية الله للآباء سابقةٌ علىٰ وصية الأولاد بآبائهم ؛ قال تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ﴾ ، فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدىً . . فقد أساء إليه غاية الإساءة ، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قِبل الآباء ، وإهمالهم لهم ، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه ، فأضاعوهم صغاراً ، فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كباراً . اهـ « تحفة المودود بأحكام المولود » (ص ٧٣٩) .

[تهديد الأمِّ ولدها بالأب]

قالَ الحجَّةُ ـ قدَّسَ اللهُ روحَهُ ـ في كتابِ (رياضةِ النَّفسِ) مِنَ « الإحياءِ » في بيانِ رياضةِ الصِّبيانِ ما ملخَّصُهُ ـ وهوَ متضمِّنٌ أيضاً لشرحِ قولِهِ رحمَهُ اللهُ :

11 وَٱلأُمُّ لِابْنِهَـا تُهَـدِّدْ بِـٱلأَبِ[1] ... زَجْراً لَهُ عَنِ ٱلْخَنَا وَٱللَّعِبِ
12 إِذْ قَلْبُهُ كَٱلشَّمْعَةِ ٱلْمَقْصُورَةْ ... مُجَـوْهَـرٌ يَقْبَـلُ كُـلَّ صُـورَةْ
13 فَيَنْبَغِـي لَهُـمْ بِـأَنْ يُعَـوِّدُوا ... أَوْلاَدَهُمْ فِعْلَ ٱلتُّقَىٰ لِيُسْعَدُوا

(اِعلَمْ : أَنَّ رياضةَ الصِّبيانِ وسلوكَ طريقِها والاعتناءَ بها مِنْ أَهمِّ الأُمورِ ، والصَّبيُّ أَمانةٌ عندَ والديهِ ، وقلبُهُ الطَّاهرُ جوهرةٌ نفيسةٌ ساذجةٌ خاليةٌ عن كلِّ نقشٍ وصورةٍ[2] ، وهوَ قابلٌ لكلِّ نقشٍ وصورةٍ ، ومائِلٌ إلىٰ كلِّ ما يمالُ إليهِ ؛ فإِنْ عُوِّدَ الخيرَ وعُلِّمَهُ . . نشأَ عليهِ ، وسَعِدَ في الدُّنيا والآخرةِ ، وشاركَهُ في ثوابهِ أَبواهُ وكلُّ مَنْ علَّمَهُ وأَدَّبَهُ .

---

(١) ولهٰذا الشطر رواية أخرىٰ ، وهي :
وَتَنْهَـرُ ٱلأُمُّ وَلَـدْهَـا بِـٱلأَبِ
(٢) ساذَجة : خالصةٌ غير مشوبة .

وإِنْ عوِّدَ الشَّرَّ ، وأَهملَهُ إِهمالَ البهائِمِ . . شقيَ وهلكَ ، وكانَ الوزرُ في رقبةِ القيِّمِ بهِ والوليِّ عليهِ .

ومهما كانَ الأَبُ يصونُ الولدَ مِنْ نارِ الدُّنيا . . فبأَنْ يصونَهُ مِنْ نارِ الآخرةِ أَولىٰ ، وصيانتُهُ : بأَنْ يؤَدِّبَهُ ويهذِّبَهُ ، ويعلِّمَهُ محاسنَ الأَخلاقِ)[1] .

و(التَّهديدُ) التَّخويفُ ، و(الزَّجرُ) الطَّردُ معَ صوتٍ وتهديدٍ ، و(الخنا) الفحشُ .

و(القلبُ) المرادُ هنا : لطيفةٌ ربَّانيَّةٌ مِنَ العالَمِ الرُّوحانيِّ ، هيَ حقيقةُ الإِنسانِ ، والشيءُ العالِمُ العارفُ ، المدرَكُ منهُ ، وهوَ المعنِيُّ المثابُ المعاقَبُ ، والمخاطِبُ والمخاطَبُ ، ولَهُ علاقةٌ بالقلبِ الجسدانيِّ .

و(الشَّمْعَةُ الْمَقْصُورَةْ) الصَّافيةُ ، وقولُهُ : (يُعَوِّدُوا) أي : يواظبوا ويلازموا فعلَ الخيرِ .

* * *

(١) انظر « إحياء علوم الدين » (٣/ ٧٢) .

قالَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ :

فَصْلٌ

هوَ لغةً : الحاجزُ بينَ الشَّيئينِ ، واصطلاحاً : ما يشتملُ علىٰ جملةٍ مِنَ العِلْمِ .

[الحضانة أول درجات التربية]

14 وَأَوَّلُ ٱلأَشْيَا هِيَ ٱلْحَضَانَةْ لِأَنَّهُ مَعْ أَهْلِهِ أَمَانَةْ

أَي : أَوَّلُ ما يبدأُ مِنْ أَمورِ الصَّبيِّ : (الْحَضَانَة) بفتحِ الحاءِ مِنَ (الحِضْنِ) بكسرِها وهوَ : الجَنْبُ ؛ لأَنَّ الحاضنةَ تضمُّ الطِّفلَ إِلىٰ جنبِها .

وهيَ شرعاً : تربيةُ مَنْ لا يَستقِلُّ إلى التَّمييزِ ، والأَحقُّ بها مذكورٌ في كتبِ الفروعِ .

وقولُهُ : (لأَنَّهُ مَعْ أَهْلِهِ أَمَانَة) أَي : عند مَنْ يقومُ بتربيتهِ أَمانةٌ ؛ أَي : فالحاضنُ مؤْتَمَنٌ على الصَّبيِّ ؛ ولذا شُرِطَ فيه شروطٌ تقتضي المروءَةَ والشَّفقةَ والصِّيانةَ ؛ كالعفَّةِ ، والحريَّةِ ، وغيرِهما ؛ ليدفعَ عنه كلَّ ما يضرُّهُ ، ويحرصَ علىٰ كلِّ ما ينفعُهُ ويرفعُهُ ويصلحُهُ ؛ كما ذلكَ شأْنُ الأَمينِ والوديعِ في غيرِ هـٰذا النَّوعِ المكرَّمِ .

❊ ❊ ❊

[آداب الرضاعة]

قالَ رحمهُ اللهُ تعالىٰ :

15 فَيَنْبَغِـي إِرْضَـاعُ كُـلِّ طِفْـلِ ... صَـالِحَـةً بِقَـوْلِهَـا وَٱلْفِعْـلِ

16 تَـأْكُـلْ حَـلاَلاً لاَ مِـنَ ٱلْحَـرَامِ ... فَـٱلطَّبْـعُ قَـالُـوا تَـابِـعُ ٱلطَّعَـامِ

قالَ الحجَّةُ قدَّسَ اللهُ روحَهُ : (فيراقبُهُ في أَوَّلِ عمرهِ في حَضانتهِ وإرضاعهِ ، فيتحرَّىٰ لذلكَ المرأةَ الصَّالحةَ الَّتي تأْكلُ الحلالَ ؛ فاللَّبنُ الحاصلُ مِنَ الحرامِ إذا وقعَ نشوءُ الصَّبيِّ منهُ . . انعجنت طينتُهُ مِنَ الخبيثِ ، فيميلُ طبعُهُ إلى الخبائِثِ)[١] .

وكانَ سيِّدُنا جعفرٌ الصَّادقُ رضِيَ اللهُ عنهُ يُحذِّرُ مِنْ لبنِ الرَّائباتِ[٢] ، كما حذَّرَ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ خضراءِ الدِّمَنِ ، فسُئِلَ عنها ، فقالَ : « اَلْمَرْأَةُ الْحَسْنَاءُ فِي الْمَنْبَتِ السُّوءِ »[٣] .

وكانت أُمُّ الحسنِ البصريِّ رضيَ اللهُ عنهُ[٤] مولاةَ أُمِّ سلمةَ رضيَ اللهُ

---

(١) انظر « إحياء علوم الدين » (٣/ ٧٢) .

(٢) الرائبات : المتَّهَمات .

(٣) أخرجه القضاعي في « الشهاب » (٩٥٧) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٤) أم الحسن البصري : هي خيرة ، مولاة أم سلمة رضي الله عنها ، تزوجها يسار والد الحسن في =

عنهَا ، زوجِ النَّبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فربَّما غابت فتعطيهِ أُمُّ سلمةَ ثديَها(١) ، فكانوا يرونَ أن ذلكَ مِنَ الأَسبابِ المؤَثِّرةِ في هدايتهِ .

وقد كانوا يقولونَ : كُلْ ما شئْتَ . . فمِثْلَهُ تعملُ ، واصحبْ مَنْ شئْتَ . . فَمِثْلَهُ تكونُ .

* * *

= خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فولدت لسنتين بقيتا من خلافته . « سير أعلام النبلاء » (٤/ ٥٦٤) ، و« حلية الأولياء » (٢/ ١٤٧) .

(١) أم سلمة : هي أم المؤمنين ، وزوج رسولِ ربِّ العالمين صلى الله عليه وسلم ، السيدة هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية ، توفيت سنة (٦١هـ) . انظر « سير أعلام النبلاء » (٢/ ٢٠١) ، و« شذرات الذهب » (١/ ٢٨٠) .

[تحذير المرضعات من أكل الحرام]

قالَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ :

17 إِذَا خَبُثْ رَضَاعُهُ مَالَ إِلَىٰ فِعْلِ ٱلْخَبِيثِ آخِراً وَأَوَّلاَ

أَي : (إِذَا خَبُثَ رَضَاعُهُ) بسببِ أَكلِ المرضعةِ للحرامِ . . (مَالَ إِلَىٰ فِعْلِ الخَبيثِ) وهوَ اصطلاحاً : ما يُكرَهُ رداءَةً وخسَّةً ، محسوساً أو معقولاً ، وذلك يتناولُ : الباطلَ في الاعتقادِ ، والكذبَ في المقالِ ، والقبحَ في الأفعالِ . ذكرهُ المُناويُّ في « التَّوقيفِ »[(١)] .

فيكونُ هـٰذا الخبثُ في طبعهِ في أَوَّلِ أَمرهِ وآخرِهِ ؛ إِذْ مَنْ أَكلَ الحرامَ . . عَصَتْ جوارحُهُ ، شاءَ أَم أَبىٰ[(٢)] .

❊ ❊ ❊

---

(١) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف (ص ٣٠٧) .

(٢) هـٰذا قول الإمام سهل التستري رحمه الله تعالىٰ ، انظر « إحياء علوم الدين » (٢/ ٩١) . ونقل أيضاً عن الإمام أحمد قوله ـ وهو يعاتب يحيى بن معين رحمهما الله تعالىٰ بعد أن اعتذر وقال : كنت أمزح ؛ لمقالةٍ قالها ـ : (تمزح بالدين ؟! أما علمت أن الأكل من الدين ، قدَّمه الله تعالىٰ على العمل الصالح فقال : ﴿ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾ ؟!) .

[آداب الأكل والطعام]

قالَ رحمهُ اللهُ تعالىٰ :

18 وَبَعْدَ مَا يُفْطَمْ تَجِدْهُ يَشْتَهِي ... أَكْلَ ٱلطَّعَامِ دَائِماً لاَ يَنْتَهِي

19 يُعَلِّمُـوهُ ٱلأَكْـلَ بِـٱلْيَمِيـنِ ... وَٱلْبَسْمَلَـةَ حَتْمـاً بِكُـلِّ حِيـنِ

20 وَلاَ يُبَادِرْ قَبْلَ أَكْلِ صَاحِبِهْ ... وَيَأْكُلُ ٱلْعَيْشَ ٱلَّذِي بِجَانِبِهْ

فهٰذه الآدابُ كلُّها مِنَ السُّنَّةِ ، وقد جمعَها حديثُ « الصحيحينِ » عن عَمرو بنِ أبي سلمةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : كنتُ غلاماً في حِجْرِ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فكانت يدي تطيشُ في الصَّحفةِ ، فقالَ لي رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يَا غُلاَمُ ؛ سَمِّ اللهَ تعالىٰ ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ »(١) .

فينبغي لكلِّ وليٍّ أَنْ يقتديَ بهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في تعليمهِ لهٰذا الصَّبيِّ .

ولهٰذهِ الآدابِ مزيدُ بيانٍ في كتبِ الحديثِ والأَثرِ .

❊ ❊ ❊

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٧٦) ، ومسلم (٢٠٢٢) ، ويسن للمبسمل أن يجهر بها ؛ ليَسمعَها غيرُه فيقتدي به ، فإن نسيها أوله . . سُنَّ له في أثنائه أن يقول : (باسم الله أوله وآخره) .

[تعويده مضغ اللقمة ، وتجنب الجشع]

قالَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ :

21 وَيَمْضَغُ ٱللُّقْمَةَ مَضْغاً مُحْكَمَا وَلاَ يُسَارِعْ أَوْ يُوَالِي ٱللُّقَمَا

أَي : (وَ) يُطيلُ (مَضْغَ اللُّقْمَةِ) ويُصغِّرها (وَلاَ يُسَارِعُ) و (يُوَالِي اللُّقَمَا) أَي : لا يمدُّ يدَهُ للقمةٍ أُخرىٰ حتَّىٰ يُكملَ الأُولىٰ[1] .

و(يسارعُ) و(يوالي) بمعنىً واحدٍ .

* * *

(١) وللطعام آدابٌ كثيرةٌ ذكر خلاصتها العلامة عبد الحميد قدس رحمه الله تعالىٰ في أول كتابه « الذخائر القدسية في زيارة خير البرية صلى الله عليه وسلم » (ص ٥٤ـ ٦٤) ومن أهمها : التسمية ، وغسل اليدين ، وتحسين الجلسة ، والأكل باليمين ، وتصغير اللقمة ، وألاَّ يعيب مأكولاً ، وألاَّ يبتدىء بالطعام ومعه من يستحق التقديم بكبر سنٍّ أو زيادة فضل وعلم ، وألاَّ ينفخ في الطعام الحار ، وأن يكرم الخبز فلا يضع عليه قصعة الطعام ، ولا يمسح يده به ، ولا يقطعه بسكين ، ولا ينتظر الإدام بحضوره ، بل يُحضِره آخراً ويرفعه أولاً ، وأن يأكل مما يليه ، وألاَّ يراقب غيره علىٰ أكله فيستحيي ، وأن يحمد الله ، وأن يغسل يديه . . . إلخ .

[تعويده اليابس من الطعام]

قال رحمَهُ اللهُ تعالىٰ :

22 وَيَأْكُلُ ٱلْيَابِسْ مِنَ ٱلطَّعَامِ تَعَلُّمـاً بَحْتـاً بِـلاَ إِدَامِ

أي : لا يُعوِّدُ التَّنعُّمَ والأَسبابَ الَّتي تدعوهُ إِلى الرَّفاهيةِ ، فيجتهدَ في تحصيلِها ويُضيِّعَ وقتَهُ في ذلكَ ، وربَّما وقعَ بسببِ ذلكَ في الشُّبَهِ بلِ الحرامِ ؛ فيهلكَ هلاكَ الأَبدِ ، بل يُعوَّدُ (الْيَابِسَ مِنَ الطَّعَامِ) .

وقولُهُ : (تَعَلُّماً) أَي : ليألفَ ذلكَ (بَحْتاً) بموحَّدةٍ وحاءٍ مهملةٍ بوزنِ فَلْسٍ ؛ أَي : طعام خالص (بِلاَ إِدَامِ) .

قالَ الحجَّةُ رضيَ اللهُ عنهُ : (ويُعوَّدُ الخُبزَ القَفَارَ في بعضِ الأَوقاتِ[1] ؛ حتَّىٰ لا يصيرَ بحيثُ يرى الأُدْمَ حتماً . ويُقبَّحُ عندهُ كثرةُ الأَكلِ ؛ بأَنْ يُشبَّهَ مَنْ يكثرُ الأَكلَ بالبهائِمِ ، وبأَن يُذَمَّ بينَ يديهِ الصَّبيُّ الَّذي يُكثرُ الأَكلَ ، ويُمدحَ عندهُ الصَّبيُّ المُتأَدِّبُ القليلُ الأَكلِ . ويُحبَّبُ إِليهِ الإِيثارُ بالطَّعامِ ، والقناعةُ بالطَّعامِ الخشنِ ، أَيَّ طعامٍ كانَ)[2] .

* * *

(١) الخبز القَفَار : اليابس وحده .

(٢) انظر « إحياء علوم الدين » (٣/ ٧٢) .

[اخشوشنوا فإن النِّعَم لا تدوم]

قالَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ :

23 حِيناً فَحِيناً فِي ٱلْعَشَاءِ وَٱلْغَدَا كَيْلاَ يَـرَى ٱلإِدَامَ حَتْمـاً أَبَـدَا

أَي : وقتاً فوقتاً (في الْعَشَاءِ) بفتحِ العينِ ؛ هوَ : ما بينَ الزَّوالِ وانتصافِ اللَّيلِ ، و(الْغَدَاءِ) ـ بفتحِ المعجمةِ والمدِّ ـ : ما بينَ طلوعِ الفجرِ إلى الزَّوالِ .

والسَّحورُ : ما بينَ نصفِ اللَّيلِ إلىٰ طلوعِ الفجرِ .

(كَيْلاَ يَرَى الإِدامَ حَتْماً) أَي : متحتماً لازماً لا بدَّ منهُ ؛ فتتوقَ نفسُهُ إليه ، ويكثرَ تعلُّقُهُ بهِ ، ويتشوَّشَ إذا لَم يجدهُ ، فيَعنىٰ ويتعبُ ، وليسَ ذلكَ مِنَ السُّنَّةِ ولا مِنْ سماتِ الرِّجالِ ؛ (كانَ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يأْكلُ ما وجدَ)[1] .

* * *

(١) أخرجه البخاري (٣٥٦٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه .

[ما ينبغي للصبي لبسه]

قالَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ :

24 وَأَنْ يُجَنَّبَـهُ فُنُـونَ ٱلـزِّينَـهْ وَجُمْلَـةَ ٱلْمَـلاَبِـسِ ٱلـرَّزِينَـهْ

ومِنَ الآدابِ النَّافعةِ للصَّبيِّ في كِبَرِهِ : أَنْ يُجنِّبَهُ (فُنُونَ) أَي : أَنواعَ (الزِّينَةِ) وهيَ كما في « توقيفِ المناويِّ » : (تحسينُ الشَّيءِ بغيرِهِ ، مِنْ لبسةٍ أَو حليةٍ أو هيئَةٍ .

وقيلَ : الزِّينةُ بهجةُ العينِ الَّتي لا تخلصُ إِلىٰ باطنِ المزيَّنِ .

وأَمَّا الزِّينةُ الحقيقيَّةُ . . فهيَ : ما لا يشينُ الإِنسانَ في شيءٍ مِنْ أَحوالهِ ، لا في الدُّنيا ولا في الآخرةِ)[١] .

والمرادُ هنا : أَنْ يُجنِّبَهُ الزِّينةَ بالمعنى الأَوَّلِ .

و(الْمَلاَبِس) جمعُ ملبسٍ ، و(الرَّزِينَهْ) أَي : الغاليةِ كالحريرِ .

❊ ❊ ❊

---

(١) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف (ص ٣٩١) .

[استحباب لبس الثياب البيض]

قالَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ :

25 وَيَكْسُـهُ لَـوْنَ بَيَـاضِ ٱلْقُطْـنِ   حَتَّىٰ بِـهِ عَـنْ غَيْـرِهِ يَسْتَغْنِـي

أَي : أَنَّهُ يُحبَّبُ إليهِ لُبْسَ الثِّيابِ البيضِ ؛ لقولهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « الْبَسُوا الثِّيَابَ الْبِيضَ وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ ؛ فَإِنَّهَا أَحَبُّ الثِّيَابِ إِلَى اللهِ »(١) .

ولأَنَّها خفيفةُ المؤْنةِ فلا يحتاجُ لابسُها إلىٰ مؤَنِها ، ولا يفتتنُ بها بنحوِ المنافسةِ ، غيرَ أَنَّهُ ليحذرَ مِنَ الرِّياءِ الَّذي يدخلُ علىٰ أَهلِ الرُّسومِ .

* * *

(١) أخرجه أحمد (٥/١٣) ، والترمذي (٩٩٤) ، وابن ماجه (٣٥٦٧) عن سيدنا سمرة بن جندب رضي الله عنه .

[المنقوش والملوَّن لبسُ النساء]

قالَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ :

26 وَإِنْ طَلَبْ مَنْقُوشاً أَوْ مُلَوَّنَا	يَقُـولُ : ذَاكَ لِلنِّسَـاءِ لاَ لَنَـا
27 لِبَاسُ أَهْلِ ٱلْفِسْقِ وَٱلتَّخْنِيثِ	وَأَحْمَـقٍ وَفَـاجِـرٍ خَبِيـثِ

أَي : أَنَّهُ لا يُحبِّبُ إِليهِ لُبْسَ الملوَّنِ ، بل يُكرِّهُهُ إِليهِ ، ويُنفِّرُ طبعَهُ عنهُ بأَنَّ الملوَّنَ مِنَ الحريرِ وغيره ممَّا فيهِ الزِّينةُ والمنهيُّ عنهُ للرِّجالِ ؛ كالمزعفرِ والمعصفرِ ، ويقولُ لَهُ : إِنَّما ذلكَ لباسُ النِّسَاءِ و(أَهْلِ الْفِسْقِ) وهُم : كلُّ مَن يرتكبُ منهيّاً أَو يخلُّ بواجبٍ شرعيٍّ .

و(التَّخنيث) ـ أَي : مَنْ يعملُ عملَ المخنَّثِينَ ، وهُم : المتشبِّهونَ مِنَ الرِّجالِ بالنِّساءِ ـ . حرامٌ ؛ لخبرِ : « لَعَنَ اللهُ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ ، وَمِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ » أَخرجه الإِمامُ أَحمدُ عنِ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما[١] .

و(الأَحْمَقُ) هوَ الَّذي في عقلهِ فسادٌ ، و(الْخَبِيثُ) سبقَ معناهُ[٢] .

* * *

(١) مسند الإمام أحمد (١/٣٣٩) .

(٢) تقدم شرحه (ص٨٠) .

[تعويده الخشِن من الملابس والفُرش]

قالَ رحمَهُ اللهُ :

28 وَلاَ يُنَعَّــمْ جِسْمُــهُ بِمَلْبَــسِ طُولَ ٱلْمَدَىٰ وَلاَ فِرَاشٍ أَمْلَسِ
29 بَلْ كُلُّ مَا كَانَتْ بِهِ خُشُونَةْ فَــإِنَّــهُ أَخَــفُّ لِلْمَــؤُونَــةْ
30 يُصَلِّــبُ ٱلأَعْضَـا وَلاَ يُبَـالِـي بِٱلْمَشْـيِ أَوْ بِسَـائِرِ ٱلأَعْمَـالِ[١]

أَي : أَنَّهُ لا يُعوَّدُ التَّنعُّمَ في الملبسِ والرَّفاهية بالفُرشِ الوطيئة ، بل يُعوَّدُ الصَّبيُّ لُبْسَ وفَرْشَ ما فيهِ خشونةٌ ؛ لخبرِ : « إِيَّاكُم والتَّنَعُّمَ ؛ فإِنَّ عِبَادَ اللهِ لَيْسُوا بِالْمُتَنَعِّمِينَ » أَخرجَهُ الإمامُ أَحمدُ والبيهقيُّ في « الشُّعبِ » عن معاذٍ[٢] .

وذلكَ لِكونِ العاقلِ في الدُّنيا : الَّذي يكونُ إقبالُهُ وتفكُّرُهُ في العاقبةِ وما يُقرِّبهُ إلى اللهِ وإلى الدَّارِ الآخرةِ ، ولا يرضىٰ بدارِ الغرورِ الدَّنيَّةِ الفانيةِ داراً ، ولا يخدمُ فيها هـٰذا الجسمَ الفاني ، ولا يشتغلُ فيها ، ولا يطلبُ منها إلاَّ ما كانَ للضَّرورةِ والحاجةِ .

وحيثُ اعتادَ التَّنعُّمَ فيها . . طالَ عناؤهُ وتعبهُ ، وضاعَ عمرهُ في صرفِ

---

(١) في (ب) : (بسائر الأفعال) .

(٢) مسند الإمام أحمد (٥/٢٤٣) ، وشعب الإيمان (٥٧٦٦) .

أَوقاتِهِ ـ الَّتي كلُّ ذرَّةٍ منها تساوي أَلفَ دُرَّةٍ ـ وربَّما لا يحصلُ لَهُ مقصودُهُ ولا يُقضىٰ وطرُهُ .

وقدِ ابتليَ النَّاسُ في هـٰذا الزَّمانِ ـ لِخفَّةِ عقولِهِم ، وقلَّةِ ديانتِهِم ، وضعفِ إيمانِهِم وكثرةِ جهلِهِم ـ بالميلِ إِلى الدُّنيا وزهرتِها وعمارتِها ، وأُولعوا بطلبِها والحرصِ عليها ، وكأَنَّهُ لَم يكنْ أَحدٌ منهم يعتقدُ أَنْ لا دِينَ ولا مروءَةَ ولا شرفَ ولا مطلبَ عزيز ولا غايةَ ينتهي إِليها إلاَّ الدُّنيا وما والاها ، فتَلْقىٰ طلاَّبَها وأَعوانَها أَخصَّ مصافاة في معاملتِهِم ومجاملتِهِم وأَكثرَ نصحاً بينَهُم ، ويخفُّ عليهِم ما يتحمَّلونَ مِنَ المشاقِّ والقيامِ بالحقوقِ لبعضِهِم بعضاً .

وكلُّ ما وردَ مِنْ ذلكَ في أَهلِ الدِّينِ ، وما يحكىٰ عنهم في المحبَّةِ والصُّحبةِ للهِ تعالىٰ ، والمظاهرةِ والمؤَازرةِ فيهِ . . تخلَّقَ به المتظاهرونَ في حُبِّ الدُّنيا ، وتربَّىٰ علىٰ ذلكَ وتأَدَّبَ بهِ ذراريهم ، وصاروا يتعشَّقونَ ذلكَ ، ولا يبالونَ بما فاتَهُم مِنْ أُمورِ الدِّينِ وأَحوالِ ومقاماتِ أَهلِ اليقينِ ، وصارَ كلُّ ذلكَ غريباً عندهُم ، وأَهلُهُ غرباءَ ، ومَنْ خالطَهُم . . كان مِثْلَهُمْ .

فينبغي لذوي الدِّينِ أَنْ يحفظوا أَولادَهُم عن مخالطةِ مثلِ هـٰؤُلاءِ ؛ لئَلاَّ تميلَ طباعُهُم إِلىٰ ما هُم عليهِ مِنْ عشقِ الدُّنيا ؛ الَّذي بسببهِ قالَ الشَّيخُ عبدُ اللهِ بنُ علويٍّ الحدَّادُ نفعَ اللهُ بهِ فيهم : (إِنهم طلَبوا كلَّ شيءٍ ، وادَّعوا كلَّ شيءٍ ، وفاتَهُم كلُّ شيءٍ) .

وقالَ الحجَّةُ الغزاليُّ قدَّسَ اللهُ روحَهُ : (إذا أُهملَ الصَّبيُّ في أَوَّلِ

النُّشوءِ . . خرجَ في الأَكثرِ رديءَ الأَخلاقِ ، كذَّاباً ، حسوداً ، سروقاً ، نمَّاماً ، لجوجاً ، ذا فضولٍ وضحكٍ ، وكيادٍ ومَجَانةٍ ، وإنَّما يُحفظُ عن ذلكَ بحسنِ الأَدبِ) انتهىٰ كلامه[1] .

ولا يُعينُ علىٰ حسنِ الأَدبِ ، وخشوعِ القلبِ ، وخضوعِ النَّفسِ مثلُ الخشونةِ في المأْكلِ ونحوِ الملبسِ ، وفي الخبرِ : « الْبَسِ الْخَشِنَ الضَّيِّقَ ؛ حَتَّىٰ لاَ يَجِدَ الْعِزُّ وَالْفَخْرُ فِيكَ مَسَاغاً » أَخرجه ابن منده عن أُنيس بن الضحاك[2] .

وكذلكَ يكونُ الاقتصادُ في ذلكَ أَخفَّ للمؤنةِ ، فلا يتكلَّفُ في ذلكَ ويتحمَّلُ ما لا يطيقُ ، ويدخلُ مداخلَ السُّوءِ .

وأَيضاً : تتصلَّبُ الأَعضاءُ بذلكَ ، فلا يُبالي بالمشيِ والسَّعي في مصالحِ نَفْسهِ ، وسلوكِ سبيلِ المتاعبِ في الخيرِ والجهادِ للنَّفْسِ وتصفيتِها ، وفي سائرِ الأَعمالِ الأُخرويَّةِ والدِّينيَّةِ والدُّنيويَّةِ المعينةِ عليها .

❊ ❊ ❊

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٧٢) .

(٢) ذكره الديلمي في « الفردوس » (٣٣٤٣) ، والحافظ ابن حجر في « الإصابة » (١/ ٨٨) وعزاه لابن منده وذكر السند .

[منعه النوم في النهار]

قالَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ :

31 وَيُمْنَـعُ ٱلنَّـوْمَ ٱلنَّهَـارَ قَطْعَـا   خَوْفَ ٱلْكَسَلْ أَوْ يَتَّخِذْهُ طَبْعَا

أَي : ويُمنعُ نومَ النَّهارِ ؛ لئَلاَّ يعتادَ الكسلَ ، وفي النَّومِ والكسلِ تضييعُ العمرِ معَ اقترانِ الفقرِ ، والبطالةُ مِنْ أَخسِّ صفاتِ الإِنسانِ .

قالَ في « التَّوقيفِ » للمناويِّ رحمَهُ اللهُ : (والنَّومُ : حالةٌ طبيعيَّةٌ تتعطَّلُ معها القوىٰ ، تسيرُ في البخارِ إِلى الدِّماغِ .

وفي « المصباحِ » : غَشيةٌ ثقيلةٌ تهجُمُ على القلبِ فتقطعُهُ عن المعرفةِ بالأَشياءِ ؛ ولذلكَ قيلَ : إِنَّهُ آفةٌ ؛ لأَنَّ النَّومَ أَخو الموتِ) اهـ[١]

أَي : وفيهِ تعطيلُ الحياةِ .

* * *

---

(١) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف (ص٧١٣) .

[سن التمييز وما يتعلق به من الآداب]

قالَ رحمَهُ اللهُ :

32 وَإِنْ بَـدَتْ أَمَـارَةُ ٱلتَّمْيِيـزِ	وَكُـلٌّ فَهْـمٍ فَـاضِـلٍ عَـزِيـزِ
33 وَصَـارَ يَسْتَحْيِي مِـنَ ٱلأُمُـورِ	فَـذَاكَ مِـنْ أَوَّلِ بَـدْءِ ٱلنُّـورِ
34 هَـدِيَّـةٌ مِـنْ رَبِّـهِ أَهْـدَاهَـا	عَرَفْ بِهَا ٱلأَشْيَا بِمُقْتَضَاهَا
35 فَذَاكَ أَوَّلُ وَقْتِ فَهْمِ ٱلطِّفْلِ	أَشْـرَقَ بِهَـا عَلَيْـهِ نُـورُ ٱلْعَقْـلِ

(وَإِنْ بَـدَتْ) أَي : ظهـرتْ عـلامـةُ (التَّمييـزِ) : الفصـلُ بيـنَ المتشابهاتِ . وعندَ الفقهاءِ : سنُّ التَّمييزِ إذا انتهىٰ إِليهِ . . عرفَ مضارَّهُ مِنْ منافعهِ .

وقالَ بعضهُم : التَّمييز قوَّةٌ في الدِّماغِ يستنبطُ بها المعاني .

وقيلَ : هوَ تصوُّرُ المعنىٰ مِنْ كلامِ المخاطِبِ .

(وَ) إذا (صَارَ يَسْتَحْيِي مِنَ الأُمُورِ) أَي : يحتشم ويتركُ بعضَ الأَفعالِ ؛ أَي : غيرَ المستحسنةِ ، أَو بعضَها . . (فَذَاكَ) لإِشراقِ نورِ العقلِ عليهِ .

وفي نسخةٍ أُخرىٰ :

وَصَـارَ يَسْتَحْيِـي مِـنَ الأُمُـورِ   أَوْ بَعْضِهَـا فَهْـوَ دَلِيـلُ ٱلْخَيْـرِ

قالَ في « التَّوقيفِ » : (**الحياءُ** : انقباضُ النَّفْسِ عَنِ عادةِ انبساطِهَا في ظاهرِ البدَن ؛ لمواجهةِ ما تراهُ نقصاً ، حيثُ يتعذَّر عليها الفرارُ بالبدَنِ . وقيل : انقباضُ النفْس حذراً مِنَ الملامِ ، وهوَ نوعانِ :

نفسانيٌّ : وهوَ المخلوقُ في النُّفوسِ كلِّها ؛ كالحياءِ عن كشفِ العورةِ والجماعِ بينَ النَّاسِ .

وإيمانيٌّ : وهوَ أَنْ يمتنعَ المسلمُ مِنْ فعلِ المحرَّمِ خوفاً مِنَ اللهِ) اهـ[1]

وقد وردَ الشَّرعُ والعقلُ بفضيلةِ العقلِ والتَّرغيبِ فيهِ .

وأَمَّا (**الفهمُ**) . . قيلَ في تعريفهِ : إِنَّه مرادفٌ للتَّمييزِ ؛ بأَنَّهُ : تصوُّرُ المعنىٰ مِنْ فَهْمِ المخاطِبِ .

و(**العقلُ**) : هوَ إدراكُ المعقولاتِ ، ولَهُ اعتباراتٌ بحسبِ الاستعداداتِ .

قالَ الشَّيخُ مُحَمَّدُ بنُ عمرَ بَحْرقُ[2] رحمهُ اللهُ في شرحِ « الحديقةِ الأَنيقةِ » نقلاً عنِ الحجَّةِ الغزاليِّ رضيَ اللهُ عنهُ :

(**اعلَمْ** : أَنَّ الإنسانَ يُخلَقُ خليّاً عن جميعِ الإدراكاتِ ، لا شعورَ لَهُ

---

(١) التوقيف (ص٣٠٢) .

(٢) العلامة الشهير : محمد بن عمر بن مبارك بحرق الحِمْيري الحضرمي ، مولده بالشحر سنة (٨٦٩هـ) ، ووفاته بحيدر أباد الهند سنة (٩٣٠هـ) ، عَلاَّمة ذائع الصيت ، كثير المصنفات ، طبع كثير منها . انظر « النور السافر » للعيدروس (ص١٤٣) ، و« معجم المؤلفين » (٣/ ٥٦٤) . وكتابه المشار إليه هو : « الحديقة الأنيقة شرح العروة الوثيقة » و« العروة » منظومة له ، طبع عدة مرات .

بشيءٍ ، فأَوَّلُ ما يحصلُ لَهُ الشُّعورُ بواسطةِ الحواسِّ الخمسِ ، فيدركُ بكلٍّ واحدةٍ شيئاً لا يدركُهُ بالأُخرىٰ ، ثمَّ إِذا بلغَ [نحوَ] سبعِ سنينَ . . خُلِقَ فيهِ التَّمييزُ ، وهوَ طورٌ آخَرُ يدركُ فيهِ أُموراً زائدةً على المحسوساتِ ، ثمَّ يرتقي معَ البلوغِ إِلىٰ طورِ العقلِ ، فيدركُ بهِ الجائزَ والمُحالَ .

وكما أَنَّ طورَ الحواسِّ قاصرٌ عن طورِ التَّمييزِ . . فكذلكَ طورُ التَّمييزِ قاصرٌ عن طورِ العقلِ ، ويلزمُ مِنْ ذلكَ أَنَّ وراءَ العقلِ أَطواراً أُخَرَ ، يُدرَكُ [فيها] ما لا يُدرَكُ في طورِ العقلِ مِنَ الاطِّلاعِ على الغيبِ وأُمورٍ أُخرَ العقلُ معزولٌ عنها .

ولٰكنَّ العقلَ لا يحيلُ أَنْ يرتقي الإِنسانُ [الكاملُ] إِلىٰ طورٍ فوقَ العقلِ ، يَفتحُ اللهُ لهُ فيهِ عيناً يُدركُ بهَا ما لا يُدركهُ العقلُ ، كما يرقى الصَّبيُّ المميِّزُ إِلىٰ طَورِ العقلِ ، والطِّفلُ إِلىٰ طورِ التَّمييزِ ، واللهُ سبحانَهُ قادرٌ أَنْ يخلقَ في قلوبِ عبادهِ المعرفةَ بهِ تعالى ابتداءً بدونِ واسطةٍ وبواسطةٍ) اهـ[1]

ذكرَ ذلكَ الغزاليُّ رحمهُ اللهُ في (البرهانِ علىٰ أَنَّ إِثباتَ النُّبوَّةِ بعدَ إِثباتِ التَّوحيدِ مِنْ أَعظمِ أَركانِ الإِيمانِ) . قالَ : (وعلى الحقيقةِ ، فلا يُدرِكُ بالذَّوقِ شيئاً مِنْ معنى النُّبوَّةِ مَنْ لَم يُرزقْ شيئاً مِنْ معنى السُّلوكِ والرِّياضةِ ؛ لأَنَّ نهاياتِ الأَولياءِ على التَّحقيقِ بداياتُ الأَنبياءِ) اهـ[2]

(١) الحديقة الأنيقة (ص ١٦٦ ـ ١٦٧) .

(٢) الحديقة الأنيقة (ص١٦٦) .

وقالَ في (رياضةِ النَّفسِ) علىٰ معنىً ما في الأَبياتِ المشروحةِ : (ومهما بدا فيهِ مخايل التَّمييز . . فينبغي أَنْ يُحسِنَ مراقبتَهُ ، وأَوَّل ذلكَ : أَوائلُ ظهورِ الحياءِ ، فإذا كانَ يحتشمُ ويستحيي ويتركُ بعضَ الأَفعالِ . . فليسَ ذلكَ إلاَّ لإشراقِ نورِ العقلِ عليهِ حتَّىٰ يرىٰ بعضَ الأَشياءِ قبيحاً مخالفاً للبعضِ ، فصارَ يستحيي مِنْ شيءٍ دونَ شيءٍ ، وهـٰذهِ هديَّةٌ مِنَ اللهِ تعالىٰ إليهِ ، وبشارةٌ تدلُّ على اعتدالِ الأَخلاقِ وصفاءِ القلبِ ، وهوَ مبشِّرٌ بكمالِ العقلِ عند البلوغِ ، فالصَّبيُّ المستحيي لا ينبغي أَنْ يُهملَ ، بل يُستعانُ علىٰ تأْديبهِ بحيائِهِ وتمييزهِ . وأَوَّلُ ما يغلبُ عليهِ مِنَ الصِّفاتِ : شَرَهُ الطَّعامِ) اهـ ، ثم ساق ما مرَّ مِنَ الآدابِ[1] .

* * *

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٧٢) .

[تعليم الصبي القرآن وتعويده الشجاعة والجَلَد]

قالَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ :

36 فَيُلْزِمُوهُ ٱلدَّرْسَ لِلْقُرْآنِ	فَإِنَّهُ عِلْمٌ عَظِيمُ ٱلشَّانِ
37 أَيْضاً وَشُغْلٌ شَاغِلٌ قَلْبَ ٱلصَّبِي	عَنْ كُلِّ مَا يُوجِبُ نَقْصَ ٱلأَدَبِ
38 وَإِنْ ضَرَبْ مُعَلِّمُ ٱلصِّبْيَانِ	أَوْ وَالِدٌ بَعْضاً مِنَ ٱلْوِلْدَانِ
39 فَلاَ يَكُنْ مِثْلَ ٱلنِّسَاءِ يَبْكِي	وَيَشْتَفِعْ بِغَيْرِهِ وَيَشْكِي
40 فَعَادَةُ ٱلشُّجْعَانِ أَلاَّ يَذْكُرُوا	كُلَّ ٱلَّذِي جَرَىٰ لَهُمْ بَلْ يَصْبِرُوا

أي : أَنَّهُ إذا حصلَ التَّمييزُ وبلغَ سِنَّهُ . . أَوَّلُ ما ينبغي أَنْ يُلزِمَهُ الوليُّ : أَنْ يشتغلَ بتعلُّمِ القرآنِ ودرسهِ[١] .

(١) حث الشرع علىٰ تعليم القرآن وتعلمه وخاصة للأولاد ؛ ليكونوا شفعاء يوم القيامة لأهليهم ، ولقد بحث السيد عبد الحفيظ نور سويد حفظه الله تعالىٰ في كتابه القيم « منهج التربية النبوية للطفل » في هـٰذا الموضوع ، قال في (ص٢٤١) : (قال إبراهيم بن سعيد الجوهري : رأيت صبياً قد حُمل إلى المأمون ، قد قرأ القرآن ، ونظر في الرأي ، غير أنه إذا جاع . . يبكي . وقال أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمـٰن الأصبهاني : حفظت القرآن ولي خمس سنين ، وحُملت إلىٰ أبي بكر المقرىء لأسمع ولي أربع سنين ، فقال بعض الحاضرين : لا تسمعوا له فيما يقرأ فإنه صغير ، فقال ابن المقرىء : اقرأ « سورة التكوير » فقرأتها ، فقال لي غيره : اقرأ « سورة المرسلات » فقرأتها ولم أغلط فيها ، فقال ابن المقرىء : اسمعوا له والعهدة عليَّ . . .) .

قالَ الحجَّةُ الغزاليُّ رضيَ اللهُ عنهُ : (ينبغي أَنْ يشتغلَ في المكتبِ بتعليمِ القرآنِ ، وبأَحاديثِ الأَخيارِ ، وحكاياتِ الأَبرارِ وأَحوالِهم ؛ لينغرسَ حبُّ الصَّالحينَ في قَلْبِهِ ، ويُحْفَظَ منِ الأَشعارِ الَّتي فيها ذِكرُ العشقِ وأَهلهِ .

وإِذا ضربَهُ المعلِّمُ . . أَلاَّ يكثرَ الصِّياحَ ، ولا يستشفعَ بأَحدٍ بلْ يَصبرُ ، ويذكرُ لَهُ أَنَّ ذلكَ دأبُ الشُّجعانِ والرِّجالِ ، وأَنَّ كثرةَ الصِّياحِ دأْبُ المماليكِ والنّسوانِ) اهـ[1]

وفضائِلُ تعلُّمِ القرآنِ مِنَ الكتابِ والسُّنَّةِ لا يضبطُها عدٌّ ، ولا يحصرُها حدٌّ ، وكذا دوامُ درسهِ وملازمتُهُ ليلاً ونهاراً ، وهو أَفضلُ الأَذكارِ .

وقد جمعَ الإمامُ النَّوويُّ ـ قدَّسَ اللهُ روحَهُ وجزاهُ خيراً ـ مِنْ فضائِلهِ وآدابهِ جملةً في كتابِ « التِّبيانِ في آدابِ حملَةِ القرآنِ » ما لا يوجدُ مِثلُهُ في فنِّهِ ، وكذا في « الأَذكارِ » وغيرِهِ[2] .

❊ ❊ ❊

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٧٣) .

(٢) لقد تشرفت دار المنهاج بخدمة هـٰذين الكتابين الجليلين خدمةً تليق بهما ؛ من اعتمادٍ علىٰ نسخٍ خطيةٍ قريبةٍ من عهد المؤلف ، وتشكيل كامل ، وتخريج ، وفهرسة وغير ذلك مما ستراه عند اقتنائك لهـٰذين السِّفْرين المباركين ، جعل الله ذلك في ميزان حسنات القائمين عليها .

[اللعب فيه ترويح عن قلوب الأطفال]

قالَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ :

41 وَرَاحَةُ ٱلصِّبْيَانِ بَعْدَ ٱلْمَكْتَبِ	أَنْ يَأْذَنَ ٱلْوَلِي لَهُمْ بِٱللَّعِبِ
42 فَـإِنَّـهُ عِنْـدَ ٱلصِّبَـا مَحْبُـوبُ	وَقَلْبُـهُ أَيْضـاً بِـهِ يَطِيـبُ
43 وَكَثْرَةُ ٱلتَّعْلِيمِ مَوْتُ ٱلْقَلْبِ	وَيُذْهِبُ ٱلذَّكَا وَبَعْضَ ٱللُّبِّ
44 فَيَطْلُبُـونَ لِلْخَـلاَصِ حِيلَـةْ	تُنْجِي مِنَ ٱلتَّعْلِيمِ أَوْ وَسِيلَةْ
45 فَٱلرِّفْقُ فِي كُلِّ ٱلأُمُورِ أَحْسَنُ	قَالُوا بِذَا وَصَرَّحُوا أَوْ بَيَّنُوا

قالَ الحجَّةُ رضيَ اللهُ عنهُ : (ينبغي أَنْ يُؤْذَنَ لَهُ ـ أَي : الصَّبيِّ ـ بعدَ الفراغِ مِنَ المكتبِ أَنْ يلعبَ لعباً جميلاً يستريحُ إِليهِ مِنْ تعبِ المكتب(١) ؛ بحيثُ لا يتعبُ في اللَّعبِ ؛ فإِنَّ منعَ الصَّبيِّ مِنَ اللَّعبِ وإِرهاقهُ إِلى التَّعليمِ دائِماً يميتُ قلبه ويُبطلُ ذكاءَهُ ، ويُنغِّصُ العيشَ عليهِ حتَّىٰ يطلبَ الحيلةَ في الخلاصِ منهُ رأْساً) اهـ(٢)

---

(١) في (أ) : (من تعب الأدب) ، وفي (ب) : (من بعد الأدب) والمثبت من « الإحياء » .

(٢) إحياء علوم الدين (٣/ ٧٣) .

وفي الخبرِ عنهُ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « رَوِّحُوا النُّفُوسَ »[١] فإنَّها إذَا أُكْرِهَتِ . . استعصَتْ .

وقالَ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ »[٢] .

وفي الحديثِ : « إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقّاً ، وَلأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقّاً ، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ »[٣] .

فكَدُّ النَّفسِ يُكلُّ الذَّكاءَ ، ويُحدثُ السَّذاجةَ والبلَهَ ، وفي الحديثِ : « الْمُنْبَتُّ لاَ ظَهْراً أَبْقَىٰ ، وَلاَ أَرْضاً قَطَعَ »[٤] .

نعم ؛ مع العنايةِ الرَّبَّانيَّةِ والجذبةِ الإلـٰهيَّةِ ، بحيثُ يكونُ الصَّغيرُ والكبيرُ فيها محمولاً ، فحينئذٍ تسقطُ القيودُ ، كما قيلَ :

إِذَا كَانَ عَوْنُ اللهِ لِلْمَرْءِ لَمْ يَجِدْ ... عَسِيراً مِنَ ٱلآمَالِ إِلاَّ مُيَسَّرَا[٥]

إلا أن الرِّفقَ مأمورٌ بهِ علىٰ كلِّ حالٍ ، وقد وردت أَخبارٌ كثيرةٌ :

---

(١) أخرج القضاعي في « مسند الشهاب » (١/ ٣٩٣) والديلمي في « الفردوس » (٣١٨١) نحوه عن سيدنا أنس رضي الله عنه ، بلفظ : « روحوا القلوب ساعة بساعة » .

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٦٥) ، ومسلم (٧٨٢/ ٢١٦) .

(٣) أخرجه البخاري (١٩٦٨) ، وابن حبان (٣٢٠) عن سيدنا أبي جحيفة رضي الله عنه .

(٤) أخرجه البيهقي (٣/ ١٩) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، والقضاعي في « مسند الشهاب » (١١٤٧) عن سيدنا جابر رضي الله عنه .

(٥) وهـٰذا الشاهد هنا ملفقٌ من بيتين هما :

١ـ إذا كانَ عونُ اللهِ للمرءِ مسعِفاً ... تأتَّىٰ له من كل صعب مراده

٢ـ إذا صحَّ عونُ الخالقِ المرءَ لم يجد ... عسيراً من الآمال إلاَّ ميسرا

منها : « مَا كَانَ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ ، وَلاَ كَانَ الْعُنْفُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ »[1] .

وعليهِ ـ بعد ورودهِ شرعاً ـ أَجمعَ العقلاءُ على استحسانهِ[2] ، وقالوا بهِ ، وحرَّضوا عليهِ ، وبيَّنوهُ نصحاً للأُمَّةِ جزاهُمُ اللهُ أَفضلَ الجزاءِ ؛ لمٰا فيهِ مِنْ جماعِ الخيرِ .

وقد عُرِّفَ بأَنَّهُ : حُسنُ الانقيادِ لما يؤَدِّي إِلى الجميلِ .

* * *

(١) أخرجه ابن حبان (٥٥١) ، والقضاعي في « مسند الشهاب » (٧٩٣) ، وأحمد (٣/ ٢٤١) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٢) في (ب) : (على استحبابه) .

[ما يجب تعليمه للصبي المميز]

قالَ رحمهُ اللهُ تعالىٰ :

وَبَعْدَ مَا يُشْرِقُ نُورُ ٱلْعَقْلِ عَلَى ٱلصَّبِي يُؤْمَرُ أَنْ يُصَلِّي 46

المرادُ بإشراقِ نورِ العقلِ : ما مرَّ مِنْ ظهورِ التَّمييزِ ، واعتبرهُ الشَّارعُ بسبعِ سنينَ وإِنْ ميَّزَ قَبْلَها .

قالَ الحجَّةُ الغزاليُّ قدَّسَ اللهُ روحَهُ : (ومهما بلغَ سنَّ التَّمييزِ . . ينبغي أَلاَّ يُسامَحَ في تركِ الطَّهارةِ والصَّلاةِ ، ويُؤْمَرَ بالصَّومِ في بعضِ الأَيَّامِ مِنْ شهرِ رمضانَ ، ويُجنَّبَ لُبْسَ الحريرِ والذَّهبِ ، ويُعلَّمَ كلَّ ما يحتاجُ إِليهِ مِنْ حدودِ الشَّرعِ ، ويُخَوَّفَ مِنَ السَّرقةِ وأَكلِ الحرامِ ، ومِنَ الكذبِ والخيانةِ والفحشِ ، وكلِّ ما يغلبُ على الصِّبيانِ) اهـ[(١)]

وأَوَّلُ ما يُلقَّنُهُ بعدَ الشَّهادتينِ ومعرفةِ معناهُما : أَنَّ النَّبيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وُلِدَ بمكةَ وبُعثَ بها ، وهاجرَ إِلى المدينةِ وماتَ بها ، وقبرهُ بها مِنَ المعلوماتِ قطعاً .

وأَنَّ اسمَهُ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : مُحَمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمٍ .

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٧٣ـ ٧٤) .

وأَنَّهُ مِنْ (قريشٍ) صفوةِ العربِ وأفضلِها .

واسمُ أَبيهِ : (عبدُ اللهِ) .

وأُمِّهِ : (آمنةُ بنتُ وهبِ بنِ عبدِ منافِ بنِ زُهرةَ) قرشيَّةٌ .

ولونُهُ : أَبيضُ .

وأَنَّهُ مرسَلٌ إِلى الخلْقِ كافَّةً .

وأَنَّهُ بلَّغَ الرِّسالةَ وأَدَّى الأَمانةَ ونصحَ الأُمَّةَ ، فلمَّا أَكملَ اللهُ بهِ الإِسلامَ والدِّينَ ، وأَتمَّ بهِ نعمتَهُ علىٰ سائرِ المسلمينَ . . قبضَهُ اللهُ إِليهِ ، واختارَ لَهُ ما عندَهُ مِنْ محبَّةِ لقائِهِ وجوارِهِ معَ الرَّفيقِ الأَعلىٰ مِنَ المقرَّبينَ ، وتركَ النَّاسَ بعدَهُ علىٰ محجَّةٍ بيضاءَ نقيَّةٍ ، ليلُها مِثلُ نهارِها ، ظاهرةٍ بأَهلِ بيتِهِ المطهَّرينَ الكرامِ ، وأَصحابِهِ النُّجومِ الأَعلامِ ، وورثتِهِ مِنَ العلماءِ العاملينَ الرَّاسخينَ في العِلْمِ واليقينِ ، جزاهُ اللهُ عنَّا وجزاهُم أَفضلَ الجزاءِ .

ويجبُ علىٰ مَنْ مرَّ[1] : تعلُّمُ ما يجبُ للهِ وما يستحيلُ عليهِ ، وكذا في النَّبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وسائرِ الأَنبياءِ عليهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وغيرَ ذلكَ مِنَ العقائِدِ واللَّوازمِ الشَّرعيَّةِ .

وأُجرةُ مَنْ يُعلِّمهُ ذلكَ ـ إِذا طلبَها ـ في مالِهِ ، ثمَّ علىٰ مَنْ تلزمُهُ نفقتُهُ مِنَ الأَولياءِ وغيرِهم .

❊ ❊ ❊

---

(١) أي : من الآباء والأولياء .

[غرس محاسن الأخلاق في قلب الصبي بمجالسة الصالحين]

قالَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ :

47 وَلْيَلْتَزِمْ فِعْلَ ٱلْكِرَامِ ٱلأَوْلِيَا ... أَلْمُتَّقِينَ ٱلصَّالِحِينَ ٱلأَصْفِيَا
48 وَيَعْتَمِدْ جُلُوسَهُ بَيْنَهُمُ ... حَتَّىٰ يُوَافِقْ طَبْعُهُ طَبْعَهُمُ
49 وَلْيَنْغَرِسْ بِقَلْبِهِ مَا يَسْتَمِعْ ... وَيَنْطَبِعْ فِي قَلْبِهِ مَا يَنْطَبِعْ

أَي : يُلزِمُ نَفْسَهُ[١] ؛ أَي : يُكلِّفُها (فِعْلَ الْكِرَامِ) جمعُ كريمٍ ؛ وهوَ : مَنْ يفيدُ ما ينبغي لا لغرضٍ .

و(الأَوْلِيَاءُ) جمعُ وليٍّ ؛ وهوَ : مَنْ توالتْ طاعتُهُ مِنْ غيرِ تخلُّلِ عصيانٍ ، وتوالىٰ عليهِ إِحسانُ اللهِ تعالىٰ وإِفضالُهُ .

ولَهُ تعريفاتٌ وإِطلاقاتٌ في أَحوالِهِ ومقاماتهِ وأَخلاقِهِ مذكورةٌ مشهورةٌ في كتب العقائدِ والرَّقائِقِ للقومِ الصُّوفيَّةِ ـ وغيرهم ـ الَّذينَ مِنْ أَجمع ما وُصِفوا بهِ أَنَّهُم : المتخلُّونَ عن كلِّ خُلُقٍ دنيٍّ ، والمتحلُّونَ بكلِّ خُلُقٍ سَنِيٍّ .

---

(١) في النسختين : (يلتزم) .

و(**الْمُتَّقِينَ**) صفةٌ للأَولياءِ ، مِنَ التَّقوى الَّتي هيَ : اجتنابُ النَّهي وامتثالُ الأَمرِ .

و(**الصَّالِحِينَ**) صفةٌ ثانيةٌ مِنْ صفاتِهم ، وعُرِّفوا بأَنَّهُم : القائِمونَ بحقوقِ اللهِ تعالىٰ وحقوقِ العبادِ .

و(**الأَصْفِيَاءُ**) جمعُ صَفِيٍّ ، سمُّوا بذلكَ لصفاءِ أَعمالِهم عن شوبِ العِللِ ، وشوبِ النَّقصِ والخلَلِ ، ولصفاءِ قلوبِهم عن كدرِ المخالفاتِ ، وتنوُّرِها وصِقالِها بالتزامِ الموافقاتِ ، فصفتْ نفوسُهُم عنِ الأَدناسِ ، وتطهَّرتْ عنِ الأَرجاسِ .

فإِذا جالسَ هـٰؤُلاءِ السَّادةَ الأَكياسَ . . وافقَ طبعُهُ طباعَهُم ، وانغرسَ في قلبهِ ما يسمعُهُ منهم مِنْ أَقوالِهم ، وانطبعَ في سرِّهِ وظاهرِهِ ما يراهُ مِنْ أَحوالِهم ؛ فإِنَّهُ مَنْ جالسَ . . جانَسَ .

وقد وردتِ السُّنَّةُ ـ كالكتابِ العزيزِ ـ بمجالسةِ الأَخيارِ والاقتداءِ بهِم والمحبَّةِ ، وأَمرَ الحقُّ سبحانَهُ نبيَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أَنْ يقتديَ بآبائِهِ وإِخوانهِ مِنَ الأَنبياءِ والمرسَلينَ ، فقالَ تعالىٰ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ .

وقالَ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « الْمَرْءُ عَلَىٰ دِينِ خَلِيلِهِ ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ »(١) .

وخبرُ : « الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ »(٢) .

---

(١) أخرجه أبو داوود (٤٨٣٣) ، والترمذي (٢٣٧٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري (٦١٦٨) ، ومسلم (٢٦٤٠) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

وخبرُ : « هُمُ الْقَوْمُ لاَ يَشْقَىٰ بِهِمْ جَلِيسُهُمْ »[1] .

وكيفَ لا يسعدُ بهم جليسهُم ، وهُم وُرَّاثُ عِلْمِ النَّبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؟! والمستقيمونَ علىٰ سُنَّتهِ ، والمتَّبعونَ لطريقتهِ ، والمتخلِّقونَ بأَخلاقهِ : الَّتي منها : التَّواضعُ ، الَّذي لا أَجملَ مِنْ لُبْسهِ ؛ كما وصفَهُ بهِ مَنْ أَنعمَ بهِ عليهِ بقولهِ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

ومِنها : المداراةُ واحتمالُ أَذى الخلْقِ ، والإِيثارُ بالنَّفْسِ والمالِ ، والمواساةُ والتَّجاوزُ والعفو ،والبشْرُ وطلاقةُ الوجهِ ، والسُّهولةُ ولِينُ الجانبِ ، وتركُ التَّكلُّفِ ، وكثرةُ الإِنفاقِ ، وتركُ الادِّخار ، والقناعةُ باليسيرِ مِنَ الدُّنيا ، وتركُ المراءِ والجدالِ والغضبِ إلاَّ بحقٍّ ، واعتمادُ الحِلْمِ ، والتَّودُّدُ والتَّآلفُ ، والموافقةُ للإِخوانِ وتركُ المخالفةِ ، وشكرُ المحسنِ على الإِحسانِ والدُّعاءُ لَهُ ، وبذلُ الجاهِ للإِخوانِ وللمسلمينَ كافَّةً .

ومِنْ مقاماتِهم : التَّوبةُ ، والزُّهدُ ، والورعُ ، والصَّبرُ ، والشُّكرُ ، والفقرُ ، والخوفُ ، والرَّجاءُ ، والتَّوكُّلُ .

ومِنْ أَحوالِهم : المحبَّةُ ، والشَّوقُ ، والأُنسُ ، والرِّضا ، والقربُ ، والحياءُ ، والاتِّصالُ[2] ، والقبضُ ، والبسطُ ، والفناءُ ، والبقاءُ. . . إِلىٰ غيرِ ذلكَ ممَّا هوَ مذكورٌ في كتبِهم .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٨٩) من حديث طويل عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) في (ب) : (والإيصال) .

وللهِ درُّ الشَّيخِ شعيبٍ حيثُ يقولُ[1] : [من البسيط]

مَا لَذَّةُ الْعَيْشِ إِلاَّ صُحْبَةُ ٱلْفُقَرَا ... هُمُ ٱلسَّلاَطِينُ وَٱلسَّادَاتُ وَٱلأُمَرَا

فَاصْحَبْهُمُ وَتَأَدَّبْ فِي مَجَالِسِهِمْ ... وَخَلِّ حَظَّكَ مَهْمَا قَدَّمُوكَ وَرَا

إلىٰ آخِرِها .

وعليها شرحٌ جامعٌ لابنِ علاَّن[2] ، وآخَرُ علىٰ لسانِ أهلِ الإشارةِ والذَّوقِ للشَّيخِ العارفِ باللهِ عليِّ بنِ عبدِ اللهِ باراس[3] ـ نفع اللهُ بهِ ـ ذكرَ فيهِ جملةً مِنْ آدابِهم ومشاربِهم وأذواقِهم .

* * *

---

(١) الشيخ الكبير شعيب ـ أبو مدين ـ المغربي ، كان رأس الصوفية في وقته ، ولد ببجاية ونشأ بها ، واشتهر حتىٰ ملأ الآفاق ذكره . « الكواكب الدرية » للمناوي (٢/٢٣٧) .

(٢) الشيخ العلامة شهاب الدين أحمد بن إبراهيم بن علان البكري الصديقي المكي ، المتوفىٰ بمكة سنة (١٠٣٣هـ) ، وهو عم الشيخ محمد علي شارح « الأذكار » و« رياض الصالحين » . انظر « خلاصة الأثر » (١/١٥٧) ، و« المختصر من نشر النور والزهر » (ص١٠٥) .

(٣) الشيخ الصالح العالم العامل علي بن عبد الله باراس الكندي الدوعني الشافعي الحضرمي ، مولده بحريضة سنة (١٠٢٧هـ) ، ووفاته سنة (١٠٩٤هـ) بالخريبة . من أشهر تلامذة السيد الجليل الحبيب عمر بن عبد الرحمٰن العطاس ، بل من ألصق الناس به ، حتىٰ صارا لا يذكر أحدهما إلا ويذكر الآخر معه . ويضرب به المثل في الأدب وصحبة الأشياخ ، له شرح علىٰ راتب شيخه المذكور ، ضمّنه الحبيب علي بن حسن شرحه الكبير النافع « القرطاس » ، وله شرح على الأبيات المذكورة ، اسمه : « الروضة الخضراء والدرة الزهراء » ، وله شرح علىٰ « الحكم العطائية » .

[حفظ الصبي عن صحبة الأضداد]

قالَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ :

50 وَيَحْتَفِـظْ بِـهِ عَـنِ ٱلْجُهَّـالِ ... وَكُـلِّ أَهْـلِ ٱلْفِسْـقِ وَٱلضَّـلَالِ
51 وَمَنْ عُرِفْ بِٱلْكِذْبِ وَٱلْخِيَانَةْ ... وَكُـلِّ مَـنْ لَيْسَـتْ لَـهُ أَمَـانَـةْ
52 فَـإِنَّ أَصْـلَ أَدَبِ ٱلأَخْيَـارِ ... حِفْظُ ٱلصَّبِي عَنْ صُحْبَةِ ٱلأَشْرَارِ
53 إِذِ ٱلطِّبَـاعُ تَسْـرِقُ ٱلطِّبَـاعَـا ... وَكُلُّ مَنْ صَاحَبْ خَبِيثاً ضَاعَا
54 وَقَدْ أَتَىٰ نَصٌّ عَنِ ٱلرَّسُولِ ... بِـأَنَّ طَبْـعَ ٱلْمَـرْءِ كَـٱلْخَلِيـلِ

أَي : ويَحفظُ الوليُّ المربِّي الصَّبيَّ عن مجالسةِ (الْجُهَّالِ) بل وعن مجرَّدِ النَّظرِ إِليهم ؛ لأَنَّ النَّظرَ إِلىٰ مَنْ يلابسُ أَمراً قبيحاً . . يهوِّنُ قُبْحَ ذلكَ الأَمرِ في عينِ النَّاظرِ ، لا سيَّما مع استدامةِ ذلكَ ومعاودتهِ ، وربَّما يعودُ ذلكَ القبيحُ حسناً ؛ إِذِ الجاهلُ : مَنْ يتقدَّمُ في الأُمورِ المنبهمةِ بغيرِ عِلْمٍ .

وعُرِّفَ أَيضاً بأَنَّهُ : اعتقادُ الشَّيءِ علىٰ خلافِ ما هوَ عليهِ .

فإِذا جالسَ الصَّبيُّ مَنْ هـٰذهِ حالتُهُ . . ربَّما يعتقدُ أَنَّ ما يفعلهُ أَنَّهُ مِنَ الحقِّ والحسنِ ، فيعمله مثلَهُ ، أَو يعتقدُهُ كذلكَ .

وربَّما لو أُريدَ نقلُهُ مِنْ ذلكَ . . شقَّ عليهِ وعَسُرَ علاجُهُ منهُ ؛ لأَنَّ الطِّباعَ تسترقُ مِنَ الطِّباعِ صلاحاً وفساداً ، وكرماً ولؤْماً .

وكذا مجالسةُ (أَهْلِ الْفِسْقِ) النَّاكِبينَ عنِ التزامِ أَوامرِ الشَّرعِ .

وأَهلِ (الضَّلَالِ) وهُم : العادلونَ عنِ الصِّراطِ المستقيمِ .

(وَمَنْ عُرِفَ بِالْكِذْبِ) أَي : الإِخبارِ بالشَّيءِ علىٰ غيرِ حقيقتهِ .

(وَالْخِيَانَة) التَّفريط في الأَمانةِ ، سواءٌ تعلَّقتِ الأَمانةُ بحقِّ النَّفسِ والدِّينِ ، أَو بحقِّ الغيرِ .

فكلُّ هٰذهِ الخصالِ مذمومةٌ شرعاً وعقلاً ، وكلُّها معدودةٌ مِنَ الكبائرِ ، وكفىٰ بالخيانةِ شؤْماً أَنَّها تُرادفُ النِّفاقَ في معناها .

وقالَ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في الخيانةِ : « إِنَّها بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ »[1] .

وفي الكذبِ : « إِنَّهُ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ »[2] .

وكذا يمنعُهُ عن مجالسة وصحبة (مَنْ لَيْسَتْ لَهُ أَمَانَة) أَي : وهو كلُّ متَّصفٍ بالخيانةِ في دِينهِ ، أَو نَفْسهِ ، أَو عِرضهِ .

فمَنْ لا أَمانةَ لَهُ . . لا دِينَ لَهُ ولا حياءَ ولا مروءةَ ، بل هوَ عارٍ عن كلِّ خيرٍ .

وقد أَجمعَ العارفونَ أَنَّ أَصلَ الأَدَبِ ومفتاحَ الخيرِ وعنوانَ التَّحلِّي

---

(١) أخرجه ابن حبان (١٠٢٩) ، وأبو داوود (١٥٤٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٩٤) ، ومسلم (٢٦٠٧) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه .

بالأَخلاقِ المستحسنةِ . . صحبةُ الأَخيارِ ، والتَّحفُّظُ عن صحبةِ الأَشرارِ ؛ فإِنَّ صحبتَهُم داءٌ معضلٌ ، وسمٌّ ناقعٌ ، ولا سيَّما الصَّبيُّ الَّذي صحيفةُ قلبهِ نقيَّةٌ بيضاءُ ، فإِنَّهُ إِنْ عُوِّدَ الخيرَ ومجالسةَ الأَخيارِ . . انتقشَ ذلكَ في قلبهِ ، وإِنْ عُوِّدَ الشَّرَّ . . فكذلكَ انطبَعَ فيهِ الشَّرُّ ، وصارَ عادةً لَهُ وطبعاً راسخاً ، فتراهُ معَ ذلكَ فرحاً لحالهِ ، مستشعراً لكمالهِ ، بعيدَ الرَّجاءِ أَنْ يسعىٰ في إِزالةِ ما هوَ عليهِ مِنَ الخُلقِ المذمومِ ؛ كما قالَ الحجَّةُ رضيَ الله تعالىٰ عنهُ : (إِنَّ المخنَّثَ يتباهىٰ بما هوَ فيهِ معَ المخنَّثينَ ، حتَّىٰ يجري بينَ الحجَّامينَ والكنَّاسينَ مِنَ التَّفاخرِ والمباهاةِ كما يجري بينَ الملوكِ والعلماءِ . وكلُّ ذلكَ نتيجةُ العادةِ ، والمواظبةِ علىٰ نمطٍ واحدٍ على الدَّوامِ مدَّةً مديدةً ، ومشاهدةِ ذلكَ مِنَ المخالطينَ والمعارفِ) انتهىٰ مِنْ (رياضةِ النَّفْسِ) في بيانِ السَّببِ الَّذي يُنالُ بهِ حسنُ الخلقِ ، في مبحثِ قولهِ : (ولا ينبغي أَنْ يستبعدَ أَنْ تصيرَ الصَّلاةُ قرَّةَ عينٍ وتصيرَ العبادةُ لذيذةً)[1] .

ولذا قالَ الشَّيخُ أَحمدُ زرّوق رحمهُ اللهُ تعالىٰ[2] في « قواعدهِ » : (ما رُكِّبَ في الطِّباعِ معينٌ للنُّفوسِ علىٰ ما تريدهُ ؛ فلذا قيلَ : إِذا علمَ الصَّغيرُ ما تميلُ إِليهِ نفسُهُ مِنَ المباحاتِ . . خرجَ إِماماً فيها ، وإِذا انتحلَ المريدُ

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٥٩) .

(٢) هو العلامة الفقيه أحمد بن أحمد بن محمد زرُّوق البرنسي ، الشهير بزرُّوق ، مالكي المذهب ، مولده بفاس في محرم سنة (٨٤٦هـ) ، ووفاته سنة (٨٩٩هـ) . له مصنفات عديدة ؛ منها : « شرح على الحكم العطائية » قيل : تصل شروحه عليها إلىٰ نحو الثلاثين ، وله القواعد المسمّاة « قواعد التصوف علىٰ وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة ، ويصل الأصول والفقه بالطريقة » . انظر « معجم المؤلفين » (١/ ٩٨) .

[ما ترجِّحُه حقيقتُه] مِنَ الأَذكارِ والأَورادِ. . كانَ معيناً لَهُ علىٰ مقصدهِ بدوامهِ) اهـ[1]

والحاصلُ : أَنه لا أَضرَّ على النُّفوسِ مِنْ صحبةِ الأَشرارِ ، فإِنَّها تُحسِّنُ أَفعالَهُم عندَ الجليسِ ، وتورثهُ محبَّةَ العملِ بها ، وتتعدَّىٰ إِلىٰ أَمرٍ فيهِ هلاكُ الدِّينِ وسخطُ ربِّ العالَمينَ ، وهوَ سوء الظَّنِّ بالأَخيارِ ، وقساوةُ القلبِ ، وتركُ عملِ الآخرةِ ، وهـٰذا هوَ الخسرانُ المبينُ والضَّلالُ المبينُ .

* * *

(١) قواعد زروق (ص ٥٢) في شرح القاعدة السادسة والتسعين .

قالَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ :

فَصْلٌ

[تعليم الصبي آداب الحديث]

وَيَمْنَعُـــوهُ كَثْـــرَةَ ٱلْكَـــلاَمِ   لِأَنَّـــهُ مِـــنْ عَـــادَةِ ٱللِّئَـــامِ 55
أَيْضاً وَمِنْ أَنْ يَبْتَدِي خِطَابَا   إِلاَّ أَنْ يَكُـونَ قَـوْلُـهُ جَـوَابَـا 56

أَي : ويُمنـعُ الصَّبـيُّ مِـنْ (كَثْـرَةِ الْكَـلاَمِ) لأَنَّ كثـرتَـهُ مِـنْ صفـاتِ المجانينِ ، ولأَنَّهُ مَنْ كثرَ كلامُهُ .. كثرَ سَقَطُهُ ، ووقعَ في الكذبِ لا محالةَ .

وهوَ - أَي : كثرةُ الكلامِ - مِنْ أَخلاقِ (اللِّئَامِ) جمعُ لئِيمٍ ؛ وهوَ : خبيثُ النَّفْسِ .

وكلُّ ما وردَ في فضلِ الصَّمتِ فهوَ دليلٌ علىٰ ذمِّ كثرةِ الكلامِ(١) ، ويكفي في ذلكَ أَنَّ الصَّمتَ - الَّذي هوَ عدمُ الكلامِ أَو قلَّتُهُ إِلاَّ لضرورةٍ أَو

(١) جَمَعَ أحاديث فضل الصمت وما روي فيه الإمام المحدث الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا القرشي (ت٢٨١هـ) في كتابه : « الصمت وآداب اللسان » مطبوع ، ولخّصه الإمام السيوطي في رسالة مفردة سماها : « حسن السمت في الصمت » مطبوعة كذلك .

حاجةٍ ـ ركنٌ مِنْ أَركانِ الرِّياضةِ وسلوكِ طريقِ السَّادةِ الصُّوفيَّةِ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُم .

وفي « شرحِ العينيَّةِ » للشَّيخِ أَحمدَ بنِ زينٍ الحبشيِّ باعلوي علىٰ قولِ النَّاظمِ الشَّيخِ عبدِ اللهِ الحدَّادِ نفعَ اللهُ بهما :

[وَٱلنَّفْسَ رُضْهَا بِٱعْتِزَالٍ دَائِمٍ] وَٱلصَّمْتِ مَعْ سَهَرِ ٱلدُّجَىٰ وَتَجَوُّعِ[1]

قالَ في أَثناءِ شرحهِ : (والصمتُ تُسهِّلُهُ العزلةُ ، والسَّهرُ ينتجه الجوع ؛ فإِنَّ السَّهرَ معَ الشِّبعِ بعيدٌ جدّاً ، والسَّهرُ والجوعُ ينوِّرانِ القلبَ ، وبنورِ القلبِ تشاهَدُ الآخرةُ . والنَّومُ يقسِّي القلبَ ، والكلامُ يَشْغَلُهُ ويورثُهُ الغفلةَ ، والصَّمتُ يلقِّحُ العقلَ ويورث الورع والتَّقوىٰ ، والخلوةُ تدفعُ الشَّواغلَ) اهـ[2]

ويُمنعُ أيضاً (أَنْ يَبْتَدِي خِطَاباً) لا سيَّما إذا كانَ مع مَنْ هوَ أكبرُ منهُ ، أَو بلا حاجةٍ ، بل لا يكونُ كلامُهُ (إِلاَّ جَوَاباً) فإِنَّ ذلكَ يدلُّ علىٰ كمالِ العقلِ والوقارِ ، وطِيبِ العنصرِ والنِّجَارِ[3] ، وضدُّهُ يدلُّ على الطيشِ والخفَّةِ والعجلةِ ، وضعفِ النَّفسِ وضعتِها ، وقد وردَ : « أَنَّ اللهَ يُبْغِضُ الثَّرثارِينَ الْمُتَشدِّقِينَ الْمُتَفَيْهِقِينَ »[4] .

* * *

---

(١) انظر « ديوان الإمام الحداد » رحمه الله تعالىٰ (ص ٣٦٥) .

(٢) شرح العينية (ص٣٣٠) .

(٣) النِّجار : الأصلُ والحَسب .

(٤) وأصله الحديث الذي أخرجه الترمذي (٢٠١٨) عن سيدنا جابر رضي الله عنه : « وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني يوم القيامة : الثرثارون ، والمتشدقون ، والمتفيهقون » .

[التحذير من الأَيمان وكثرة الحَلِف وسماع الغناء]

قالَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ :

57 ثُـمَّ ٱلْيَمِيـنَ يَمْنَعُـوهُ مِنْهَـا	بَتّـاً دَوَامـاً دَهْـرَهُ يَـدَعُهَـا
58 وَجُمْلَـةَ ٱلأَشْعَـارِ وَٱلأَغَـانِـي	يُمْنَـعُ مِنْهَـا دَائِـمَ ٱلـزَّمَـانِ

أَي : ويُمنعُ مِنَ (الْيَمِينِ) رأساً ، فلا يحلفُ باللهِ تعالىٰ ، لا صادقاً ولا كاذباً ؛ لأَنَّهُ إذا مُنِعَ مِنْ ذلكَ ، وفهِمَ معنى المنع أَنَّهُ مِنْ أَجلِ استشعارِ عظَمةِ اللهِ تعالىٰ وإجلالهِ ، وأَنَّهُ أَجلُّ مِنْ أَنْ يُحْلَفَ بهِ لغرضٍ مِنَ الأَغراضِ . . استجلبَ بهِ مراقبةَ اللهِ تعالىٰ في شأْنهِ كلِّهِ .

وقد وردَ التَّشديدُ في اليمينِ الغموسِ ، وأَنَّها الحالقةُ للدِّينِ ، وأَنَّها منفقةٌ للسِّلعةِ ممحقةٌ للبركةِ(١) .

ويُمنعُ أَيضاً ويُزجرُ زجراً عنيفاً عنِ الحلفِ بالنَّبيِّ والكعبةِ والأَولياءِ ؛ لخبرِ : « فَإِنْ كَانَ وَلاَ بُدَّ حَالِفاً . . فَلاَ يَحْلِفْ إِلاَّ بِاللهِ »(٢) .

والحلفُ بغيرِ اللهِ منهيٌّ عنهُ ، وقد وردَ أَنَّهُ كفرٌ ؛ أَي : وحملوهُ علىٰ أَنَّهُ إِنْ كانَ الحالفُ يعتقدُ تعظيمَ المحلوفِ بهِ كتعظيمِ اللهِ تعالىٰ ،

---

(١) انظر ما أخرجه البخاري (٦٩٢٠) و(٢٠٨٧) .

(٢) أخرج البخاري (٢٦٧٩) ، ومسلم (٣/١٦٤٦) نحوه عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

وإلاَّ . . فهوَ حرامٌ أَو مكروهٌ ، على الخلافِ المذكورِ في كتبِ الفروعِ .

ويُمنعُ الصَّبيُّ مِنْ (جُمْلَةِ الأَشْعَارِ) أَي : الَّتي فيها محضُ ذِكرِ الخدودِ والقدودِ وأَنواعِ الغزَلِ ، والَّتي فيها الهجاءُ والذَّمُّ ، وكلُّ مستقبحٍ شرعاً وعقلاً .

قالَ الحجَّةُ الغزاليُّ رضيَ اللهُ عنهُ : (ويُحفظُ ـ أَي : الصَّبيُّ ـ عنِ الأَشعارِ الَّتي فيها ذِكرُ العشقِ وأَهلِهِ ، ويُحفظُ عن مخالطةِ الأُدباءِ الَّذينَ يزعُمونَ أَنَّ ذلكَ مِنَ الظَّرْفِ ورقَّةِ الطَّبعِ ؛ فإِنَّ ذلكَ يغرسُ في قلوبِ الصِّبيانِ الفسادَ) اهـ[1]

وحُكيَ عن الشَّافعيِّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ونفعَ بهِ : (أَنَّهُ كانَ يطلبُ الشِّعرَ وأَيَّامَ العربِ والأَدبَ ، وأَنَّهُ كانَ سببُ أَخذهِ في الفقهِ أَنَّهُ كانَ يوماً يسيرُ علىٰ دابَّةٍ لَهُ وخلفَهُ كاتبٌ لأَبي[2] ، فتمثَّلَ ببيتِ شِعرٍ ، فقرَّعَهُ كاتبُ أَبي بسوطِهِ ، ثمَّ قالَ لَهُ : مِثلُكَ يَذهبُ بمروءَتهِ في مثلِ هـٰذا ؟! أَينَ أَنت مِن الفقهِ؟ فهزَّهُ ذلكَ ، فقصدَ مجالسةَ مسلمِ بنِ خالدٍ الزّنجيِّ مفتي مكَّةَ[3] ، ثمَّ قدمَ المدينةَ فلزمَ مالكَ بنَ أَنسٍ الأَصبحيَّ الإِمامَ[4] رضيَ اللهُ عنهُ)[5] .

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٧٣) .

(٢) أي : راوي الخبر مصعب بن عبد الله الزبيري .

(٣) مسلم بن خالد الزنجي المكي المخزومي (١٠٠ـ ١٨٠هـ) تفقَّه به الإمام الشافعي ولازمه حتىٰ أذن له في الفتيا . « سير أعلام النبلاء » (٨/ ١٧٦) .

(٤) الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة (٩٣ـ ١٧٩هـ) صاحب « الموطأ » الشهير ، والمذهب الفقهي المتبوع ، صنفت في ترجمته المصنفات . ينظر « سير أعلام النبلاء » (٨/ ٤٨) .

(٥) انظر « مناقب الإمام الشافعي » للإمام البيهقي رحمهما الله تعالىٰ (١/ ٩٦) ويروىٰ سبب آخر في ميوله إلى الفقه ، انظره في « توالي التأسيس » للحافظ ابن حجر العسقلاني (ص٥٨ـ ٥٩) .

و (الأَشْعَارُ) ـ جمعُ شِعرٍ بكسرِ الشِّينِ المعجمةِ ، وسكونِ العينِ ـ لغةً : العِلْمُ ، واصطلاحاً : كلامٌ مقفًّىً موزونٌ .

وينقسمُ إلىٰ : مذمومٍ ، وهوَ المرادُ[1] .

ومحمودٍ ؛ وهوَ : ما اشتملَ علىٰ نحوِ المواعظِ والأَحكامِ والحِكَمِ[2] .

و(الأَغَانِي) مِنَ الغناء ؛ وهوَ : صوتٌ موزونٌ ، وسماعُهُ مكروهٌ ولو مِن امرأَةٍ ، فإِنْ خيفَ بهِ الفتنةُ . . حَرُمَ .

فيُمنعُ منهُ الصَّبيُّ زيادةً علىٰ غيرهِ ؛ لئلاَّ يأْلفَهُ ويَرْبىٰ عليهِ ، فإِنَّهُ منافٍ للمروءَةِ وخارمٌ لها ، لا سيَّما مِنْ أُولي الهيئَاتِ .

وقد ذمَّهُ الشَّارعُ بقولهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : « إِنَّ الْغِنَاءَ يُنْبِتُ النِّفَاقَ فِي الْقَلْبِ كَمَا يُنْبِتُ الْمَاءُ الْبَقْلَ » أَخرجَهُ ابنُ أَبي الدُّنيا في « الملاهي » عنِ ابنِ مسعودٍ[3] ، وفي روايةٍ عن جابر : « كَمَا يُنْبِتُ الْمَاءُ الزَّرْعَ »[4] .

* * *

---

(١) أي : المراد من ذكره هٰهنا .

(٢) الأصل في هٰذا التقسيم ما أخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (٨٦٥) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : « الشعر بمنزلة الكلام ، حَسَنُه كحسن الكلام ، وقبيحه كقبيح الكلام » .

(٣) ذم الملاهي (٣٩) ، وأخرجه البيهقي (١٠/ ٢٢٣) .

(٤) أخرجه البيهقي (١٠/ ٢٢٣) .

[الأدب مع الجليس وسائر الناس]

قالَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ :

59 وَٱلْبَصْـقُ وَٱلْمُخَـاطُ وَٱلتَّنَخُّـمُ ... عِنْـدَ ٱلْجَلِيـسِ لاَ عَلَيْـهِ يُقْـدِمُ
60 وَٱللَّعْنُ وَٱلسَّبُّ وَشَتْمُ ٱلنَّاسِ ... وَٱلاخْتِلاَطُ بَيْنَ ذِي ٱلأَدْنَاسِ

أَي : ويُمنعُ عن كلِّ سوءِ أَدبٍ كـ(الْبَصْقِ) بالصَّادِ والسِّينِ والزَّاي ؛ وهوَ : ما خرجَ مِنْ معدنِ الفمِ ، و(الْمُخَاطِ) : مِنَ الأَنفِ ، و(التَّنَخُّمِ) ـ وهوَ : ما نزلَ مِنَ النُّفاة ولَفَظَه مِنَ الفمِ ـ (عِنْدَ الْجَلِيسِ) لا سيَّما إِذا كانَ شيخاً أَو والداً ، وكذا جميعُ أَهلِ الفضلِ والعِلْمِ والصَّلاحِ .

قالَ الغزاليُّ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ : (وينبغي أَنْ يُعوَّدَ أَلاَّ يبزقَ في مجلسهِ ، ولا يتمخَّطَ ، ولا يتثاءَبَ بحضرةِ غيرهِ ، ولا يضعَ رِجْلاً علىٰ رِجْلٍ ، ولا يضربَ كفَّهُ تحتَ ذَقَنهِ ، ولا يعمدَ رأْسَهُ بساعدهِ ؛ فإِنَّ ذلكَ دليلُ الكسلِ ، ويُعلَّمَ كيفيَّةَ الجلوسِ) اهـ[١]

ويُمنعُ أَيضاً مِنَ (اللَّعْنِ) وهوَ لغةً : البعدُ عن رحمةِ الله تعالىٰ .

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٧٣) .

والمرادُ هنا : منعُ الصَّبيِّ مِنْ تعوُّدِه ؛ لِما وردَ في الشَّرعِ مِنْ ذمِّهِ ، وما يترتَّبُ عليهِ مِنَ الحرجِ الشَّديدِ .

و(السَّبُّ) هوَ : ذِكرُ مساوىءِ النَّاسِ ، والطَّعنُ فيهم ، و(الشَّتْمُ) هو : ذِكرُ العارِ . هـٰذا معنىٰ ما في « القاموسِ » .

وفي « التَّوقيفِ » للمناويِّ : (السَّبُّ : الشَّتمُ الوجيعُ ، والسُّبَّةُ : ما يسبُّ بهِ، وكُنِّيَ بها عنِ الدُّبرِ، وتسميتُهُ بذلكَ كتسميتِهِ بالسَّوءَةِ) اهـ[1]

وقالَ في الشَّتمِ : (إنَّهُ وصفُ الغيرِ بما فيهِ نقصٌ وإزراءٌ) اهـ[2]

و(الأَدْنَاسُ) جمعُ دَنَسٍ ؛ أَي : وسخٍ ؛ وهوَ : الَّذي يفعلُ ما يشينُهُ ، مثَّلَهُ بالثَّوبِ الَّذي يتَّسخُ ؛ فإنَّ الوسخَ يشينهُ فيُتقذَّرُ ويُتركُ ، والمتَّسِخُ بسببِ الذُّنوبِ أو ارتكابِ القبائِحِ مسترذَلٌ متروكٌ ، ومخالِطُهُ يسلكُ بهِ مسلكَهُ ، وإنْ كانَ صبيّاً . تَطبَّعَ بطباعهِ ، ولا يُبالي بَعْدُ باقترافهِ للذُّنوبِ ، ولا بتدنُّسهِ بالأَدناسِ والعيوبِ .

* * *

(١) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف (ص٣٩٥) .
(٢) التوقيف (ص٤٢٤) .

قالَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ :

فَصْلٌ

[الأمر بالتواضع وترك الطمع]

61	وَيُلْـزِمُـوهُ كَثْـرَةَ ٱلتَّـوَاضُـعِ	وَتَـرْكَ مَـا بَـدَا لَـهُ مِـنْ طَمَـعِ
62	فَـإِنَّـهُ مِـنْ أَعْظَـمِ ٱلآفَـاتِ	حَكَيْتُـهُ نَقْـلاً عَـنِ ٱلثِّقَـاتِ

(وَيُلْزِمُوهُ) ـ أي : الصَّبيَّ ـ جميعَ خصالِ الخيرِ ومكارمِ الأَخلاقِ ، لا سيَّما رأْسُ الأَخلاقِ الكريمةِ ؛ وهوَ : (التَّوَاضُعُ) أي : الخضوعُ للهِ تعالىٰ ولِجلالهِ ، وما عظَّمهُ تعالىٰ ؛ كالأَنبياءِ والأَولياءِ والعلماءِ .

قالَ المُناويُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ : (قالَ التُّونسيُّ : تحقيرُ النَّفْسِ وإِهانتُها بالنسبة إلىٰ عظمةِ اللهِ تعالىٰ ، وقيلَ : قَبولُ الحقِّ بحُسنِ الخُلقِ ، وقيلَ : تركُ الصَّولِ والتَّبرِّي مِنَ القوَّةِ والحولِ ، وقيلَ : محافظةُ الأَمرِ ومجانبةُ الوزرِ ، وقيلَ : رؤْيةُ التقصيرِ في عينِ التَّوقيرِ) اهـ

وقد وردَ فيهِ وفي التَّخلُّقِ بهِ مِنَ الفضائِلِ ما لا يُحصىٰ : قالَ تعالىٰ مخاطباً لنبيِّهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

وقالَ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « التَّوَاضُعُ لاَ يَزِيدُ الْعَبْدَ إِلاَّ رِفْعَةً ، فَتَوَاضَعُوا يَرْفَعْكُمُ اللهُ » أَخرجَهُ ابنُ أَبي الدُّنيا في « ذمِّ الغضبِ »(١) .

---

(١) أخرجه الربيع في « مسنده » (٨٨٥) ، وعزاه العلامة العجلوني رحمه الله تعالىٰ في « كشف =

وعنِ الجنيدِ أَنَّهُ قالَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ : (أَربعٌ تَرفعُ [العبدَ] إلىٰ أَعلى الدَّرجاتِ وإِنْ قلَّ عِلْمهُ وعملُهُ : الحِلْمُ ، والتَّواضعُ ، والسَّخاءُ ، وحسنُ الخُلقِ ؛ وهوَ كمالُ الإيمانِ)[1] .

وحقيقةُ التَّواضعِ عندَ الصُّوفيَّةِ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُم : أنَّه لَو حطَّ مِنْ قَدْرِهِ وبالغَ في ذلكَ ، وذلَّ نَفْسَهُ وصغَّرها إلىٰ حدٍّ ينتهي إِليهِ غاية الاتضاع ولَم يرَ ذلكَ تواضعاً . . فهوَ متواضعٌ حقيقةً ، يثبتُ لَهُ اسمهُ ومعناهُ وحقيقتُهُ .

وأَمَّا مَنْ تواضعَ ، ورأَىٰ أَنَّهُ نزلَ مِنْ مرتبتهِ وحطَّ مِنْ قدرِهِ . . فإِنَّهُ عندَهُم متكبِّرٌ ؛ لأَنَّهُ يرىٰ نفْسَهُ فوقَ مَنْ تواضعَ لَهُ ، وهـٰذا هوَ الكِبْرُ .

قالَ أَبو يزيدَ البسطاميُّ رضيَ الله عنهُ : (ما دامَ العبدُ يظنُّ أَنَّ في الخلْقِ مَنْ هوَ شرٌّ منهُ . . فهوَ متكبِّرٌ[2] . قيلَ : فمتىٰ يكونُ متواضعاً ؟ قالَ : إذا لَم يرَ لنَفْسِهِ مقاماً ولا حالاً ، وتواضعُ كلِّ أَحدٍ علىٰ قدرِ معرفتهِ بنَفْسِهِ وربِّهِ) اهـ[3]

قلتُ : وهـٰذا كلامٌ لا مزيدَ علىٰ حُسنهِ ، والطَّريقُ إلىٰ ذلكَ معَ توفيقِ اللهِ تعالىٰ سهلٌ متيسرٌ ؛ وهوَ : أَنْ يقدِّرَ كلُّ إنسانٍ رفيعٍ أَو وضيعٍ ما ذكرهُ الحجةُ الغزاليُّ قدَّس اللهُ روحَهُ في « بدايةِ الهدايةِ » أَنَّهُ : (إنَّ

= الخفا » (١/ ٣٢٢) للديلمي ، ولابن أبي الدنيا في « ذم الغضب » .

(١) ذكره العلامة المناوي رحمه الله تعالىٰ في « فيض القدير » (٣/ ٨٩) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٣٦) .

(٣) ذكره الإمام ابن عباد رحمه الله تعالىٰ في « غيث المواهب العلية شرح الحكم العطائية » (٢/ ١٥٧) .

رأىٰ صغيراً . . قالَ : إنَّهُ لَم يعصِ اللهَ تعالىٰ ، وأَنا قد عصيتُهُ قَبْلَهُ ، وإِنْ رأىٰ كبيراً . . قالَ : هـٰذا قد عبدَ اللهَ قَبْلي ، أَو رأَىٰ عاصياً أَو كافراً . . قالَ : هـٰذا عصى اللهَ تعالىٰ بجهلٍ وأَنا عصيتُهُ بعِلْمٍ ، وعسىٰ أَنْ يتوبَ العاصي فتبدَّلَ سيِّئَاتُهُ حسناتٍ ، أَو يُسلمَ الكافرُ فيَجُبَّ إسلامُهُ ما قَبْلَهُ ويُختمَ لَهُ بخيرٍ ، ويقدِّر في نفْسِهِ عكسَ ذلكَ) هـٰذا معنىٰ ما ذكرَهُ[١] .

ومِنْ هـٰذا : ما حُكيَ عن خيرِ التَّابعينَ أُويس القرنيِّ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ[٢] : أَنَّهُ كانَ يلتقطُ كِسَرَ الخبزِ مِنَ المزابلِ ، فنبحَهُ كلبٌ ، فقالَ لَهُ : كُلْ ممَّا يليكَ وأَنا آكلُ ممَّا يليني ، فإِن جزتُ الصِّراطَ . . فأَنا خيرٌ منكَ ، وإِلاَّ . . فأَنتَ خيرٌ منِّي .

وصدقَ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ ؛ فإِنَّ المجدَ[٣] وتبيُّنَ عزِّ النَّفسِ الدَّائِمِ والسَّعادةَ القعساءَ بالمرورِ على الصِّراطِ حتىٰ ينجو مِنَ الهُوِيِّ في دارِ العذابِ الأَليمِ ، والبُعدِ عن مجاورةِ الرَّبِّ الكريمِ في دارِ النَّعيمِ .

وكلامُهم في التَّواضعِ منتشرٌ لا يُحاطُ بهِ .

وبالجملةِ : فإِنَّهُ موهبةٌ مِنْ مواهبِ الحقِّ تعالىٰ ، وخِلعةٌ مِنْ خِلَعِ الولايةِ لا يتَّصفُ به ولا يلبسُهُ إلاَّ صفوتُهُ مِنَ الأَولياءِ والعلماءِ ؛ كما قالَ

---

(١) بداية الهداية (ص٢١٥ـ٢١٦) .

(٢) سيد التابعين أويس بن عامر بن جزء القرني المرادي اليماني (ت٣٧هـ) ، حبسه برُّه بأمه عن القدوم علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضائله كثيرة . انظر « سير أعلام النبلاء » (٤/١٩) ، ولملا علي القاري رحمه الله تعالىٰ « المعدن العدني في فضل أويس القرني » مطبوع .

(٣) في (ب) : (فإن المحكَّ) .

بعضُ العارفينَ : لا يمكنُ الخروجُ مِنَ النَّفْسِ [بالنفس] ، وإِنَّما يكونُ الخروجُ مِنَ النَّفْسِ باللهِ تعالىٰ ، ثمَّ يشتغلُ بمراعاةِ حدودِ الشَّريعةِ والطَّريقةِ في ظاهرِهِ وباطنهِ والتزامِ آدابهما ، ولكلِّ عبدٍ عملٌ مخصوصٌ . . . إلىٰ آخرِ ما ذكرهُ ابنُ عبَّادٍ في « شرحِ الحِكمِ »[1] .

وكلُّ ما وردَ في مدحِ التَّواضعِ . . فإِنَّهُ ذمٌّ للكبرِ ، وعكسُهُ ؛ فإِنَّ الكبرَ ضدُّ التَّواضعِ ، وهوَ مِنْ أَعظمِ الآفاتِ الموقعةِ للعبدِ في البُعدِ عنِ اللهِ تعالىٰ ، كما أُبعدَ إِبليسُ بسببِ الكبرِ ، وقد فسَّرهُ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بأَنَّهُ : « غَمْطُ النَّاسِ ـ أي : احتقارهُم ـ وَبَطَرُ الْحَقِّ »[2] أَي : عدمُ قَبولِهِ .

ومعنى الكبرِ : استعظامُ النَّفْسِ ، واعتقادُ أَفضليَّتها على الغيرِ ، وهوَ محلُّهُ القلبُ ، ولا عبرةَ بما يظهرُ علىٰ بعضِ النَّاسِ مِنَ القرائنِ الَّتي تقتضي التَّعاظمَ والتكبرَ وقلبُهُ عارٍ عنِ الكبرِ ، نقي الجيب عنِ الاتِّصافِ بهِ ، وقد يكونُ البعضُ يُرىٰ أَنَّهُ مِنَ المتواضعينَ الخاشعينَ وهوَ مملوءٌ مِنَ الكبرِ .

قالَ الشَّيخُ المزجاجيُّ : وليستِ العباداتُ والمجاهداتُ دليلاً على المعرفةِ باللهِ ؛ فكم مِنْ عابدٍ ومجاهدٍ بعيدٌ عنها بمراحلَ ومفاوزَ ، فقد رأَيت . . . إلخ .

ولٰكنَّ الغالبَ علىٰ مَنْ ظهرَ عليهِ شيءٌ مِنَ الأُمورِ المحمودةِ أَوِ

---

(١) شرح الحكم (٢/١٥٦ـ١٥٧) .

(٢) أخرجه مسلم (٩١) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه .

المذمومةِ [أنَّهُ لا][1] يترشَّحُ ذلكَ علىٰ ظاهرِهِ إلاَّ وهوَ متَّصفٌ بهِ في باطنهِ ، فالظَّواهرُ عنوان السَّرائرِ .

وليسَ مِنَ الكبرِ التَّكبرُ على الرُّؤساءِ مِنْ أَهلِ الدُّنيا ، والمتعاظمينَ بأُمورٍ قادَهُم إليها الجهلُ والقُنُوع برذيلتهِ عنِ العِلْمِ وفضيلتهِ ، فيتخبَّطهُم الشَّيطانُ ويسوِّلُ لهُم خزايا ذميمةً ، فتراهُم يترفَّعونَ عَن حضورِ مجالسِ الذِّكرِ والعِلْمِ ، وحضورِ الجماعاتِ في المساجدِ ، والجلوسِ مع الفقراءِ الَّذينَ أُمرَ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أَنْ يصبرَ نفسَهُ الشَّريفةَ معهُم ؛ وذلكَ لمَّا نزلَ قولُهُ تعالىٰ : ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ . خرجَ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلىٰ أَهلِ الصُّفَّةِ في المسجدِ وكانوا أَربعَ مئَةٍ ، وكانَ بعضهُم يستترُ ببعضٍ مِنَ العُرْيِ ، فجلسَ معهُم وهُم يذكرونَ اللهَ تعالىٰ ، فقالَ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « الْحَمْدُ للهِ الَّذي جَعَلَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ أصبرُ نَفْسِي مَعَهُمْ »[2] .

وقولُهُ رحمَهُ اللهُ :

. . . . وَتَـرْكَ مَـا بَـدَا لَـهُ مِـنْ طَمَـعِ
فَـإِنَّـهُ مِـنْ أَعْظَـمِ ٱلآفَـاتِ . . . .

أَي : أَنَّهُ يُمنعُ مِنَ الطَّمعِ ؛ فإنَّهُ أَيضاً مِنْ أَعظمِ الآفاتِ العظيمةِ ، والصِّفاتِ الذَّميمةِ ؛ وهوَ : تعلُّقُ البالِ بالشَّيءِ مِنْ غيرِ تقدُّمِ سببٍ لَهُ ، ضدُّ الرَّجاءِ .

---

(١) في النسختين : (فلا) والصواب ما أُثبت ، والله أعلم .
(٢) أخرجه بنحوه أبو داوود (٣٦٦٦) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

قالَ المُناويُّ : (ولمَّا كانَ أَكثرُ الطَّمعِ مِنْ جهةِ الطَّبعِ . . قيلَ : الطَّمعُ طبعٌ ، والطَّمعُ يُدنِّسُ الإهابَ) اهـ[1]

قالَ في « الحِكَمِ العطائِيَّةِ » : (ما بسقتْ أَغصانُ ذُلٍّ إلاَّ علىٰ بذر طمع) .

قالَ شارحُها ابن عبَّاد : (والطَّمعُ مِنْ أَعظمِ آفاتِ النُّفوسِ وعيوبها القادحةِ في عبوديَّتِها ، بل هوَ أَصلُ جميعِ الآفاتِ ؛ لأَنَّهُ محض تعلُّقٍ بالنَّاسِ والتجاءٍ إليهم ، واعتمادٍ عليهِم وعبوديَّةٍ لهُم ، وفي ذلكَ مِنَ الذِّلَّةِ والمهانةِ ما لا مزيدَ عليهِ ، ولا يحلُّ لمؤمنٍ أَنْ يُذلَّ نفْسَهُ .

والطَّمعُ مضادٌّ لحقيقةِ الإيمانِ الَّذي يقتضي وجودَ العزَّةِ ، والعزَّةُ الَّتي اتَّصفَ بها المؤْمنونَ إنَّما تكونُ برفعِ هممِهِم إلىٰ مولاهُم ، وطمأْنينةِ قلوبِهِم إليهِ ، وثقتِهِم بهِ دونَ مَنْ سواهُ ، فهٰذهِ هي العزَّةُ الَّتي منحَها اللهُ تعالىٰ عبدَهُ المؤْمِنَ ، حيثُ قالَ تعالىٰ : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ .

وكما أَنَّ العزَّةَ مِنْ صفاتِ المؤمنينَ . . كذلكَ الذِّلَّةُ مِنْ أَخلاقِ الكافرينَ والمنافقينَ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾) اهـ[2]

وقولُهُ : (حَكَيْتُهُ نَقْلاً عَنِ الثِّقَاتِ) تأْكيدٌ للزَّجرِ عنِ الاتِّصافِ بهٰذهِ الخصلةِ القبيحةِ .

---

(١) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف (ص٤٨٥) .
(٢) شرح الحكم (١/ ١٧٤) .

و(الثِّقَاتُ) جمعُ ثقةٍ ؛ وهُم : مَنْ يُعتَمَدُ عليهِ في القولِ والفعلِ .

وكلُّ ما جاءَ في ذمِّ الدُّنيا والطَّمعِ فيها والحرصِ عليها . . فهوَ واردٌ في ذمِّ الطَّمعِ .

ويقابلُ الطَّمعَ : الورعُ والزُّهدُ في الدُّنيا ، ففي الكتابِ المذكورِ[1] قالَ : (قدمَ عليُّ بنُ أَبي طالبٍ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ البَصْرةَ فدخل جامعَها ، فوجدَ القُصَّاصَ يقصُّونَ ، فأَقامَهُم ، حتَّىٰ جاءَ إِلى الحسنِ البصريِّ رضي الله عنه فقال له : يا فتىٰ ؛ إِنِّي سائِلُكَ عن أَمرٍ ، فإِنْ أَجبتني عليه . . أَبقيتُكَ ، وإِلاَّ . . أَقمتُكَ كما أَقمتُ أَصحابكَ ـ وقد كانَ رأَىٰ عليهِ سمتاً وهدياً ـ فقالَ الحسنُ : سَلْ عمَّا شئْتَ . فقالَ : ما ملاكُ الدِّينِ ؟ قالَ : الورعُ . قالَ : فما فسادُ الدِّينِ ؟ قالَ : الطَّمعُ . قالَ : اجلسْ فمثلُكَ يتكلمُ على النَّاسِ) اهـ[2]

* * *

(١) أي : « شرح الحكم » .

(٢) شرح الحكم (١/ ١٧٥) .

[تحذير الصبي من حب الذهب والفضة]

قالَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ :

أَيْضاً وَمِنْ حُبِّ ٱلذَّهَبْ وَٱلْفِضَّةِ	يُحَــذِّرُوهُ فَهْــوَ أَعْظَــمْ آفَــةِ	63
مِـنَ ٱلسُّمُـومِ ٱلْقَـاتِلَـةْ حُبُّهُمَـا	فَٱلرَّأْيُ تَحْذِيرُ ٱلصَّبِيِّ مِنْهُمَا	64

(أَيْضاً) بمعنىٰ : ارجعْ وحذِّرهُ عمَّا يغرسُ في قلبهِ بذرَ الخبائِثِ الَّذي يثمرُ رأْسَ كلِّ خطيئةٍ ، وهوَ حبُّ المالِ ، وحبُّ الدِّينارِ والدِّرهمِ ؛ ففي الخبرِ : « مَا تَرَكْتُ فِيكُمْ فِتْنَةً أَضَرَّ مِنَ الدُّنْيَا وَالنِّسَاءِ »[١] .

وورَدَ أَيضـاً : (أَنَّ عِجْـلَ هـٰذهِ الأُمـةِ الـدِّينـارُ والـدِّرهـمُ)[٢] . وصدقَ اللهُ وصدقَ رسولُهُ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الَّذي لا ينطقُ عنِ الهوىٰ ، فهـٰذا مِنَ الإِخبارِ بالمغيَّباتِ ، ومِنَ الآياتِ الظَّاهراتِ[٣] .

---

(١) أخرج نحوه البخاري (٥٠٩٦) ، ومسلم (٢٧٤٠) عن سيدنا أسامة بن زيد رضي الله عنهما .

(٢) أخرج نحوه الديلمي في « الفردوس » (٥٠١٩) عن سيدنا حذيفة رضي الله عنه .

(٣) أخرج البخاري (٢٨٨٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « تعس عبد الدينار والدرهم ، والقطيفة والخميصة ؛ إن أعطي . . رضي ، وإن لم يعط . . لم يرضَ » . وأخرج الحاكم في « المستدرك » (٤/٣١٢) بسند فيه ضعف عن سعد بن طارق عن أبيه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعمت الدار الدنيا لمن تزوَّد منها لآخرته حتىٰ يُرضي بها ربه عز وجل ، وبئست الدار لمن صدَّته عن آخرته وقصرت به عن رضاء ربه ، وإذا قال العبد : قبَّح الله الدنيا . . قالت الدنيا : قبَّح الله أعصانا لربه» .

وكذا قولُهُ لعمرَ رضيَ اللهُ عنهُ في حديثِهِ الطَّويلِ لمَّا اعتزلَ نساءَهُ وآلىٰ منهنَّ ، وكانَ قد دخلَ عليهِ في المَشربةِ[1] ، ورأىٰ الحصيرَ قد أثَّرَ في جَنْبِهِ الشَّريفِ، فقالَ : « لَيْسَ مِنْ هَـٰذَا أَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ ، إِنَّمَا أَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ حِينَ تُوَسَّعُ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا ، فَتَتَنافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا مَنْ قَبْلَكُم ، فَتُهْلِكَكُم كَمَا أَهْلَكَتْهُم » هـٰذا معنى الحديثِ، وهوَ مذكورٌ في « البخاريِّ »[2] .

قالَ الحجَّةُ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ : (ويُمنعُ مِنْ أَنْ يأْخذَ مِنَ الصِّبيانِ شيئاً بدا لهُ ؛ حشمةً إِنْ كانَ مِنْ أَولادِ المحتشمينَ ، بلْ يُعلَّمُ أَنَّ الرِّفعةَ في العطاءِ لا في الأَخذِ ، وأَنَّهُ لؤْمٌ وخِسَّةٌ ، وإِنْ كانَ مِنْ أَولادِ الفقراءِ. . فيُعلَّمُ أَنَّ الأَخذَ والطمع مهانةٌ ومذلَّةٌ ، وأَنَّ ذلكَ مِنْ دأبِ الكلبِ[3] ؛ فإِنَّهُ يبصبصُ في انتظارِ لقمةٍ[4] .

وبالجملةِ : يُقبَّحُ إلى الصِّبيانِ حبُّ الذَّهبِ والفضَّةِ والطَّمعُ فيهما ، ويُحذَّرُ منهُما أَكثرَ مِنَ التَّحذيرِ مِنَ العقاربِ والحيَّاتِ ؛ فإِنَّ آفةَ حُبِّ الذَّهبِ والفضَّةِ والطَّمعِ فيهِما أَكثرُ مِنْ آفةِ السُّمومِ القاتلةِ للصِّبيانِ ، بلْ وعلى الأَكابرِ أَيضاً) اهـ[5]



(١) المشربة : الغرفة .
(٢) حديث الحصير أخرجه البخاري (١٤٧٩) ، وأخرج أيضاً حديث التنافس في الدنيا (٤٠١٥) .
(٣) في (أ) : (من أدب الكلب) ، وفي (ب) : (من آداب الكلب) والمثبت من «إحياء علوم الدين» .
(٤) يبصبص : يحرك ذنبه ، قال الأحنف بن قيس : إذا بصبص الكلب لك. . فثق بودٍّ منه ، ولا تثق ببصابص الناس ؛ فربَّ مبصبصٍ خوَّان .
(٥) إحياء علوم الدين (٣/ ٧٣) .

[أدب الصبي مع إخوانه وأصحابه]

قالَ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ :

65 وَيُكْـرِمُ ٱلإِخْـوَانَ بِـٱلتَّـأَدُّبِ	وَكُلَّ مَنْ عَاشَرَهُ مِنْ صَاحِبِ
66 وَأَنْ يُـوَسِّـعْ لِلَّـذِي يَـأْتِيـهِ	مَجْلِسَـهُ ٱلَّـذِي ٱسْتَقَـرَّ فِيـهِ
67 وَيُكْـرِمَ ٱلْـوَاصِـلَ بِـٱلْقِيَـامِ	لِأَنَّـــهُ مِـــنْ أَدَبِ ٱلْكِـــرَامِ
68 وَيَسْتَمِـعْ كَـلَامَ كُـلِّ عَـاقِـلِ	وَيُحْسِنَ ٱلإِصْغَا لِقَوْلِ ٱلْقَائِلِ

ذَكَرَ في هٰذهِ الأَبياتِ جملةً مِنَ الآدابِ المسنونةِ ؛ وهيَ :

إكرامُ الإخوانِ المؤْمنينَ ؛ وهُم : الَّذينَ صحبَهم للهِ وعلىٰ طاعةِ اللهِ ؛ كإِخوانهِ وأَقرانهِ في المكتبِ والمدرسةِ والرِّباطِ ، وكلِّ صحبةٍ فيها إعانةٌ علىٰ خيرٍ ، أَو معاشرةِ سفرِ حجٍّ أَو غيرهِ ، أَو جيرةٍ ، أَو غيرِ ذلكَ ، فيوقِّرُ كبيرَهُم ، ويرحمُ صغيرَهُم ، ويشكرُ محسنَهُم ، ويتجاوزُ عن مسيئِهِم ، ويحفظُ عهدَهُم ، ويبالغُ في سترِ عوراتِهم ، ويسعىٰ في حوائِجهم .

(وَأَنْ يُوَسِّع) للدَّاخلِ منهُم في المجلسِ ؛ للأَمرِ بهِ في الكتابِ العزيزِ (١) .

---

(١) في قوله تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ﴾ .

(وَ) أَنْ (يُكْرِمَ الْوَاصِلَ) منهُم إِليهِ (بالْقِيَام) لَهُ ، لا سيَّما إذا كانَ فوقَهُ في سنٍّ أَو مرتبةٍ[1] ، وكذا كلُّ مَنْ لَهُ فضيلةٌ ظاهرةٌ ؛ كنحوِ صلاحٍ ، أَو عِلمٍ ، أَو ولادةٍ ، أَو ولايةٍ مصحوبةٍ بصيانةٍ .

وأَفتى النَّوويُّ بكراهةِ الانحناءِ بالرَّأْسِ[2] ، وتقبيلِ نحوِ الرَّأْسِ أَو يدٍ أَو رجلٍ ، لا سيَّما لنحوِ غنيٍّ ؛ لحديثِ : « مَنْ تَوَاضَعَ لِغَنِيٍّ . . ذَهَبَ ثُلُثَا دِينِهِ »[3] .

ويندبُ ـ أَي : التَّقبيلُ المذكورُ ـ لنحوِ صلاحٍ أَو عِلْمٍ أَو شرفٍ[4] ؛

---

(١) للإمام النووي رحمه الله ونفع به كتابٌ في هـٰذه المسألة ، سماه : « الترخيص بالقيام لذوي الفضل والمزية من أهل الإسلام » طبع عدة مرات .

(٢) قال الإمام النووي في « المسائل المنثورة » (٦٩ـ٧٠) : (**مسألة عن حكم الانحناء** : هو مكروه كراهة شديدة ، وقد ثبت عن أنس رضي الله عنه قال : قال رجل : يا رسول الله ؛ الرجل منا يلقىٰ أخاهُ أو صديقه ، أينحني له ؟ قال : « لا . . . » الحديث رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن . فهـٰذا حديثٌ صريحٌ في النهي عنه ولم يأت له معارض ، فلا مصير إلىٰ معارضته) اهـ ، وينظر تعليقات الشيخ محمد الحجار علىٰ « الفتاوىٰ » فهي مهمة ومفيدة .

(٣) أخرج البيهقي نحوه في « الشعب » (٩٥٧٢) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه .

(٤) التقبيل مندوب لمن ذُكِر ، والأصل فيه : الحديث الصحيح الثابت ـ حديث وفد عبد القيس ـ الذي أخرجه غير واحدٍ من الحفَّاظ ؛ وهو : عن أم أبان بنت الوازع بن الزارع أن جدها الزارع انطلق في وفدٍ إلىٰ رسول الله صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مع أشجّ عبد القيس ، قالت : قال جدي : (فلما قدمنا المدينة . . قيل : هـٰذا رسول الله صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فما ملكنا أنفسنا أن وثبنا عن رواحلنا فجعلنا نُقبِّل يديه ورجليه . . .) الحديث أخرجه الحافظ ابن المقري (ت٣٨١هـ) بسنده في جزء « تقبيل اليد » (٢٠) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٩٧٥) ، و« التاريخ الكبير » (٣/ ٤٤٧) . وأبو داوود (٥٢٢٥) ومن طريقه ابن الأعرابي في « القبل » (٤١) والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٧/ ١٠٢) وغيرهم .

وحديث الوفد ثابت في « الصحيحين » من غير ذكر التقبيل ، ويروىٰ مختصراً ومطولاً كما هنا .

=

لأنَّ أَبا عبيدةَ قبَّلَ يدَ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ[1] ، وكذا تقبيلُ الأَبوينِ .

وفي كتابِ : (الصُّحبةِ والمعاشرةِ) في ذِكرِ الحقوقِ ، قالَ : (ومِنها : أَنْ يزيدَ في توقيرِ مَنْ تدلُّ هيئَتُهُ وثيابُهُ علىٰ علوِّ منزلتهِ ، فيُنزلُ النَّاسَ منازلَهُم ؛ رويَ أَنَّ عائشةَ رضيَ اللهُ عنهَا كانت في سَفَرٍ ، فنزلَتْ منزلاً فوضعتْ طعامَها ، فجاءَ سائِلٌ ، فقالتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنهَا : ناولوا هـٰذا المسكينَ قرصاً . ثمَّ مرَّ رجلٌ علىٰ دابَّةٍ ، فقالت : ادعوهُ إِلى الطَّعامِ .

فقيلَ لَها : تعطينَ المسكينَ وتدعينَ هـٰذا الغنيَّ ؟!

فقالتْ : إِنَّ اللهَ تعالىٰ أَنزلَ النَّاسَ منازلَ فلا بُدَّ لنا أَنْ ننزلَهُم تلكَ المنازلَ ، هـٰذا المسكينُ يرضىٰ بقرصٍ ، وقبيحٌ بنا أَنْ نعطيَ هـٰذا الغني علىٰ هـٰذهِ الهيئَةِ قرصاً .

= وقد أفرد كثيرٌ من الحفاظ مسألة التقبيل ، منهم : الحافظ ابن المقري أبو بكر بن زاذان الأصبهاني ، والحافظ ابن الأعرابي ، وغيرهما ، وكتبهم مطبوعة . وللعلامة السيد عبد الله بن محمد الصديق الغماري (١٤١٣هـ) رسالة مفيدة ، سماها : « إتحاف النبيل » مطبوعة ومنتشرة .

(١) خبر تقبيل أبي عبيدة يد سيدنا عمر رضي الله عنهما يروىٰ عن تميم بن سلمة يرسله قال : (لما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام . . تلقاه أبو عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه ، فقبل أبو عبيدة يد عمر بن الخطاب ، فكانوا يرون أنها سنة ، ثم خَلَيا فجعلا يبكيان) أخرجه سفيان الثوري في « جامعه » كما في « فتح الباري » (١١/٥٧) ، ومن طريقه ابن أبي الدنيا في « الإخوان » (١٢٩) ، وابن الأعرابي في « القبل » (٨٢٤) ، والخرائطي في « مكارم الأخلاق » (ص١٩٠) ، وابن أبي الدنيا في « المكارم » (١٤٣) ينظر تحقيق جزء « تقبيل اليد » لابن المقرىء ، للأخ الفاضل أديب الكمداني الدمشقي (ص٨١) .

ورويَ عنهُ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : أَنَّهُ دخلَ بعضَ بيوتهِ ، فدخلَ عليهِ بعضُ أَصحابهِ حتَّىٰ غصَّ المجلسُ وامتلأَ ، فجاءَ جريرُ بنُ عبدِ اللهِ البَجَليُّ فلَم يَجدْ مكاناً ، فقعدَ على البابِ ، فأَخذَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ رداءَهُ فألقاهُ إليهِ ، وقالَ : « اجْلِسْ عَلَىٰ هَـٰذَا » فأَخذَهُ جريرٌ ووضعَهُ علىٰ وجههِ ، وجعلَ يُقبِّلُهُ ويبكي ، ثمَّ لفَّهُ ورمىٰ بهِ إلى النَّبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وقالَ : ما كنتُ لأَجلسَ علىٰ ثوبكَ ، أَكرمكَ اللهُ كما أَكرمتني ، فنظرَ النَّبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يميناً وشمالاً ، ثمَّ قالَ : « إِذَا أَتَاكُم كَرِيمُ قَوْمٍ . . فَأَكْرِمُوهُ »[1] ، وكذا كلُّ مَنْ لَهُ عليهِ حقٌّ . . فليُكرمْهُ) اهـ[2]

(وَ) مِنَ الآدابِ : أَنْ (يَسْتَمع كَلاَمَ كُلِّ عَاقِلٍ) أَي : وهوَ مَنِ اتَّصفَ بالعقلِ الَّذي هوَ زينةُ الإنسانِ ؛ فإِنَّهُ إذا استمَعَهُ ـ أَي : كلامَ العاقلِ ـ . . انتفعَ بهِ .

وكذا مِنَ الآدابِ : أَنْ يصغي إِلىٰ قولِ كلِّ قائلٍ ، ويُقبلَ عليهِ ولا يعارضهُ ، ويَجْتَنِبَ معَ ذلكَ كلِّهِ المراءَ والجدالَ لجليسهِ ، وكلَّ ما يورثُ الحقدَ والوحشةَ .

وينبغي أَنْ يكونَ جميعُ ما يعاملُ بهِ إِخوانَهُ وأَصحابَهُ وذوي الحقوقِ عليهِ للهِ تعالىٰ ، لا لغرضٍ دنيويٍّ .

نَعَم ؛ نُقلَ عنِ ابنِ عبدِ السَّلامِ أَنَّهُ قالَ : (يُسنُّ القيامُ ـ أَي : وسائِرُ

(١) أخرج نحوه الحاكم في « المستدرك » (٤/ ٢٩١ـ ٢٩٢) .
(٢) إحياء علوم الدين (٢/ ١٩٨) .

أَنواعِ الإِكرامِ ـ لِمَنْ يرجو خيرَهُ ، أَو يخشىٰ شرَّهُ ولو كافراً خشيَ منهُ ضرراً عظيماً)[1] .

ويحرمُ على الرَّجلِ أَنْ يُحبَّ قيامَهُم لَهُ ؛ لخبرِ : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ النَّاسُ قِيَاماً . . فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ »[2] .

* * *

(١) قال العز بن عبد السلام في « فتاويه » (٤٠٢ـ٤٠٤) : (لا بأس بالقيام لمن يُرجىٰ خيره أو يُخاف شره من أهل الإِسلام ، أما الكفار . . فلا يقام لأحدٍ منهم ؛ لأنا أُمرنا بإِهانتهم وإِلزامهم بإِظهار الصَّغَار ، وكيف يُفعل ذلك بمن يكذب الله تعالىٰ ورسوله صلى الله عليهِ وسلَّمَ ؟! فإِن خفنا من شرهم ضرراً عظيماً . . فلا بأس بذلك ؛ لأن التلفظ بكلمة الكفر جائزٌ عند الإِكراه) اهـ

(٢) أخرجه الطبراني في « الكبير » (١٩/٣٥١) عن سيدنا معاوية رضي الله عنه ، وأخرجه في « الأوسط » (٤٢٢٠) عن سيدنا عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه .

[تحذير الصبي من الفخر وتعليمه احترام الوالدين ونحوهما]

قالَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ :

69 لاَ يَفْتَخِـرْ بِمَطْعَـمٍ وَمَشْـرَبِ	وَلاَ بِشَـيْءٍ صَـارَ مِنْ مِلْـكِ ٱلأَبِ[1]
70 ثُـمَّ لِيُعَظِّـمْ غَـايَـةَ ٱلإِعْظَـامِ	مَـنْ كَـانَ ذَا جَـاهٍ مِـنَ ٱلأَنَـامِ
71 وَالْـوَالِـدَيْـنِ ٱلْكُـلَّ وَٱلْمُـؤَدِّبَـا	وَٱلأَقْـرَبِيـنَ نِسْبَـةً وَٱلصَّـاحِبَـا

أَي : يزجرهُ عن أَنْ يفتخرَ بمطعمٍ أَو ملبسٍ أَو مشربٍ ، أَو غيرِ ذلكَ مِنْ وجوهِ التَّرفُّهاتِ ؛ الَّتي يرىٰ ضعافُ العقولِ أَنَّها مِنَ الخصوصياتِ ، الَّتي يَفضلُ بها الشَّخصُ علىٰ غيرِهِ ، بل هي عندَ ذوي العقولِ نقصٌ ، وذِكرُها والافتخارُ بها خساسةٌ .

بل ذَكروا مِنَ السُّنَّةِ : أَنْ يُخفيَ الجارُ كلَّ ما لا يقدرُ عليهِ جيرانُهُ لأَولادِهِم مِنْ فاكهةٍ وغيرِها[2] ، ويأَمرَ أَولادَهُ بعدمِ إِظهارِها والتَّحدُّثِ

---

(١) في (ب) : (ولا بشيءٍ كان . . .) .

(٢) الأصل في النهي : ما أخرجه البيهقي في « الشعب » (٩١١٣) ، والطبراني في « مسند الشاميين » (٢٤٣٠) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « أتدرون ما حق الجار ؟ » وفيه : « وإذا اشتريت فاكهةً . . فأهد له ، فإن لم تفعل . . فأدخلها سراً ، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده » .

بها ؛ فإنَّ ذلكَ مِنَ الإيذاءِ ، والإيذاءُ بالصَّدقةِ مذمومٌ ، فمعَ منعِ ما يُطلبُ بذلُهُ منها يكونُ أَشدَّ وأَقبحَ .

قالَ الغزاليُّ رضيَ اللهُ عنهُ : (ويُمنعُ مِنْ أَنْ يفتخرَ علىٰ أَقرانهِ بشيءٍ مِمَّا يملكُهُ والدُهُ ، أَو بشيءٍ مِنْ مطاعمهِ وملابسهِ ، أَو لوحهِ ودَواتهِ ، ويُعوَّدُ التَّواضعَ والإكرامَ لكلِّ مَنْ عاشرَهُ ، والتَّلطُّفَ في الكلام معَهُم) اهـ[1]

وقوله : (ثُمَّ لِيُعَظِّمْ غَايَةَ ٱلإِعْظَامِ مَنْ كَانَ ذَا جَاهٍ مِنَ ٱلأَنَامِ) أَي : فيُعظِّمُ لكلِّ أَهلِ المراتبِ ، لا سيَّما أَهلُ الدِّينِ مِنْ عالمٍ وصالحٍ ، ووَرِعٍ وتقيٍّ ، ووالديهِ ـ وفضائِلُ برِّهما والقيامِ بحقوقِهما غيرُ منحصرةٍ ، وتفصيلُ حقوقِهما مذكورٌ في كتبِ الرَّقائِقِ من الحديثِ وغيرِهِ[2] ـ وكذا المعلِّمُ والشَّيخُ ، والأَقربونَ والأَصحابُ ؛ فإنَّهُ لا يقومُ بحقوقِهم إلاَّ مَنْ يتَّقي اللهَ تعالىٰ ، ويكونُ ذلكَ معَ قصدِ امتثال أَمرِ اللهِ تعالىٰ ، وابتغاءِ مرضاتهِ ، والتَّخلُّقِ بالرَّحمةِ الَّتي ندبَ العبادَ إِليها : « فَالرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَـٰنُ »[3] .

* * *

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٧٣) .

(٢) ويكفي في ذلك قوله تعالىٰ في (سورة الإسراء) : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۞ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ ، والآيات في هـٰذا كثيرة ، وكذا الأحاديث .

(٣) أخرجه أبو داوود (٤٩٤١) ، والترمذي (١٩٢٤) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، وهو الحديث المسلسل بالأولية .

قالَ رحمَهُ اللهُ :

فصلٌ

[تشجيع الصبي بمكافأته عند ظهور الجميل منه وعكسه]

72 وَإِنْ ظَهَرْ فِعْلُ ٱلْجَمِيلِ مِنْهُ ... فَيَنْبَغِي بِأَنْ يُجَازَىٰ عَنْهُ

73 وَأَنْ يُبَجَّلْ قَدْرُهُ وَيُمْدَحُ ... بِمَا بِهِ بَيْنَ ٱلأَنَامِ يَفْرَحُ

أَي : إِذا ظهرَ منهُ فعلٌ جميلٌ ؛ كجودةِ قراءةٍ ، أَو تخلُّقٍ بخلُقٍ كريمٍ . . مُدحَ ورُغِّبَ فيهِ ؛ ليزدادَ منهُ ويحرصَ عليهِ .

قالَ الغزاليُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ : (ثمَّ مهما ظهرَ مِنَ الصَّبيِّ خلقٌ جميلٌ وفعلٌ محمودٌ . . فينبغي أَنْ يُكرَمَ عليهِ ويُجَازىٰ عليهِ بما يفرحُ بهِ ، ويُمدحَ بينَ أَظهرِ النَّاسِ) اهـ[١]

* * *

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٧٣) .

[النهي سراً عن الأفعال الذميمة]

قالَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ :

74 وَإِنْ فَعَـلْ فِعْـلاً ذَمِيمـاً سِـرًّا　　فَيَنْبَغِـي أَلاَّ يُعَـاتَـبْ جَهْـرَا
75 وَلاَ يُذَمَّ بَيْنَ أَصْنَافِ ٱلْوَرَىٰ　　فَـإِنَّـهُ يُخْشَـىٰ بِـأَنْ يَتَجَـاسَـرَا
76 وَلاَ يُبَـالِـي بَعْـدَهُ بِـٱلْعَـذْلِ　　وَبِـالْمَـلاَمِ عِنْـدَ كُـلِّ فِعْـلِ
77 بَـلْ يَنْبَغِـي عِتَـابُـهُ بِحَيْـثُ لاَ　　يَعْلَـمْ عَلَيْـهِ أَحَـدٌ مِـنَ ٱلْمَـلاَ
78 يَقُولُ : هَـٰذَا ـ إِنْ عُلِمْ عَلَيْهِ ـ　　فَضِيحَـةٌ ، فَـلاَ تَعُـدْ إِلَيْـهِ
79 وَلاَ تُكَثِّـرْ عِنْـدَهُ ٱلْكَـلاَمَـا　　فَـإِنَّـهُ يُهَـوِّنُ ٱلْمَـلاَمَـا
80 يُخْشَىٰ بِأَنْ يَجْزِمْ وَلاَ يُبَالِي　　بِمَـا أَتَـاهُ بَعْـدُ مِـنْ فِعَـالِ

قالَ الحجَّةُ الغزاليُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ونفعَ بهِ : (فإِنْ خالفَ ذلكَ ـ أَي : ما ذُكر في شرحِ البيتينِ الأَوَّلينِ مِنَ الجميلِ ونحوِهِ ـ في بعضِ الأَحوالِ مرَّةً واحدةً . فينبغي أَنْ يتغافلَ عنهُ ، ولا يهتكَ سترَهُ ولا يُكاشِفه ، ولا يُظهرُ أَنَّهُ يتصور أَنْ يتجاسرَ أَحدٌ علىٰ مثلهِ ، لا سيَّما إذا سَتَرَهُ الصَّبيُّ واجتهدَ في إِخفائهِ ؛ فإِنَّ إِظهارَ ذلكَ ربَّما يزيدهُ جسارةً حتَّىٰ لا يبالي بالمكاشفةِ بعدَ ذلكَ .

فإِنْ عادَ ثانياً . فينبغي أَنْ يعاتبَ سرّاً ، ويُعظَّمَ لهُ الأَمرُ فيهِ ،

ويقالَ : إيّاكَ أَنْ يطلعَ عليكَ في مثلِ هٰذا فتفتضح بينَ النَّاسِ . ولا يكثرُ القولَ عليهِ بالعتابِ في كلِّ حينٍ ؛ فإنَّهُ يهوِّنُ عليهِ سماعَ الملامةِ وركوبَ القبائحِ ، ويُسقطُ وَقْعَ الكلامِ مِنْ قَلْبِهِ .

وليكنِ الأَبُ حافظاً هيبةَ الكلامِ معَهُ ، ولا يوبِّخُهُ إلاَّ أَحياناً ، وينبغي للأُمِّ أَنْ تخوِّفَهُ بالأَبِ ، وتزجرَهُ عنِ القبائحِ) اهـ[1]

قلتُ : وينبغي أَنْ تُستعملَ هٰذهِ الآدابُ مِنَ الأَكابرِ للأَصاغرِ مِنَ الرِّجالِ والنِّساءِ الكاملينَ في التَّجاسرِ والإخفاءِ بما ذُكرَ ، فهوَ مِنَ السِّياسةِ الأَدبيَّةِ المؤَثِّرةِ ، واختارَ الأَكثرُ مِنَ الصُّوفيَّةِ البقاءَ معَ صحبةِ مَنْ حصلتْ منهُ هفوةٌ بمعصيةٍ لرجاءٍ ؛ عسىٰ أَنَّه يستحيي فيرجعَ ويعودَ إلى التَّوبةِ ، وإذا هُجرَ . . ربَّما تجاسرَ وخلعَ برقعَ الحياءِ ، وأَصرَّ علىٰ ما قارفَهُ ، وازداد مِنْ فعلهِ .

* * *

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٧٣) .

[تحذير الصبي من عادات قبيحة كالكذب والسرقة وغيرهما]

قالَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ :

81 يُحَذِّرُوهُ غَايَةَ ٱلتَّحْذِيرِ مِنَ ٱلْكَذِبْ وَٱلْفُحْشِ وَٱلْفُجُورِ

82 وَسِرْقَةٍ وَٱلأَكْلِ لِلْحَرَامِ فَإِنَّهُ مِنْ مُوجِبِ ٱلآثَامِ

قالَ الحجَّةُ قدَّسَ اللهُ سرَّهُ : (ويُخَوَّفُ منَ السَّرقةِ وأَكلِ الحرامِ ، ومِنَ الكذبِ والخيانةِ والفحشِ ، وكلِّ ما يغلبُ على الصِّبيانِ) اهـ[١]

وقد مرَّ ذِكرُ الكذبِ والخيانةِ في التَّحذيرِ عن مجالسةِ مَنْ يرتكبُ ذلكَ لئَلاَّ يألفَهُ، وهٰذا المرادُ مباشرتُهُ لما ذكرَ. وقد مرَّ تعريفُ الكذبِ والخيانةِ[٢] .

وأَمَّا الفحشُ . . فهوَ : ما جاوزَ الحدَّ ، ومنهُ مادَّةُ الفحشاءِ ؛ وهيَ : ما عظُمَ قبحُهُ مِنَ الأفعالِ والأقوالِ .

وأَمَّا الفجورُ . . فقالَ في « التَّوقيفِ » : (هوَ هيئَةٌ حاصلةٌ للنَّفْسِ ، بها يباشرُ الأُمورَ علىٰ خلافِ الشَّرعِ والمروءةِ . ويقالُ : إِنَّهُ أَيضاً شقُّ سترِ الدِّيانةِ) اهـ[٣]

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٧٤) .

(٢) انظر ما تقدم (ص ١٠٨) .

(٣) « التوقيف علىٰ مهمات التعاريف » (ص٥٥٠ـ ٥٥١) .

وأَيضاً يُحذِّرهُ مِنْ بقيَّةِ آفاتِ اللِّسانِ ؛ مثل :

الغِيبةِ ؛ وهي : ذكركَ أَخاكَ بما يكرهُ .

والنَّميمةِ ؛ وهيَ : نقلُ الكلامِ بينَ شخصينِ بقصدِ الإِفسادِ .

والسُّخريةِ والاستهزاءِ ؛ وهيَ : ما فيهِ إزراءٌ بالعقلِ والاستخفافُ بهِ حسّاً ومعنىً . وقد نُهيَ عنِ الاستخفافِ بالمسلمِ والضَّحكِ عليهِ والاستهزاءِ بهِ ، فهوَ مذمومٌ شرعاً وعقلاً .

فكلُّ هٰذهِ وردَ التَّشديدُ في ارتكابِها والعملِ بها ، وذمُّ فاعِلها وتأْثيمُهُ وعصيانُهُ .

وكذا يحذِّرهُ عن باقي المحرَّماتِ ؛ مثل : الرِّياءِ بالعملِ الصَّالحِ الأُخرويِّ ، ويُعرِّفُهُ بأَنَّهُ الشِّركُ الخفيُّ ، وشيمةُ العبدِ الدَّعيِّ .

والزِّنا ، واللِّواطِ ؛ وهوَ : الإتيانُ في الدُّبرِ ولو لحليلتهِ[1] .

والنَّظرِ إلىٰ غيرِ المَحْرَمِ ، ولمسِها ، والخلوةِ بها ، وإِلى المَحْرَمِ بشهوةٍ ، ومثلُها الأَمردُ الحسنُ .

والسَّرقةِ ؛ وهيَ : اختلاسُ مالِ الغيرِ بغيرِ حقٍّ بخفيةٍ ، فهيَ حرامٌ ، وكذا أَكل المحرَّمِ مِنْ مأْخوذٍ بمعاملةٍ حرامٍ ؛ كالرِّبا والاحتكارِ وسائِرِ العقودِ الفاسدةِ ، والغصبِ ، والأَكلِ مِنْ مالِ السَّلاطينِ الَّذينَ لا يُعرفُ لهُم مالٌ حلالٌ ، أَو أَكثرُ مالِهم حرامٌ .

---

(١) في (أ) : (وهو : مباشرة الإنسانِ الدبرَ . . .) .

ومثل أَكلِ أَموالِ السَّلاطينِ : أَموالِ الأَوقافِ والاستيلاء عليها بغيرِ حقٍّ . وكذا أَموالُ اليتامىٰ ؛ فقد وردَ الكتابُ العزيزُ والسُّنَّةُ الطَّاهرةُ بحرمةِ جميعِ ذلكَ ، وأَنَّهُ لا يثبتُ معهُ عملٌ صالحٌ ، نسأَلُ اللهَ العافيةَ مِنْ جميعِ الموبقاتِ[1] .



---

(١) وأكل مال اليتيم من السبع الموبقات ، أخرج ابن حبان (٥٥٦٦) عن سيدنا أبي برزة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يبعث يوم القيامة قومٌ من قبورهم تأجج أفواههم ناراً » فقيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : « ألم تر الله يقول : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾ ؟! » .

[ما يجب على الصبي معرفته عند بلوغه]

قالَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ :

83 فَإِنْ أَتَىٰ وَقْتُ ٱلْبُلُوغِ وَٱلصَّبِي ... بِهَـٰذِهِ ٱلأَشْيَا خَبِيرٌ لاَ غَبِي
84 يُعَـرِّفُـوهُ مَقْصِـدَ ٱلأَشْيَـاءِ ... لِمُـدَّةِ ٱلـدُّنْيَـا وَلِـلأُخْـرَاءِ
85 وَأَنَّ كُـلَّ عَيْـشٍ لِـلإِنْسَـانِ ... عَـوْنٌ عَلَـىٰ عِبَـادَةِ ٱلـرَّحْمَـٰنِ

أَي : إِذا أَتىٰ وقتُ بلوغِ الصَّبيِّ وهوَ عارفٌ بما مرَّ مِنَ الواجباتِ والمحرماتِ . . يُنبَّهُ حينئذٍ علىٰ أَنَّ المقصودَ بهـٰذهِ الأَشياءِ ـ وهيَ اجتنابُ المحرَّماتِ وامتثالُ المأْموراتِ ـ مِنَ الإِنسانِ : انتظامُ أَمرِ المعادِ والمعاشِ ، وأَنَّهُ تعالىٰ لَم يَخلقْ نوعَ الإِنسانِ والجانِّ إِلاَّ ليعبدوهُ ويوحِّدوهُ .

وكمالُ التَّوحيدِ والعبادةِ لا يحصلُ إِلاَّ بالاحترازِ عن كلِّ ما حظرَهُ الشَّرعُ ، والحرصِ والرَّغبةِ في كلِّ ما ندبَ إِليهِ ، معَ الإِجلالِ والتَّعظيمِ للهِ تعالىٰ ولرسولهِ ، وسائرِ الأَنبياءِ والمرسَلينَ ـ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِم ـ وصحابةِ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وأَهلِ بيتهِ ، وأَوليائِهِ والمؤمنينَ ، وحُسنِ الظَّنِّ بهِم ، وتعظيمِ الشَّعائرِ ، مع اجتنابِ الشَّكِّ في اللهِ والإِياسِ مِنْ رحمةِ اللهِ والأَمنِ مِنْ مكرِ اللهِ ، وحُسنِ الرَّجاءِ

في الله ، وأَنَّ عيشَ الدُّنيا زائلٌ منقضٍ ، وإنَّما جُعلتِ الدُّنيا مطيَّةَ الآخرةِ ، وما فيها مِنَ الأَعراضِ إنْ أُخذَ بقصدِ التَّقوِّي علىٰ طاعةِ اللهِ . . فهوَ مِنْ زادِ الآخرةِ ، والاقتصارُ مِنْ متاعها علىٰ قدرِ الحاجةِ والضَّرورةِ شأْنُ العارفينَ مِنْ أَنبياءِ اللهِ وأَوليائِهِ .

قالَ الحجَّةُ الغزاليُّ قدَّسَ اللهُ روحَهُ ، بعدَ ذكرِ بعضِ ما سبقَ نقلُه : (فإذا وقعَ نشؤهُ كذلكَ في الصِّبا . . فمهما قاربَ البلوغَ أَمكنَ أَنْ يعرفَ أَسرارَ هـٰذهِ الأمورِ ؛ فيذكرُ لَهُ أَنَّ الأَطعمةَ أَدويةٌ ، وأَنَّ المقصودَ بها : أَنْ يقوى الإِنسانُ بها علىٰ عبادةِ اللهِ تعالىٰ .

وأَنَّ الدُّنيا كلَّها لا أَصلَ لَها ؛ إذ لا بقاءَ لها ، وأَنَّ الموتَ يقطعُ نعيمَها ، وأَنَّها دارُ ممرٍّ لا دارُ مقرٍّ ، وأَنَّ الآخرةَ دارُ مقرٍّ لا دارُ ممرٍّ ، وأَنَّ الموتَ منتَظَرٌ في كلِّ ساعةٍ ، وأَنَّ الكيِّسَ العاقلَ مَنْ تزوَّدَ مِنَ الدُّنيا للآخرةِ ؛ حتَّىٰ تعظمَ عندَ اللهِ درجتُهُ وتتَّسعَ في الجنانِ نعمتُهُ .

فإذا كانَ النُّشوء صالحاً . . كانَ هـٰذا الكلامُ عندَ البلوغِ واقعاً مؤَثِّراً ، ناجعاً نافعاً ، يثبتُ في قلبهِ كما يثبتُ النَّقشُ في الحجرِ) اهـ[1]

وهي جملةٌ تتضمَّنُ معنىً ما في هـٰذهِ الأَبياتِ الآتيةِ .

* * *

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٧٤) .

[بنيَّة العبادة تحصل السعادة]

قالَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ونفعَ بهِ :

86 أَقْوَىٰ لِذِي تَقْوَىٰ عَلَى ٱلْعِبَادَةْ وَهْيَ ٱلَّتِي تَحْصُلْ بِهَا ٱلسَّعَادَةْ

أَي : أَنَّ عيشَ الإنسانِ المؤْمنِ في الدُّنيا إنَّما هو مرادٌ للتَّقوِّي على عبادةِ اللهِ تعالىٰ وطاعتهِ ، فيكونُ حينئذٍ الأَكْلُ بهٰذهِ النِّيَّةِ عبادةً .

لَٰكِنْ إِذَا نَوَىٰ بِأَكْلِهِ ٱلْقُوَىٰ لِطَاعَةِ اللهِ لَهُ مَا قَدْ نَوَىٰ(1)

والطَّاعةُ : هي الَّتي تحصلُ بها سعادةُ الدَّارينِ ؛ إذ تعريفُ (السَّعادةِ) هيَ : معاونةُ الأُمورِ الإلٰهيَّةِ للإنسانِ علىٰ نيلِ الخيرِ ، وتُضَادُّها : الشَّقاوةُ . والمساعدةُ : المعاونةُ فيما يُظَنُّ بهِ السَّعادةُ .

❊ ❊ ❊

---

(1) من أبيات منظومة « صفوة الزبد » للعلامة ابن رسلان الرملي الشافعي رحمه الله تعالىٰ ، قال شيخ الإسلام الشمس الرملي رحمه الله تعالىٰ في « غاية البيان » (ص٢٦) : (أي : إن المكلف إذا نوىٰ بفعل المباح التقوّي لطاعة الله تعالىٰ . . له ما قد نوىٰ ، فيثاب عليه ، كأن نوىٰ بأكله المباحَ التقوّي على العبادة ، أو بنومه النشاط لها ، وكما يثاب على المباح إذا فعله بقصد التقوي على العبادة . . كذلك يأثم به إذا فعله للتقوّي على المعصية ، واللام في قوله « لطاعة الله » تعليلية ، أو بمعنىٰ « علىٰ » أو « في ») اهـ

[الموت عبرة لمن يعتبر]

قالَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ونفعَ بهِ :

87 وَٱلْمَوْتُ أَقْرَبُ كُلِّ شَيْءٍ يُنْتَظَرْ وَهَـٰذِهِ ٱلـدُّنْيَـا لَنَـا دَارُ مَمَـرّْ
88 وَٱلآخِـرَةْ دَارُ مَقَـرٍّ بَـاقِـي وَالآدَمِـي لِفِعْلِـهِ مُـلاَقِـي
89 فَيَنْبَغِـي ٱلتَّكْثِيـرُ لِلطَّـاعَـاتِ تَـزَوُّداً فِـي مُـدَّةِ ٱلْحَيَـاةِ

(وَالْمَوْتُ) ـ الَّذي هو : قطعُ الحياةِ الدنياوية ـ أَقربُ غائبٍ يُنتظرُ ؛ كما في الحديثِ[١] .

(والآخِرَةُ) الَّتي هي مِنْ بعدِ الموتِ ، والمرادُ بالآخرةِ هنا : هي دارُ النَّعيمِ والبقاءِ الدَّائِمِ والمُلكِ المقيمِ .

قالَ بعضُ العارفينَ : لو كانتِ الدُّنيا ذهباً فانياً ، والآخرةُ خزفاً باقياً . . لكانَ الخزفُ الباقي أَولىٰ بالسَّعي له والتَّحصيلِ والرَّغبةِ والطَّلبِ ، فكيفَ والأَمرُ بالعكسِ ؟!

فينبغي لهـٰذا : تكثيرُ الطَّاعاتِ في الدُّنيا الَّتي هي مزرعةُ الآخرةِ ،

---

(١) أخرج الترمذي (٢٣٠٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بادروا بالأعمال سبعاً : هل تنتظرون إلا فقراً منسياً ، أو غنىً مطغياً ، أو مرضاً مفسداً ، أو الدجال فشر غائبٍ ينتظر ، أو الساعة فالساعة أدهىٰ وأمر » .

فالعاقلُ مَنْ يتزوَّدُ مِنَ الدُّنيا للآخرةِ بالعملِ الصَّالحِ الَّذي يصحبُهُ ويؤْنِسُهُ في قبرِهِ ، ويومَ بعثهِ ونشرِهِ ، ويجوزُ بهِ على الصِّراطِ ، وتكونُ بهِ الدرجاتُ في الفراديس العُلا .

ويعينُ علىٰ دوامِ العملِ : استشعارُ قربِ الأَجلِ .

وأَمَّا طولُ الأَملِ . . فهوَ ممَّا ينشأُ عنهُ كثرةُ التسويف ، كما قيلَ : مَنْ طالَ أَملُهُ . . ساءَ عملُهُ[1] .

وبكثرةِ الطَّاعاتِ يزيدُ الإِيمانُ ، وتتنوَّرُ البصيرةُ ، ويصفو القلبُ الَّذي هو موضعُ نظرِ الرَّبِّ .

* * *

---

(١) أخرج البيهقي في « الزهد الكبير » (٤٦٨) : أن إبراهيم بن أدهم كتب إلىٰ سفيان الثوري : (من عرف ما يطلب . . هان عليه ما يبذل ، ومن أطلق بصره . . طال أسفه ، ومن أطلق أمله . . ساء عمله ، ومن أطلق لسانه . . قتل نفسه) . ولقد أحسن من قال : (من مجزوء الرجز)

قـل لـي إذا جـاء الأجـلْ : أيـن المفـرُّ يـا بطـلْ ؟!
يـا مـن بـدنيـاه اشتغـلْ وغَـرَّه طـول الأمـلْ
ألمـوت يـأتـي بغتـةً والقبـر صنـدوق العمـلْ

[نتيجة التربية الحسنة وثمرتها]

قالَ رحمهُ الله تعالىٰ :

90	وَحِينَمَا يَنْشُو ٱلْوَلَدْ مُؤَدَّبَا	يَكُونُ فِي بُلُوغِهِ مُهَذَّبَا
91	تُؤَثِّرُ ٱلأَشْيَا بِهِ فِي ٱلْقَلْبِ	تَأْثِيرَ حَدِّ ٱلسَّيْفِ عِنْدَ ٱلضَّرْبِ
92	وَتَنْتَقِشْ فِي قَلْبِهِ مَحَبَّةْ	لِرَبِّهِ وَطَاعَةٌ وَرَغْبَةْ
93	لِكُلِّ مَا يُدْنِي مِنَ ٱلْجِنَانِ	وَيَلْتَزِمْهَا دَائِمَ ٱلزَّمَانِ

أَي : أَنَّهُ إِذا نشأَ الولدُ (مُؤَدَّباً) بهٰذهِ الآدابِ المذكورةِ ، وصارتْ أَوقاتُهُ وساعاتُهُ بها معمورةً . . كانَ (فِي بُلُوغِهِ مُهَذَّباً) أَي : كانَ مطهَّرَ الأَخلاقِ ؛ بتحلِّيهِ بالأَخلاقِ الحميدةِ بعد أَنْ تخلَّىٰ مِنَ الأَخلاقِ المذمومةِ .

فالتَّطهرُ إِذا حصلَ مِنْ أَوَّلِ النُّشوءِ . . كانَ قلبُ الصَّبيِّ مع كمالهِ واعياً لقَبولِ الهدايةِ والخيرِ ، تؤَثِّرُ فيهِ الموعظةُ وتلازمُهُ الخشيةُ ، فيكونُ تأْثيرُ الموعظةِ بالأَمرِ والنَّهي حينَ تمرُّ عليهِ تؤَثِّرُ في قلبهِ كحدِّ السَّيفِ القاطعِ إِذا ضُربَ بهِ ، ثمَّ يبقىٰ ذلكَ منتقشاً في قلبهِ ، وتنتقشُ أَيضاً في قلبهِ محبَّةُ اللهِ تعالىٰ ، ومحبَّةُ طاعتهِ والرَّغبةُ فيها وكلِّ ما يعينُ علىٰ ذلكَ ويقرِّبُ إِلى اللهِ

تعالىٰ زلفىٰ ، ويُدني مِنَ الجِنانِ الَّتي هي محلُّ قربهِ والأُنسِ بهِ والنَّظرِ إلىٰ وجههِ الكريمِ .

ويَلتزِمُ ذلكَ دائِمَ الزَّمانِ بالكدحِ ابتغاءَ النُّجح ، قالَ تعالىٰ لصفوةِ خَلْقهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۞ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴾ .

فإذا حصلتِ المداومةُ علىٰ ذلكَ . . صارَ الكدُّ والنَّصَبُ نعيماً ورغباً ، كما كانتِ الصَّلاةُ قرَّةَ عينهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ لما يجدُ في المناجاةِ فيها مِنَ اللَّذةِ العظيمةِ .

وقد كانَ ثابتُ بنُ أَسلم البنانيُّ يقولُ بعد قيامهِ بالصَّلاةِ ليلاً : (اللَّهُمَّ ؛ إنْ كنتَ أَعطيتَ الصَّلاةَ أَحداً في قبرهِ . . فأَعطنيها) فلمَّا أُلحدَ . . رآهُ الَّذي أَلحدَهُ قائماً يصلِّي[1] .

وقالَ الآخَرُ : كابدتُ قيامَ اللَّيلِ عشرينَ سَنةً ، وتنعَّمتُ به عشرينَ سنةً .

* * *

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (١٥٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/٣١٩) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٥/٢٢٢) .

[عاقبة التربية السيئة]

قالَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ :

94 وَإِنْ وَقَعْ نَشْوُ ٱلْوَلَدْ بِغَيْرِ مَا ... قُلْنَا بِهِ أَضْحَىٰ كَذُوباً نَهِمَا

95 مُفَـاخِـراً مُبَـاهِيـاً لِلنَّـاسِ ... مُـلاَزِمـاً طَبَـائِـعَ ٱلْخِسَـاسِ

96 كَـلاَمَنَـا لِنَفْسِـهِ لاَ يَسْتَمِـعْ ... قَدْ صَارَ طَبْعُ ٱلشَّرِّ فِيهِ مُنْطَبِعْ

أَي : أَنَّـهُ إِذا (وَقَـعَ نُشُـوءُ) الصَّبـيِّ غيـرَ متـأَدِّبٍ بهـٰذِهِ الآدابِ الكريمةِ . . كانَ في طبعهِ وجهلهِ كالبهيمةِ ، لا يُقامُ لَهُ عندَ أَهلِ الخيرِ وزنٌ ، ولا تعتبرُ لَهُ قيمةٌ ، بل يُضحي متخلِّقاً بالأَخلاقِ الذَّميمةِ ، فيكونُ (كَذُوباً) أَي : كثيرَ الكذبِ .

(مُفَاخِراً) أَي : كثيرَ الفخرِ ؛ وهوَ : التَّطاولُ على النَّاسِ (مُباهِياً) لهُم ؛ أَي : بذِكرِ المكارمِ والمناقبِ ؛ مِنْ حسبٍ ونسبٍ وغيرِهما فيهِ أَو في آبائهِ .

(مُلاَزِماً) لـ (طَبَائِعِ الْخِسَاسِ) وهُم : الحقيرون بينَ النَّاسِ ؛ لدناءَةِ أَخلاقِهِم ، ورذالةِ طباعِهِم ، وسلبِ مروءاتِهِم ، فهو لِمَا انطبعَ مِنَ الشَّرِّ والخساسةِ ومواجهةِ قلبهِ إِلى الأَسفلِ الحضيضِ . . لا يقبلُ كلامَ

النَّاصحِ ، ولا يقبلُ وعظَ الواعظِ ، كما قالَ الشَّيخُ عبدُ اللهِ الحدَّادُ نفعَ اللهُ بهِ : [من البسيط]

إِنَّ ٱلْمَوَاعِظَ لاَ تُغْنِي أَسِيرَ هَوَىً … مُقَفَّلَ ٱلْقَلْبِ فِي حَيْدٍ عَنِ ٱلسَّنَنِ[1]

قالَ الحجَّةُ رضيَ اللهُ عنهُ : (وإنْ وقعَ النُّشوء بخلافِ ذلكَ حتَّىٰ أَلفَ الصَّبيُّ اللَّعبَ والفحشَ والوقاحةَ وشرهَ الطَّعامِ واللِّباسَ والتَّزيُّنَ والتَّفاخرَ . . نبا قلبُهُ عن قَبولِ الحقِّ نبوةَ الحائِطِ عنِ التُّرابِ اليابسِ) اهـ[2]

❊ ❊ ❊

---

(١) ديوان الإمام الحداد رحمه الله تعالىٰ (ص٥٠٦) .

(٢) إحياء علوم الدين (٣/ ٧٤) .

قالَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ونفعَ بهِ :

فَصْلٌ

[أمر الوالد ونصيحته بالاهتمام بأولاده]

97 فَيَنْبَغِـي لِلْـوَالِـدِ ٱلتَّعَنِّـي	بِكُـلِّ مَـا بِنْـتٍ وَكُـلِّ إبْـنِ
98 صَوْناً لَهُمْ عَنْ مُوجِبِ ٱلْمَآثِمِ	لاَ تُهْمِلُوا ٱلصِّبْيَانَ كَٱلْبَهَائِمِ

أَي : ينبغي للوالدِ ـ ومثلُهُ كلُّ قيِّمٍ ـ أَنْ يُعنىٰ بالولدِ مِنِ ابنٍ وبنتٍ ؛ بأَنْ يُحْفَظَ في صغرهِ عن جميعِ ما مرَّ ممَّا يضرُّهُ ، ويُعلِّمهُ ويأْمرهُ بكلِّ ما ينفعُهُ ، ويُحْفَظَ عنِ المآثمِ والمحرَّماتِ ، ويُعرِّفهُ أَنَّهُ بعدَ البلوغِ يدخلُ في التَّكليفِ ، فيُثابُ على الطَّاعةِ ، ويُعاقَبُ على المعصيةِ .

فإذا عرَّفَهُ بذلكَ . . كانَ فيهِ صونٌ عن موجباتِ الإثمِ ، وإنْ أُهمل إهمالَ البهائِمِ . . كان في ذلكَ هلاكُهُ في دنياهُ وعقباهُ .

قالَ سفيانُ بنُ عيينةَ : (لمَّا بلغتُ خمس عشرة سَنةً . . [دعاني أبي] فقالَ : يا سفيانُ ؛ قدِ انقطعتْ عنكَ شرائِعُ الصِّبا ، فاحفظِ الخيرَ تكنْ مِنْ أَهلهِ ، ولا يغرَّنَّكَ مَنِ اغترَّ باللهِ تعالىٰ فيمدحَكَ بما تعلمُ أَنتَ مِنْ نفسكَ خلافَهُ ؛ فإنَّهُ ما مِنْ أَحدٍ يقولُ في شخصٍ شيئاً مِنَ الخيرِ إذا رضيَ . . إلاَّ قالَ مثلَهُ مِنَ الشَّرِّ إذا سخطَ ، فاستأْنِسْ بالوحشةِ عن جلساءِ

السُّوءِ ، ولا تنقلْ حُسْنَ ظنِّي بكَ إلىٰ غيرِ ذلكَ ، ولا يَسعدُ بالعلماءِ إلاَّ مَنْ أَطاعَهُم .

قالَ سفيانُ : فجعلتُ وصية أبي قِبلةً أَميلُ إليها ، ولا أَميلُ عنها)
انتهىٰ مِنْ ترجمتهِ في كتابِ « مجمعِ الأَحبابِ »[1] .

ومِنَ المتأَكدِ على الوالدِ : أَنْ يُزوِّجَ ولدَهُ إِذا بلغَ ، ذَكراً كانَ أَوْ أُنثىٰ ، كما في نسخةٍ :

فَيِنْبَغِـي ٱلتَّـزْوِيـجُ لِـلأَبِ ٱلْغَنِـي   لِكُـــلِّ بِنْـــتٍ وَلِكُـــلِّ إِبْـــنِ

وذلكَ لخبرِ : « حَقُّ الْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِ : أَنْ يُحْسِنَ اسْمَهُ ، وَيُزَوِّجَهُ إِذَا أَدرَكَ ، وَيُعَلِّمَهُ الْكِتَابَ » أَخرجَهُ أَبو نعيمٍ في « الحليةِ » ، والديلميُّ في « مسندِ الفردوسِ » عن أَبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ مسنداً من طريقِ أَبي نعيمٍ[2] .

وخبرِ : « شِرَارُكُم عُزَّابُكُم »[3] .

و[خبر] : « رَكْعَتَانِ مِنْ مُتَأَهِّلٍ خَيْرٌ مِنْ سَبْعِينَ رَكْعَةً مِنْ غَيْرِ مُتَأَهِّلٍ » أَخرجَهُ ابنُ عديٍّ في « الكاملِ »[4] .

وخبرِ : « خِيَارُ أُمَّتِي الْمُتَزَوِّجُونَ »[5] .

---

(١) انظر « مجمع الأحباب وتذكرة أولي الألباب » للإمام محمد بن الحسن الواسطي رحمه الله تعالىٰ (٣/ ٤٢٣) .

(٢) حلية الأولياء (١/ ١٨٤) ، ومسند الفردوس (٢٦٧٠) .

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ١٦٣) وعبد الرزاق (١٠٣٨٧) عن سيدنا أبي ذر رضي الله عنه .

(٤) الكامل في ضعفاء الرجال (٧/ ١٦٣) .

(٥) أخرج نحوه الديلمي في « الفردوس » (٢٨٦٨) عن سيدنا حذيفة رضي الله عنه .

وخبرِ : « زَوِّجُوا الابْنَ لِسَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً » .

وخبرِ : « اضْرِبُوا الْوَلَدَ عَلَى الصَّلاَةِ لِسَبْعٍ ، وَاعْزِلُوا فراشَهُ لِتِسْعٍ ، وَزَوِّجُوهُ لِسَبْعَ عَشْرَةَ . فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ . . فَلْيُجْلِسْهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ لِيَقُلْ : لاَ جَعَلَكَ اللهُ عَلَيَّ فِتْنَةً » رواهُ ابنُ السُّنِّيِّ[1] .

وفي حديثٍ : « زَوِّجُوهُ لِثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً » .

وفي روايةٍ : « البنت » ، وفي أُخرىٰ : مطلق الولدِ .

فإِنْ أُريدَ بهِ البنتُ . . فلا يخالفُ ما هنا ؛ لأَنَّ البنتَ أَكثرُ شهوةً وأَقبحُ عورةً ، فاحتيطَ لها بطلبِ التَّزوُّجِ لسنٍّ أَقلَّ .

وإِنْ أُريدَ الأَعمُّ . . يُحمَل الاثنا عشر علىٰ أَنَّ بها يدخلُ طلبُ ذلكَ ؛ لقربهِ قرباً قد ناهزَ الاحتلامَ ، وبالتِّسعَ أَوِ السَّبعَ عشرَةَ سنة يتأَكَّدُ ذلكَ تأَكُّداً قويّاً ؛ لاشتدادِ الشَّهوةِ حينئذٍ ، وقوَّةِ هيجانِها في هـٰذا السِّنِّ . قالَهُ ابنُ حجرٍ في « الإِيضاحِ في أَحاديثِ النِّكاحِ »[2] .

وخبرِ : « مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَاةِ : مَنْ بَلَغَتِ ابْنَتُهُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً فَلَمْ يُزَوِّجْهَا . . فَإِثْمُ ذَلِكَ عَلَيْهِ » رواهُ الدَّيلميُّ وأَسندَهُ ولدُهُ عن عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ[3] .

* * *

---

(١) عمل اليوم والليلة (٤٢٦) .

(٢) ذكر العلامة ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالىٰ في « التحفة » (٧/١٨٣) أن اسم الكتاب « الإفصاح عن أحاديث النكاح » .

(٣) مسند الفردوس (٦٣٨٣) .

[المراد بوقاية النفس والأهل من النار]

قالَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ :

99 فَفِي كِتَابِ اللهِ: ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾	مَفْهُومُهُ : وَكُلَّ مَنْ يَلْزَمُكُمْ
100 أَرَادَ بِـالتَّفْقِيـهِ وَالتَّـأْدِيـبِ	وَكَثْـرَةِ التَّعْلِيـمِ وَالتَّهْـذِيـبِ

أَي : إنَّ في كتابِ اللهِ تعالى الأَمرَ بذلكَ في قولهِ : ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ .

فقولُهُ تعالىٰ : ﴿ قُوٓاْ﴾ : مِنَ الوقايةِ ؛ وهيَ : حفظُ الشَّيءِ عمَّا يؤْذيهِ ويضرُّهُ . والتَّوقِّي : جعلُ الشَّيءِ وقايةً ممَّا يُخافُ .

قالَ عطاءٌ : عنِ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما في قولهِ تعالىٰ : ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ : (أَي : بالانتهاءِ عمَّا نهاكُمُ اللهُ عنهُ ، والعملِ بطاعتهِ)[1] .

﴿وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ يعني : مروهُم بالخيرِ ، وانهَوْهُم عن الشَّرِّ ، وعلِّموهم وأَدِّبوهُم . . تقوهُم بذلكَ ناراً .

وأَخرجَ ابنُ عساكر بسندٍ منقطعٍ عنِ المقدادِ رضيَ اللهُ عنهُ عنِ النَّبيِّ

---

(١) انظر « الدر المنثور » (٨/ ٢٢٥) .

صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أَنَّهُ قالَ : « مَنْ كَانَ فِي مِصْرٍ مِنَ الأَمْصَارِ فَسَعَىٰ عَلَىٰ عِيَالِهِ فِي عُسْرِهِ ويُسْرِهِ . . جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ النَّبِيِّينَ ، أَمَا إِنِّي لاَ أَقُولُ : يَمْشِي [مَعَهُمْ] وَلَـٰكِنْ فِي مَنْزِلَتِهِمْ »(١) .

وفي « تنبيهِ الغافلينَ » لأَبي اللَّيثِ السَّمرقنديِّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ في ذِكرِ حقِّ الولدِ على الوالدِ : (رويَ عن عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ : أَنَّ رجلاً جاءَ إِليهِ بابْنِهِ ، فقالَ : إِنَّ ابني هـٰذا يَعقُّني .

فقالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ للابنِ : أَما تخافُ اللهَ مِنْ عقوقِ والدكَ ؟! فإِنَّ مِنْ حقِّ الوالدِ كذا ، ومِنْ حقِّ الوالدِ كذا .

فقالَ الابنُ : يا أَميرَ المؤمنينَ ؛ أَما للابن علىٰ والدهِ حقٌّ ؟!

قالَ : بلىٰ ، حقُّهُ عليهِ : أَنْ يستنخبَ أُمَّهُ ـ يعني لا يتزوَّج امرأَةً دنيئَةً ؛ لكيلا يكونَ للابنِ عارٌ بها ـ ويُحسنَ اسمَهُ ، ويُعلِّمَهُ الكتابَ .

فقالَ الابنُ : فواللهِ ما استنخبَ أُمِّي(٢) ، ما هيَ إِلاَّ سنديَّةٌ اشتراها بأَربعِ مئَةِ درهمٍ ، ولا حسَّنَ اسمي ، سمَّاني جُعَلاً(٣)! ولا علَّمني مِنْ كتابِ اللهِ آيةً واحدةً .

فالتفتَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ إِلى الأَبِ وقالَ : تقولُ : إِنَّ ابني يعقُّني ؟! فقد عققتَهُ قَبْلَ أَنْ يعقَّكَ ، فقُمْ عنِّي .

---

(١) تاريخ مدينة دمشق (٣٣/٣٤٨) .

(٢) في « تنبيه الغافلين » : (ما استنجب أمي) وكذا في التي قبلها .

(٣) الجعل : حيوان كالخنفساء يكثر في المواضع الندية ، ومن الناس : الأسود الدَّميم .

قالَ الفقيهُ : سمعتُ أَبي يحكي عن أَبي جعفرٍ السكندري[1] ـ وكانَ مِنْ علماءِ سمرقند ـ أَنَّهُ أَتاهُ رجلٌ ، وقالَ : إِنَّ ابني ضربني وأَوجعني .

فقالَ : سبحانَ اللهِ! ابنٌ يضربُ أباه ؟! قال : نعم ؛ قد ضربني وأوجعني .

فقالَ : هل علَّمتَهُ الأَدبَ وَالعِلْمَ[2] ؟ قالَ : لا .

قالَ : وهل علَّمتَهُ القرآنَ ؟ قالَ : لا .

قالَ : فأَيَّ عملٍ يعملُ ؟ قالَ : الزِّراعةَ .

قالَ : هل عَلِمتَ لأَيِّ شيءٍ ضربكَ ؟ قالَ : لا .

قالَ : فلعلَّهُ حينَ أَصبحَ وتوجَّهَ إلى الزرعِ وهوَ راكبٌ على الحمارِ والثِّيرانُ بينَ يديهِ والكلبُ مِنْ خلفهِ ، وهو لا يُحسنُ القرآنَ وكانَ يتغنَّىٰ ، وتعرَّضتَ لَهُ في ذلكَ الوقتِ فظنَّ أَنَّكَ بقرةٌ فضربكَ ، فاحمَدِ اللهَ تعالىٰ حيثُ لَم يكسرْ رأْسَكَ) اهـ[3]

* * *

---

(١) في « تنبيه الغافلين » : (أبي حفص الإسكندراني) .

(٢) في النسختين : (الأدب أو العلم) ، والمثبت من « تنبيه الغافلين » .

(٣) تنبيه الغافلين (ص١٣٠ـ ١٣١) .

[معنىٰ حديث : « كل مولود يولد على الفطرة »]

قالَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ :

101 وَفِي حَدِيثٍ لِلنَّبِيِّ ٱلْمُرْسَلِ مُحَمَّدِ ٱلْمُعَظَّمِ ٱلْمُبَجَّلِ

102 أَنَّ ٱلْوَلَدْ بِٱلْفِطْرَةْ ٱلإِسْلَامِيَّةْ يُولَدْ وَيَرْجِعْ بَعْدُ لِلْهُودِيَّةْ

103 يُهَوِّدَاهُ وَالِدَاهُ تَاعِسَا وَقَدْ يُنَصِّرَاهُ أَوْ يُمَجِّسَا

(وفي حديث) أَي : خبر عنِ النَّبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، أَشارَ بهِ إلىٰ قولهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ حَتَّىٰ يُعْرِبَ عَنْهُ لِسَانُهُ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ ، وَيُنَصِّرَانِهِ ، وَيُمَجِّسَانِهِ » أَخرجَهُ أَبو يعلىٰ ، والطَّبرانيُّ ، والبيهقيُّ عنِ الأَسودِ بنِ سريعٍ[1] .

قالَ الحجةُ الغزاليُّ رضيَ اللهُ عنهُ : (فأَوائِلُ الأُمورِ هي الَّتي ينبغي أَنْ تُراعَىٰ ؛ فإِنَّ الصَّبيَّ خُلقَ جوهرةً قابلاً للخيرِ والشَّرِّ جميعاً[2] ، فإِنَّما أَبواهُ يَميلانِ بهِ إِلىٰ أَحدِ الجانبينِ .

(١) مسند أبي يعلىٰ (٩٤٢) ، ومعجم الطبراني الكبير (١/٢٨٣) ، وسنن البيهقي الكبرىٰ (٦/٢٠٣) .

(٢) في « الإحياء » : (فإن الصبي بجوهره خُلقَ قابلاً . . .) .

قالَ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، وَإِنَّمَا أَبَواهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ »[1] .

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ التُّسْتَرِيُّ قدَّسَ اللهُ روحَهُ : كنتُ ابنَ ثلاثِ سنينَ ، وكنتُ أَقومُ بالليلِ أنظرُ إلىٰ صلاةِ خالي مُحَمَّدِ بنِ سوار ، فقالَ لي خالي يوماً : أَلا تذكرُ اللهَ الَّذي خلقكَ ؟ فقلتُ : كيفَ أَذكرهُ ؟

قالَ : قُلْ بقلبكَ عندَ تقلُّبكَ في منامكَ ثلاثَ مرَّاتٍ ، مِنْ غيرِ أَنْ تُحرِّكَ بهِ لسانَكَ : اللهُ معي ، الله ناظِري ، اللهُ شاهِدي .

فقلتُ ذلكَ ليالِيَ ، ثمَّ أَعلمتُهُ ، فقالَ : قُلْ كلَّ ليلةٍ تسعَ مرَّاتٍ . فقلتُ ذلكَ ثمَّ أَعلمتُهُ ، فقالَ : قل في كلِّ ليلةٍ إحدىٰ عشرةَ مرةً . فقلتُ ذلكَ ، فوقعَ في قَلبي حلاوتُهُ .

فلمَّا كانَ بعدَ سنةٍ . . قال لي خالي : احفظْ ما علَّمتُكَ ودُمْ عليهِ إلىٰ أَنْ تدخلَ القبرَ ؛ فإنَّهُ ينفعكَ في الدُّنيا والآخرةِ . فلم أَزَلْ علىٰ ذلكَ سنينَ فوجدتُ له حلاوةً في سِرِّي .

ثمَّ قالَ لي خالي يوماً : يا سهلُ ، مَنْ كانَ اللهُ معَهُ وهوَ ناظرٌ إليهِ وهوَ شاهدُهُ . . أَيعصيهِ ؟ إيَّاكَ والمعصيةَ .

فكنتُ أَخلو بنفسي ، فبعثوني إلى المكتبِ ، فقلتُ : إنِّي لأَخشىٰ أَنْ يتفرَّقَ عليَّ همِّي ، ولٰكنْ شارِطوا المعلِّمَ أَنِّي أَذهبُ إليهِ ساعةً فأَتعلَّمُ ثمَّ أَرجعُ .

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

فمضيتُ إلى الكتَّابِ ، وحفظتُ القرآنَ وأنا ابنُ ستٍّ سنينَ أو سبعِ سنينَ ، وكنتُ أصومُ الدَّهرَ وقُوتِي مِنْ خبزِ الشَّعيرِ اثنتي عشرةَ سَنةً ، فوقعَت لي مسألةٌ وأنا ابنُ ثلاثَ عشرةَ سَنةً ، فسألتُ أهلي أَنْ يبعثوا بي إلى البصرةِ أَسأَلُ عنها ، فجئْتُ البصرةَ وسأَلتُ علماءَها فلَم يَشْفِ أَحدٌ عنِّي شيئاً ، فخرجتُ إلىٰ عَبّادان إلىٰ رجلٍ يُعرفُ بأَبي حبيبِ حمزةَ بنِ عبدِ اللهِ العبَّادانيِّ ، فسأَلتُهُ عنها فأَجابني ، فأَقمتُ عندهُ مدَّةً أَنتفعُ بكلامهِ وأَتأَدَّبُ بآدابهِ . ثمَّ رجعتُ إلىٰ تُسْتَر فجعلتُ قُوتِي اقتصاداً ، أَشتري بدرهمٍ مِنَ الشَّعيرِ الفرق فيُطحنُ ويُخبزُ لي ، فأُفطرُ عندَ السَّحرِ كلَّ ليلةٍ علىٰ أُوقيَّةٍ واحدةٍ بَحْتاً بغيرِ ملحٍ ولا إدامٍ ـ وكانَ يكفيني ذلكَ الدِّرهمُ السَّنةَ ـ ثمَّ عزمتُ علىٰ أَنْ أَطويَ إلىٰ ثلاثِ ليالٍ ثمَّ أُفطر ليلةً ، ثمَّ أَطوي خمساً ثمَّ سبعاً ، ثمَّ خمساً وعشرينَ ليلةً ، وكنتُ علىٰ ذلكَ عشرينَ سنةً .

ثمَّ خرجتُ أَسيحُ في الأَرضِ سبعَ سنينَ ، ثمَّ رجعتُ إلىٰ تُسْتَر ، فكنتُ أَقومُ اللَّيلَ كلَّهُ) اهـ[1]

* * *

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٧٤) .

[مشاركة الوالدين للابن في الثواب والعقاب]

قالَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ :

104	فَـإِنْ هُمَـا سَـاقَـاهُ لِلصَّـوَابِ	يُشَـارِكَـاهُ ٱلْكُـلُّ فِـي ٱلثَّـوَابِ
105	فَإِنْ شَقِي وَضَاعَ مِنْ يَدَيْهِمَا	وَفَـرَّطَـا فَـوِزْرُهُ عَلَيْهِمَـا

(فَإِنْ هُمَا) أي : أَبواهُ (سَاقَاهُ) أَي : أَمراهُ ورغَّباهُ (لِلصَّوَابِ) أَي : إِلىٰ سلوكِ الصَّوابِ ؛ وهوَ لغةً : السَّدادُ ، وعُرفاً : الأَمرُ الثَّابتُ الَّذي لا يسوغُ إِنكارُهُ ، وقيلَ : مصادفةُ المقصودِ . فبذلكَ يشاركانهِ في الثَّوابِ بسببِ ما دلاَّهُ عليهِ مِنَ الخيرِ وربَّياهُ عليهِ ، فالدَّالُّ على الخيرِ كفاعلهِ .

وفي الخبرِ : « لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً . . خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ »[1] ، قيل : مثَّل النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ في هـٰذا بحمْرِ النَّعم ؛ لِعُظْمِ شأْنِ حُمرِ النَّعمِ ـ وهيَ الإِبلُ ـ عندَ العربِ ، وإِلاَّ . . فالشَّأْنُ أَعظمُ مِنْ ذلكَ .

قالَ في « شرحِ المهذَّبِ » : (فرعٌ : قالَ أَصحابُنا وغيرهُم : يُكتبُ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٩) عن سيدنا سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه بنحوه .

للصَّبيِّ ثوابُ ما يعملُهُ مِنَ الطَّاعاتِ ؛ كالطَّهارةِ والصَّلاةِ ، والزَّكاةِ والصَّومِ ، والاعتكافِ والحجِّ ، والقراءَةِ ، والوصيَّةِ والتَّدبير[1] ـ إذا صحَّحناهُما ـ وغيرِ ذلكَ مِنَ الطَّاعاتِ ، ولا تكتبُ عليهِ معصيةٌ بالإجماعِ .

ودليلُ هٰذهِ القاعدةِ : الأَحاديثُ الصَّحيحةُ المشهورةُ ؛ كحديثِ : أَلهٰذا حجٌّ ؟ قالَ : « نَعَمْ ، وَلَكِ أَجْرٌ »[2] . . . إلىٰ آخرِ ما قَالَهُ)[3] .

وإذا كانَ ذلكَ بالعكسِ ؛ كأَنْ ضيَّعاهُ وتركاهُ هَمَلاً بلا تعليمٍ ، وفرَّطا في أَمرِهِ بالواجباتِ وحفظهِ عنِ المحرَّماتِ . . فوزرهُ عليهما ؛ لإخلالِهما بما وجبَ عليهِما مِنَ الأَمرِ والنَّهي .

* * *

---

(١) في النسختين : (والنذر) بدل (والتدبير) والمثبت من « شرح المهذب » وهو الصواب ، والله أعلم .

(٢) رواه مسلم (١٣٣٦) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٣) المجموع شرح المهذب (٧/ ٣١) .

[الخاتمة]

قالَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ونفع به :

106 فَهَـٰذِهِ « رِيَـاضَـةُ ٱلصِّبْيَـانِ » جَمَعْتُهَـا مَنْظُـومَـةَ ٱلْمَعَـانِـي
107 مُفِيـــدَةً لِكُـــلِّ مَـــنْ رَآهَـــا وَدَبَّـــرَ ٱلأَشْيَـــا بِمُقْتَضَـــاهَـــا
108 وَٱللهُ يَهْـدِي ٱلْكُـلَّ لِلـرَّشَـادِ بِـهِ ٱسْتَعَنْـتُ فَهْـوَ خَيْـرُ هَـادِ

(فَهَـٰذِهِ) المشارُ إليهِ هوَ بارزٌ ، المرادُ بهِ : ما مرَّ مِنَ النَّظمِ لفظاً ومعنىً ، كما هوَ معتمدُهُ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ[١] . وأمَّا عندَ ابنِ حجرٍ . . فالمشارُ إليهِ هوَ ما في الذِّهنِ وإنْ كانَ قد تحيَّزَ وبرزَ[٢] .

(جَمَعْتُهَا) أي : أَلَّفتُها (مَنْظُومَةَ الْمَعَانِي) أي : مرتَّبةَ المعاني .

(مُفِيدَةً لِكُلِّ مَنْ رَآهَا) لأَنَّها تجدِّدُ للسَّامعِ ما يَعودُ إليهِ نفعُهُ ، لا سيَّما إذا تدبَّرَ ما فيها وعملَ (بِمُقْتَضَاهَا) .

وفي البيتِ الثَّالثِ جملةٌ دعائِيَّةٌ لائِقةٌ بالحالِ في قولهِ : (وَاللهُ يَهْدِي الْكُلَّ) أَي : الوليَّ والمولىٰ ، والدَّالَّ والمدلولَ ؛ لتتمَّ الفائدةُ

---

(١) « نهاية المحتاج » (١/٥٢) .
(٢) « تحفة المحتاج » (١/٥٧) .

المقصودةُ ، وتحصلَ العائِدةُ الممدودةُ .

(بِهِ اسْتَعَنْتُ) لا بغيرِهِ ؛ فإِنَّهُ إِذا أَعانَ وتفضَّلَ بمحضِ الجودِ والامتنانِ (فَهْوَ خَيْرُ هَادٍ) لسلوكِ طريقِ الإيمانِ الموصلِ إِلىٰ سُكنى الجِنانِ .

* * *

[الختم بالحمدلة والصلاة علىٰ رسول الله ﷺ]

ثمَّ قالَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ خاتماً بالصَّلاةِ بعدَ حمدِ اللهِ الَّذي هَدانا وهداهُ لهـٰذا وما كنَّا لنهتديَ لولا أَنْ هدانا اللهُ :

109 ثُـمَّ ٱلصَّـلاَةُ بَعْـدَ حَمْـدِ رَبِّي ... عَلَى ٱلنَّبِيِّ ٱلْمُصْطَفَىٰ مِنْ كَعْبِ

110 وَكُـلِّ آلٍ لِلنَّبِـي وَتَـابِعِـي ... مَا لاَحَ بَرْقٌ فِي سَحَابٍ هَامِعِ

ختمَ منظومتَهُ بالصَّلاةِ على النَّبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ لورودِ الختمِ بها في الجملةِ ، استحضاراً للواسطةِ في كلِّ كلامٍ ونظامٍ ، واستشعاراً لفخامةِ مقامهِ الَّذي مِنْ معدنِ سرِّ خصوصيَّتهِ شُرِّعتِ الآدابُ والسُّننُ والأَحكامُ .

وقولُهُ : (بَعْدَ حَمْدِ رَبِّي) إيماءٌ إلىٰ أَنَّ ما لَهُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ بل ولجميعِ الأَنامِ ـ مِنَ الفضلِ العظيمِ . . إنَّما هوَ حاصلٌ مِنْ فيضِ جودِ المولى الكريمِ ، المستحِقِّ لجميعِ الكمالاتِ والمحامدِ .

وأَضافَهُ إلى الرَّبِّ ؛ لتربيتهِ جميعَ العوالمِ في حِجْرِ تدبيرهِ وتقديرهِ وتسخيرهِ ، فهو مالكُها وسيِّدُها ، ومربِّيها ومدبِّرُها .

(عَلَى النَّبِيِّ) سَبَقَ معناهُ (الْمُصْطَفَىٰ) أَي : المختارِ (مِنْ كَعْبِ)

المرادُ بهِ : كعبُ بنُ لؤَيٍّ بنِ غالبٍ ، وهوَ الجدُّ الثَّامنُ لَهُ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

وقولُهُ : (وَكُلِّ آلٍ لِلنَّبِيِّ) سَبَقَ معناهُ ، وقد يُراد بهم هنا ما هوَ أَعمُّ ؛ وهُم : خواصُّ الأُمَّةِ ، المتحقِّقونَ بالبنوَّةِ الرُّوحيَّةِ ؛ إذ هو أَبو الأَرواحِ السّبوحيَّةِ ، الَّذي خَلُصَتْ بالرِّياضةِ النَّفيسةِ[1] عن الرَّذائِلِ والخبائِثِ الخسيسةِ ، فدنَتْ منهُ ، وقَرُبَتْ إلىٰ حضرتِهِ ، وتحقَّقتْ بوراثتهِ .

وقولُهُ : (وَتَابِعِي) يشملُ جميعَ مَنْ قَفَاه وتبعَهُ في أَفعالهِ وأَقوالهِ وسَمْتِهِ وهدايتهِ مِنَ الآلِ والأَصحابِ ، ومَنْ بعدَهُم إلىٰ يوم الدِّينِ .

وفي الاصطلاح الأَثريِّ : كلُّ مَنِ اجتمعَ بالصَّحابيِّ بالمعنى الَّذي في اجتماعِ الصَّحابيِّ بالنَّبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

وقولُهُ : (مَا لاَحَ) أَي : لَمَعَ (بَرْقٌ) هو : سَوطُ مَلَكِ السَّحَابِ الصَّاعدِ مِنْ بخارِ الأَرضِ بعدَ إلقاحِ الرِّياحِ المناسبةِ لَهُ في كلِّ جهةٍ .

(هَامِعِ) أَي : ماطرٍ مطراً غزيراً .

اللَّهُمَّ ؛ أَمطرْ علىٰ قلوبنا مطرَ النَّفحاتِ الرَّحموتيَّةِ[2] ، لتخضرَّ وتَحْيا الحياةَ الطَّيِّبَةَ المرْضيَّةَ ، وتينعَ بها أَثمارُ شجرةِ الإِيمانِ ، ويثبتَ بها معنى اليقينِ والإِحسانِ .

---

(١) في (ب) : (التي اختصت بالرياضة . . .) .

(٢) في (ب) : (النفحات الرحمانية) ، والنفحة : العطية ، الرحموتية : مشتقة من الرحمة ، والواو والتاء زائدتان للمبالغة .

والحمدُ للهِ علىٰ كلِّ حالٍ وفي كلِّ حال ، وصلَّى الله وسلم علىٰ سيِّدنا مُحَمَّدٍ وعلىٰ آلهِ وصحبه خيرِ صحبٍ وآل ، والحمد لله رب العالمين[1] .

* * *

(١) جاء في خاتمة النسخة (أ) : (تمَّ الشَّرحُ المسمَّىٰ : « سِمطَ العِقيانِ شرحَ بغيةِ الإخوانِ ورياضةِ الصِّبيانِ » تأليفُ الشَّيخِ الإمامِ : عبدِ اللهِ بنِ أحمدَ باسودان ، متَّعَ اللهُ بهِ .

ووافقَ الفراغُ مِنْ زبرهِ شهرَ القعدةِ سَنةَ (١٢٦٥هـ) بقلمِ أضعفِ عبادِ اللهِ أجمعينَ : عليِّ بن عبدِ اللهِ بنِ الحسينِ بنِ عبدِ اللهِ ابنِ الشَّيخِ شهابِ الدِّينِ ، وذلكَ بعنايةِ أخيهِ الموفَّقِ الفاضلِ الحسينِ بنِ عبدِ الرَّحمـٰنِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ سهلٍ جملِ الليلِ) .

وجاء في خاتمة النسخة (ب) : (قد حصل الفراغ من كتابة هـٰذا الكتاب المسمىٰ « سمط العقيان بشرح بغية الإخوان ورياضة الصبيان » بكرة يوم السبت ، واحد وعشرين شهر الحجة الحرام ، سنة اثنتين وعشرين وألف وثلاث مئة (سنة ١٣٢٢هـ) بأنامل الحقير الفقير إلىٰ عفو مولاه الكريم : علي بن بكران بن أحمد بن بكران بن أحمد بن فضل ، عفا الله عنه وعن والديه وإخوانه ومن له حق عليه آمين) .

أَهَمُّ مَصَادِرِ وَمَرَاجِعِ التَّحْقِيقِ (١)

- إتحاف القاري بمعرفة جهود أعمال العلماء على صحيح البخاري ، للأستاذ محمد عصام عرار الحسني ، ط ١ ، (١٩٨٧م) ، دار اليمامة ، سورية .
- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان المسمى : « المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقليها » ، للإمام الحافظ علي بن بَلبان الفارسي المصري (ت ٧٣٩هـ) ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، ط ٣ ، (١٩٩٧م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .
- إحياء علوم الدين وبذيله المغني عن حمل الأسفار في الأسفار للحافظ العراقي (ت ٨٠٦هـ) ، لحجة الإسلام محمد بن محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) ، بدون تحقيق ، ط ١ ، (١٩٨٢ م) ، طبعة مصورة لدى دار المعرفة ، لبنان .
- الأدب المفرد ، لإمام الدنيا الحافظ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت ٢٥٦هـ) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط ٤ ،

(١) اعتمدنا في فهرسة المصادر على التالي : اسم الكتاب ، اسم المؤلف وتاريخ وفاته ، اسم المحقق ، رقم الطبعة ، تاريخ طبع الكتاب ، اسم الدار الناشرة ومقرها .

(١٩٩٧م) ، نسخة مصورة لدى دار البشائر الإسلامية عن طبعة المكتبة السلفية ، لبنان .

ـ الإرشاد والتطريز في فضل ذكر الله تعالى وتلاوة كتابه العزيز وفضل الأولياء والناسكين والفقراء والمساكين ، **للإمام العلامة** المحدث عبد الله بن أسعد بن علي **اليافعي** (ت ٧٦٨هـ) ، عني به أنس محمد عدنان الشرفاوي ، ط ١ ، (٢٠٠٧م) ، دار المنهاج ، السعودية .

ـ الازدهار في ما عقده الشعراء من الأحاديث والآثار ، **للإمام الحافظ** عبد الرحمن بن أبي بكر **السيوطي** (ت ٩١١ هـ) ، تحقيق الدكتور علي حسين البواب ، ط ١ ، (١٩٩١ م) ، المكتب الإسلامي ، لبنان .

ـ الإصابة في تمييز الصحابة ، **للإمام الحافظ** أحمد بن علي بن حجر **العسقلاني** (ت ٨٥٢هـ) ، بدون تاريخ ، طبعة مصورة لدى دار الكتاب العربي ، لبنان .

ـ الأعلام ، **للأديب** خير الدين **الزركلي** (ت ١٩٧٦ م) ، ط ١٢ ، (١٩٩٧م) ، دار العلم للملايين ، لبنان .

ـ بداية الهداية ، **لحجة الإسلام** محمد بن محمد بن محمد **الغزالي** (ت ٥٠٥هـ) ، عني به محمد غسان نصوح عزقول وفريقه ، ط ١ ، (٢٠٠٤م) ، دار المنهاج ، السعودية .

ـ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، **للإمام العلامة** محمد بن علي بن محمد **الشوكاني** (ت ١٢٥٠هـ) ، تحقيق الدكتور حسين بن عبد الله العمري ، ط ١ ، (١٩٩٨م) ، دار الفكر ، سورية .

- التاريخ الكبير ، لإمام الدنيا الحافظ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت ٢٥٦هـ) ، عني به السيد هاشم الندوي ، بدون تاريخ ، دار الفكر ، لبنان .
- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها ، للإمام الحافظ علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بـ« ابن عساكر » (ت ٥٧١هـ) ، تحقيق محب الدين عمر بن غرامة العَمْروي ، ط ١ ، (١٩٩٥م) ، دار الفكر ، لبنان .
- تحفة المحتاج بشرح المنهاج ومعها حواشي الشرواني وابن قاسم العبادي ، للإمام العلامة أحمد بن محمد ابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤ هـ) والشيخ عبد الحميد الشرواني (ت ١٣٠١ هـ) والشيخ أحمد بن قاسم العبادي (ت ٩٩٢ هـ) ، ط ١ ، (١٣١٥هـ) ، طبعة مصورة لدى دار صادر ، لبنان .
- تحفة المودود بأحكام المولود ، للإمام الحافظ محمد بن أبي بكر الزرعي المعروف بـ« ابن قيم الجوزية » (ت ٧٥١هـ) ، تحقيق بشير محمد عيون ، ط ٥ ، (١٩٩٦م) ، دار البيان ، سورية .
- تنبيه الغافلين ، للعلامة نصر بن محمد السمرقندي (ت ٣٧٣هـ) ، تحقيق يوسف علي بديوي ، ط ٣ ، (٢٠٠٠م) ، دار ابن كثير ، سورية .
- التهجد وقيام الليل ، للإمام الحافظ عبد الله بن محمد القرشي المعروف بـ« ابن أبي الدنيا » (ت ٢٨١هـ)، تحقيق مصلح بن جزاء بن فدغوش

الحارثي ، ط ٢ ، (٢٠٠٠م) ، مكتبة الرشد ، السعودية .
- التوقيف على مهمات التعاريف ، للإمام العلامة محمد عبد الرؤوف بن علي المناوي (ت ١٠٣١هـ) ، تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية ، ط ١ ، (١٩٩٠م) ، دار الفكر ، سورية .
- جامع الشروح والحواشي ، للأستاذ البحَّاثة عبد الله محمد الحبشي اليمني ، ط ٢ ، (١٤٢٥هـ) ، المجمع الثقافي ، الإمارات العربية المتحدة .
- الجامع لشعب الإيمان ، للإمام الحافظ أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ، ط ٢ ، (٢٠٠٤ م) ، مكتبة الرشد ، السعودية .
- الحديقة الأنيقة في شرح العروة الوثيقة في علم الشريعة والطريقة والحقيقة ، للإمام العلامة القاضي محمد بن عمر الحضرمي المعروف بـ« بحرق » (ت ٩٣٠هـ)، ط ٢، (٢٠٠٦م)، دار الحاوي، لبنان.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، للإمام الحافظ أحمد بن عبد الله المعروف بـ« أبي نُعيم الأصبهاني » (ت ٤٣٠هـ) ، ط ٥ ، (١٩٨٧م) ، دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي ، مصر ولبنان .
- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، للعلامة المؤرخ محمد أمين بن فضل بن محب الله المحبي (ت ١١١١ هـ) ، بدون تحقيق ، ط ١ ، (١٢٨٤هـ) ، طبعة مصورة عن نشرة المطبعة الوهبية لدى دار صادر ، لبنان .

ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، للإمام الحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ، (٢٠٠٢م) ، دار الفكر ، لبنان .

ـ الذخائر القدسية في زيارة خير البرية صلى الله عليه وسلم ، للشيخ الخطيب عبد الحميد بن محمد علي بن عبد القادر قُدس (ت ١٣٣٥هـ) ، عني به قصي محمد نورس الحلاق ، ط ١ ، (٢٠٠٧م) ، دار السنابل ودار الحاوي ، سورية ولبنان .

ـ رحلة الأشواق القوية إلى مواطن السادة العلوية ، للعلامة الشيخ عبد الله بن محمد بن سالم باكثير الحضرمي (ت ١٣٤٣هـ) ، تعليق العلامة المؤرخ عبد الله بن محمد بن حامد بن عمر السقاف ، ط ١ ، (١٣٥٨هـ) ، مطبعة العلوم ، زنجبار .

ـ الروض الأغن في معرفة المؤلفين باليمن ومصنفاتهم في كل فن ، للأستاذ عبد الملك بن أحمد بن قاسم حميد الدين ، (١٤١٥هـ) ، دار الحارثي ، السعودية .

ـ الزهد الكبير ، للإمام الحافظ أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) ، تحقيق الشيخ عامر أحمد حيدر ، ط ٣ ، (١٩٩٦م) ، مؤسسة الكتب الثقافية ، لبنان .

ـ السلوك في طبقات العلماء والملوك ، للعلامة القاضي المؤرخ محمد بن يوسف بن يعقوب الجَنَدي (ت ٧٣٢هـ) ، تحقيق محمد بن علي بن الحسين الأكوع ، ط ١ ، (١٩٩٣م) ، مكتبة الإرشاد ، اليمن .

- سنن ابن ماجه ، للإمام الحافظ محمد بن يزيد القزويني المشهور بـ« ابن ماجه » (ت ٢٧٥هـ) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط ١ ، (١٩٥٤م) ، دار إحياء الكتب العربية لصاحبها عيسى البابي ا لحلبي ، مصر .

- سنن أبي داوود وبهامشه معالم السنن للخطابي ، للإمام الحافظ أبي داوود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) ، تحقيق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد ، ط ١ ، (١٩٩٧م) ، دار ابن حزم ، لبنان .

- سنن الترمذي المسمى : « الجامع الصحيح » ، للإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩هـ) ، تحقيق أحمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة ، ط ١ ، (١٩٣٨م) ، طبعة مصورة لدى دار إحياء التراث العربي ، لبنان .

- السنن الكبرى وبذيله الجوهر النقي لابن التركماني ، للإمام الحافظ أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) ، بعناية السيد هاشم الندوي ، ط ١ ، (١٣٥٦هـ) ، طبعة مصورة عن دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدّكّن لدى دار المعرفة ، لبنان .

- سير أعلام النبلاء ، للإمام الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، إشراف شعيب الأرنؤوط ، ط ١١ ، (١٩٩٦م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

- سيرة الإمامين الليث والشافعي المسمى : « الرحمة الغيثية بالترجمة الليثية » ويليه : « توالي التأسيس بمعالي ابن إدريس » ، **للإمام الحافظ** أحمد بن علي بن **حجر العسقلاني** (ت ٨٥٢هـ) ، عني به عبد الرحمن حسن محمود وأحمد علي حسن ، ط ١ ، (١٩٩٤ م) ، مكتبة الآداب ، مصر .

- الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها ، **للإمام المحدث المؤرخ** علوي بن طاهر بن عبد الله بن طه **الحداد** (ت ١٣٨٢هـ) ، ط ١ ، (١٩٤٠م) ، مطبعة أحمد برس ، سنغافورة .

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، **للإمام الفقيه** عبد الحي بن أحمد المعروف بـ« **ابن العماد** » (ت ١٠٨٩م) ، تحقيق محمود الأرنؤوط ، ط ١ ، (١٩٨٦م) ، دار ابن كثير ، سورية .

- شرح الزبد المسمى : « غاية البيان في شرح زبد ابن رسلان » ، **للعلامة** محمد بن أحمد **الرملي** الأنصاري (ت ١٠٠٤هـ) ، بدون تاريخ ، دار إحياء الكتب العربية لصاحبها عيسى البابي الحلبي ، مصر .

- شرح العينية ، المسمى : « النفحات النشرية والنفثات الأثرية في شرح القصيدة العينية » ، **للإمام العلامة** الحبيب **أحمد بن زين الحبشي** باعلوي الحسيني (ت ١١٤٤هـ) ، بدون تحقيق ، ط ١ ، (١٩٨٧م) ، مطبعة كرجاي ، سنغافورة .

- صحيح البخاري المسمى : « الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسننه وأيامه » (الطبعة

السلطانية العثمانية) ، لإمام الدنيا الحافظ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت ٢٥٦هـ) ، عني به الدكتور محمد زهير بن ناصر الناصر ، ط ١ ، (١٤٢٢هـ) ، دار طوق النجاة ، لبنان .

ـ صحيح مسلم المسمى : « الجامع الصحيح » ، للإمام الحافظ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط ١ ، (١٩٥٤م) ، دار إحياء الكتب العربية لصاحبها عيسى البابي الحلبي ، مصر .

ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، للإمام الحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ) ، ط ١ ، (١٩٩٢م) ، طبعة مصورة لدى دار الجيل ، لبنان .

ـ طبقات الشافعية الكبرى ، للإمام القاضي عبد الوهاب بن علي المعروف بـ« تاج الدين السبكي » (ت ٧٧١هـ) ، تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود محمد الطناحي ، بدون تاريخ ، طبعة مصورة لدى دار إحياء الكتب العربية ، مصر .

ـ عقد اليواقيت الجوهرية وسمط العين الذهبية بذكر طريق السادات العلوية وبهامشه « ذخيرة المعاد بشرح راتب الحداد » للإمام باسودان (ت ١٢٦٦ هـ) ، للإمام الحبيب عيدروس بن عمر بن عيدروس الحبشي (ت ١٣١٤هـ) ، ط ٢ ، (١٤٠٢هـ) ، مكتبة فستاك ناشيونال ، سنغافورة .

- عمل اليوم والليلة ، للإمام الحافظ أحمد بن محمد الدينوري الشهير بـ« ابن السني » (ت ٣٦٤هـ) ، تحقيق بشير محمد عيون ، ط ٣ ، (١٩٩٤م) ، مكتبة دار البيان ، سورية .

- غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية ، للعلامة محمد بن إبراهيم بن عباد النفزي الرندي (ت ٧٩٢هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمود بن الشريف ، ط ١ ، (١٩٧٠م) ، دار الكتب الحديثة ، مصر .

- فتاوى الإمام النووي المسمى : « المسائل المنثورة » ، ترتيب تلميذه الشيخ علاء الدين بن العطار ، تحقيق محمد الحجار ، ط ٦ ، (١٩٩٦م) ، دار البشائر الإسلامية ، لبنان .

- الفتاوى الموصلية ، للإمام الفقيه عبد العزيز بن عبد السلام السلمي (ت ٦٦٠هـ) ، تحقيق إياد خالد الطباع ، ط ١ ، (١٩٩٩م) ، دار الفكر ، سورية .

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، بدون تاريخ ، طبعة مصورة لدى مكتبة الغزالي ، سورية .

- الفردوس بمأثور الخطاب ، للإمام الحافظ شيرويه بن شهردار الديلمي (ت ٥٠٩هـ) ، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول ، ط ١ ، (١٩٨٦م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير ، **للإمام العلامة** محمد عبد الرؤوف بن علي المناوي (ت ١٠٣١هـ) ، بدون تحقيق ، ط ١ ، (١٣٥٧هـ) ، طبعة مصورة لدى دار المعرفة ، لبنان .

ـ قواعد التصوف على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة ، **للإمام العلامة** الحجة أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي المغربي المعروف بـ« زرّوق » (ت ٨٩٩هـ) ، تحقيق الشيخ إبراهيم اليعقوبي ، (١٩٦٨م) ، مطبعة الملاح ، سورية .

ـ الكامل في ضعفاء الرجال ، **للإمام الحافظ** عبد الله بن عدي الجرجاني (ت ٣٦٥هـ) ، تحقيق الدكتور سهيل زكار ويحيى مختار غزاوي ، ط ٣ ، (١٩٨٨م) ، دار الفكر ، لبنان .

ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، **للعلامة المحدث** إسماعيل بن محمد العجلوني (ت ١١٦٢هـ) ، بدون تحقيق ، ط ٣ ، (١٣٥١هـ) ، طبعة مصورة لدى دار إحياء التراث العربي ، لبنان .

ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، **للإمام الحافظ** علي بن حسام الدين المعروف بـ« البرهان فوري » (ت ٩٧٥هـ)، عني به بكري حيّاني وصفوة السقا ، ط ١ ، (١٩٩٣م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

ـ الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية (الطبقات الكبرى) ، **للإمام العلامة** محمد عبد الرؤوف بن علي المناوي (ت ١٠٣١هـ) ، تحقيق محمد أديب الجادر ، ط ١ ، (١٩٩٩م) ، دار صادر ، لبنان .

ـ مجمع الأحباب وتذكرة أولي الألباب ، للإمام الشريف محمد بن الحسن بن عبد الله الواسطي (ت ٧٧٦هـ) ، عني به اللجنة العلمية بمركز الدراسات والبحث العلمي لدار المنهاج ، ط ١ ، (٢٠٠٢م) ، دار المنهاج ، السعودية .

ـ المجموع شرح المهذب ، للإمام الحافظ يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) ، تحقيق الدكتور محمود مطرجي ، ط ١ ، (١٩٩٦م) ، دار الفكر ، لبنان .

ـ المختصر من كتاب نشر النَّوْر والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر ، للعالم القاضي عبد الله مِرْداد أبو الخير (ت ١٣٤٣هـ) ، اختصار وترتيب محمد سعيد العامودي وأحمد علي ، ط ٢ ، (١٩٨٦م) ، عالم المعرفة ، السعودية .

ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، للإمام المؤرخ عبد الله بن أسعد اليافعي (ت ٧٦٨هـ) ، ط ١ ، (١٣٣٧هـ) ، طبعة مصورة عن نشرة دائرة المعارف بحيدر آباد الدَّكَّن لدى دار الكتاب الإسلامي ، مصر .

ـ المستدرك على الصحيحين وبذيله تلخيص المستدرك للحافظ الذهبي ، للإمام الحافظ محمد بن عبد الله بن حمدويه النيسابوري المعروف بـ« الحاكم » (ت ٤٠٥هـ) ، بدون تحقيق ، ط ١ ، (١٣٣٥هـ) ، نسخة مصورة لدى دار المعرفة عن طبعة دائرة المعارف النظامية في الهند بحيدر آباد الدّكّن ، لبنان .

- مسند أبي يعلى الموصلي ، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن المثنى المعروف بـ« أبي يعلى الموصلي » (ت ٣٠٧هـ) ، تحقيق حسين سليم أسد الداراني ، ط ٢ ، (١٩٨٩م) ، دار المأمون للتراث ودار الثقافة العربية ، سورية .

- مسند الإمام أحمد ابن حنبل ، للإمام الحافظ أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ) ، تحقيق مجموعة من العلماء بإشراف شعيب الأرنؤوط ، ط ١ ، (١٩٩٥هـ) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

- مسند الربيع ، للإمام الربيع بن حبيب الإباضي ، عني به محمد إدريس عاشور ، ط ١ ، (١٤١٥هـ) ، دار الحكمة ، سلطنة عُمان .

- مسند الشاميين ، للإمام الحافظ سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ) ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، ط ١ ، (١٩٨٩م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

- مسند الشهاب المسمى : « شهاب الأخبار في الحكم والأمثال والآداب » ، للإمام القاضي محمد بن سلامة القُضاعي (ت ٤٥٤هـ) ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، ط ١ ، (١٩٨٥ م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

- المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل أبي علوي ، للعلامة السيد محمد بن أبي بكر الشِّلِّي باعلوي (ت ١٠٩٣ هـ) ، بدون تاريخ ، طبع على نفقة من يعلمه الله ويراه ، مصر .

ـ مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ، للأستاذ البحَّاثة عبد الله محمد الحبشي اليمني ، ط ١ ، (٢٠٠٤م) ، المجمع الثقافي ، الإمارات العربية المتحدة .

ـ المصنف ومعه الجامع للإمام معمر الأزدي ، للإمام الحافظ عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ) ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، ط ٢ ، (١٩٨٣م) ، المجلس العلمي بالتعاون مع المكتب الإسلامي ، لبنان .

ـ المعجم الأوسط ، للإمام الحافظ سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ) ، تحقيق الدكتور محمود الطحان ، ط ١ ، (١٩٨٥م) ، مكتبة المعارف ، السعودية .

ـ المعجم الكبير ومعه الأحاديث الطوال ، للإمام الحافظ سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ) ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، ط ٢ ، بدون تاريخ ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان .

ـ معجم المؤلفين ، للأستاذ المؤرخ عمر رضا كحالة (ت ١٤٠٨هـ) ، ط ١ ، (١٩٩٣م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

ـ معجم المطبوعات العربية والمعرَّبة وهو شامل لأسماء الكتب المطبوعة في الأقطار الشرقية والغربية مع ذكر أسماء مؤلفيها ولمعة من ترجمتهم وذلك من يوم ظهور الطباعة إلى نهاية السنة الهجرية (١٣٣٩) الموافقة لسنة (١٩١٩) ميلادية ، جمعه ورتبه يوسف بن إليان بن

سَركيس (ت ١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢ م) ، ط ١ ، (١٤١٠هـ) ، طبعة مصورة لدى مكتبة المرعشي النجفي ، إيران .

ـ المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، **للإمام الحافظ** محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ) ، عني به عبد الله محمد الصديق الغُماري وعبد الوهاب عبد اللطيف ، ط ٢ ، (١٩٩١ م) ، مكتبة الخانجي ، مصر .

ـ مكارم الأخلاق ويليه أخلاق العلماء للحافظ الآجري ، **للإمام الحافظ** عبد الله بن محمد القرشي المعروف بـ« ابن أبي الدنيا » (ت ٢٨١هـ)، تحقيق بشير محمد عيون ، ط ١ ، (٢٠٠٢) ، مكتبة دار البيان ، سورية .

ـ مناقب الشافعي ، **للإمام الحافظ** أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) ، تحقيق أحمد صقر ، ط ١ ، بدون تاريخ ، دار التراث ، مصر .

ـ المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها للخرائطي ، انتقاء **الإمام الحافظ** أحمد بن محمد المعروف بـ« أبي طاهر السِّلفي » (ت ٥٧٦هـ) ، تحقيق محمد مطيع الحافظ وغزوة بدير ، ط ١ ، (١٩٨٦م) ، دار الفكر ، سورية .

ـ منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين ، **لحجة الإسلام** محمد بن محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) ، عني به بوجمعة عبد القادر مكري ، ط ١ ، (٢٠٠٦م) ، دار المنهاج ، السعودية .

- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ومعه حاشية العلامة علي الشبراملسي (ت ١٠٨٧هـ) وحاشية العلامة أحمد الرشيدي (ت ١٠٩٦هـ) ، **للإمام العلامة** محمد بن أحمد الرملي (ت ١٠٠٤هـ) ، ط ١ ، (١٩٩٣م) ، طبعة مصورة لدى دار الكتب العلمية ، لبنان .

- النور السافر عن أخبار القرن العاشر ، **للعلامة السيد عبد القادر بن شيخ العيدروس** (ت ١٠٣٨هـ) ، تحقيق الدكتور أحمد حالو ومحمود الأرنؤوط وأكرم البوشي ، ط ١ ، (٢٠٠١م) ، دار صادر ، لبنان .

- نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر من هجرة سيد البشر صلى الله عليه وآله وسلم ، **للعلامة المؤرخ** محمد بن محمد بن يحيى زَبارَة الحسني (ت ١٣٨١ هـ) ، بدون تحقيق ، ط ١ ، (١٣٤٨هـ) ، المطبعة السلفية ، مصر .

- هِجَر العلم ومعاقِلُهُ في اليمن ، **للقاضي إسماعيل بن علي الأكوع** ، ط ١ ، (١٩٩٥م) ، دار الفكر ، سورية .

- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون ، **لعالِم الكتب البحاثة إسماعيل باشا** بن محمد أمين بن مير سليم **البغدادي** (ت ١٣٣٩هـ) ، ط ١ ، (١٣٦٤هـ) ، طبعة مصورة لدى دار الكتب العلمية ، لبنان .

❊ ❊ ❊

مُحتوى الكتاب